جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا
قسم الأدب والنقد

تحقيق ديوان الزمخشري

ودراسة لشعره

رسالة دكتوراه

إعداد
علي عبد الله عبد عمرو

باشراف
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف
عميد كلية اللغة العربية
ورئيس قسم الأدب والنقد

القسم الأول
الدراسة

١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م

مكتب النصر للآلات الكاتبة
مدينة نصر * رابعة العدوية
عمارة ٨ شقة ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهــــداء

الى من ربيانــى صغــــــــــيرا :

" والدىّ الفاضلــين "

الى العــــين الساهـــرة ، واليد الحانية ،

الى من أعانــتنى على انجاز هذا العمــــل :

" زوجــتى العزيــزة "

الى أحبائـــــــى الصغــــــــار :

" أيمن ، ايناس ، مأمون ، فــادى "

أهــدى رسالــتى هــــذه .

(على)

المقدمة

((المقدمـــــــة))

بســم اللــه الرحمن الرحيــم

الحمد للـه الـذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانــا اللـه ، وأشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وصلـى اللـه على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه وسلم .

أما بعــد :

فقد شاءت قدرة اللـه سبحانه ، ان تسوقنى الى المكتبة الظاهريـة للاطلاع على جهود سلفنا الصالح التى لاتزال فى طى النسيــان ، وأخذت عينى تتنقل من مخطوطة الى أخرى ، وتمتد يدى بين الفينـة والفينة لتتناول بعض هذه الاوراق الصفراء والتى مرت عليها عشــرات السنين ، فاذا بعضها يئن تحت الأصابع التى امتدت اليه ، ويشكـو ضعفه ورقة حاله ، لأن تقلب الجديدين عليه قد أودى بصبره وأبلى أديمه وبعض أجزائه ، تسانده فى ذلك الرطوبة التى امتدت الى أوصاله بل بلغت فى كثير من الأحيان أحشائه ، وتأخذ العين فى التأمل بين سطوره ، فتنفذ أحيانا وتكل أخرى .

ووقعت عينى فيما وقعت على مخطوطة متماسكة القوى ، مكتوب عليهـا ((ديوان الزمخشرى)) ، وسارعت يدى الى تناوله ، فقد ذهب بى الظن الى أن المصنف قد وقع فى خطأ ، فانا أعرف أن الزمخشرى مفسـر ولغوى ، فما له وللشعر ؟ وسارعت يدى فى تقليب أوراقها ، وأخذت عينى تقفز بين سطورها تريد أن تتبصرها مرة واحدة ، ولكن أنى لهـا ذلك ، فهناك أكثر من خمسة الاف بيت من الشعر تقف أمامها متحديـة

لها مدافعة عن صاحبها ، واصطحبت هذه المخطوطة الى حجرة المطالعة ، وأخذت فى قراءة الكثير من شعرها ، وقررت أن أتعايش معها مدة أطول حتى أخرجها الى النور اكراما لصاحبها الذى أفنى عمره فى العلم والتعلم ، وانقطع له وآثره على الزوجة والولد ، فلا ضير أن أمنحه بعض الوقت .

وبعد هذا العزم أخذت أبحث فى فهارس المخطوطات ، لعلى أجد أخوات لها قد فرق بينهن الزمن ، فأجمع شملهن من جديد ، فوجدت احداهن قد استقر بها المقام فى دار الكتب المصرية بالقاهرة وتحمل رقم ٥١٩ أدب ، وأخرى قد هاجرت الى تركيا وطاب لها المقام فى مكتبة رئيس الكتاب باستنبول تحت رقم ٣٣٠ ، وقد استطعت الحصول على (مايكروفلم) لهاتين النسختين من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وجزى الله العاملين فيه خيرا لسرعتهم فى تلبية الطلب .

وقد ذكر بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى ان هناك نسخة فى المدينة المنورة تحت رقم ٧٠٥ ، وعبثا حاولت الحصول عليها بشتى الطرق ، ولكن بلا جدوى . وبعد ذلك أخذت أبحث فى فهارس المخطوطات الموجودة فى الدول الأجنبية مثل ألمانيا وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، فوجدت النسخة التى تحمل رقم ٧٠٥ والتى أخبرنا بروكلمان أنها فى المدينة ، موجودة فى جامعة (ييل) بولاية (نيو هافن) فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فكتبت الى الجامعة أطلب منهم ارسال شريط مصور عن هذه المخطوطة ، فسارعوا الى تلبية الطلب ، بشرط أن لايطبع الشريط الا باذن منهم ، وعند عرض الشريط على جهاز القراءة ، وجدت خطها واضحا وانها كتبت فى سنة ستمائة وثلاث وخمسين للهجرة ، وأن الناسخ قد نقلها عن خط الزمخشرى .

وباحضار هذه النسخة يكون قد اجتمع لى أربع نسخ من هـــذه المخطوطة ، ولما كانت نسخة جامعة بجل أوفى النسخ وأوضحها فقــد جعلتها الأصل ، وجعلت من النسخ الأخرى مساعدات لى فى بلوغ مرامى .

وبعد أن انتهيت من تحقيق المخطوطة على الصورة التى بينتها فــى فصل لاحق ، أخذت فى دراسة هذا الشعر الذى أخذ منى أكثر من سنتين وأنا أحاول ضبطــه وارجاعه الى الأصل الذى كان عليه يوم قالــه صاحبه ، وهذا هو الهدف الأساسى من التحقيق ، وقد وفقت فــى معظمه وعجزت فى بعضــه .

أما الدراسة فقد جعلتها فى مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة ، تناولـت فى التمهيد عصر الشاعر من النواحى السياسية والاجتماعية والثقافية والـتى لها ارتباط بحياة الشاعر وقد أوجزت فى ذلك .

الباب الأول : حياة الشاعر ، وقد جعلته فى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : النشأة والأسرة ، وتناولت بالدراسة اسمه ونسبـــه ولقبــه ونسبته ، ومولده من حيث المكان والزمان ، ونشأته المبكرة وأسرته .

والفصل الثانى : الثقافــة والرحلــة والعلاقات .

وتحدثت فيه عن أول نظمه الشعر ورحلاته وشيوخه وتلاميذه واجازاته ومراسلاته وثقافتــه وآثاره المطبوعة والمخطوطة وغير المعروفة ، ووفاته .

وفى هذين الفصلين لافضل لى الا الجمع والترتيب والتنسيق ، فقــد سبقــت فيهما ، فكل من كتب عن الزمخشرى تعرض لهما ، بين مطــول ومختصر ، وأوفى الدراسات فيهما ماكتبه الدكتور احمد الحوفى فى كتابـــه (الزمخشرى) .

أما الفصل الثالث : فهو عن سمات الشاعر فى شعره ، وقد تحدثت فيـــه عن احساسه بالفقر وتكسبه بالشعر وقطع رجله وعزوبته وعفته وعزة نفســـه وحبه للعرب والعروبة ، محاولا اشتقاق هذه السمات من الديوان فقط ، بعيدا عما كتب عنه ، وعما جاء فى كتبه الاخرى .

أما البـاب الثانى : فهو شعر الزمخشرى وقد جاء فى اربعة فصـــول :

الفصـل الاول : مصادر شعره : وهى تقسم الى قسمين :

أ ـ ما جاء فى المخطوطات .

ب ـ الموجود فى المصادر الادبية .

الفصل الثانى : موضوعات شعره مع تحليل كل منها على حدة ، وتكلمت فيه عن المديح عند الزمخشرى والرثـــاء والغزل والحنين الى مكة ، والشكوى والفخر والحكمـــة والهجـاء .

الفصل الثالث : وقد خصصته للخصائص الفنية لشعر الشاعر وقد جاء فى ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تكلمت فيه عن بناء القصيدة من حيث المقدمة ، مطلع القصيدة ، حسن التخلص ، حسن المقطع ، وحدة البيت والتضمين ، وحدة القصيدة ، الاوزان ، القوافى .

المبحث الثانى : وجعلته للمضمون ، وتحدثت فيه عن المعانى مـــن حيث كثرة التكرار بسبب محدودية المضامين ، وعن التجديد والتقليـــد فى المعانى ، وعن السرقات الشعرية ، والاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة والامثال والاشعار والقصص ، ومـــن حيث الغموض والوضوح فى هذه المعانى ومن حيث الصدق والجمـال المعنوى والمادى ، ثم الوفاء بالمعنى وختمته بحديث عن العواطـف عند الشاعـر .

والمبحـث الثالث : عن الاسلوب ، وتحدثت فيه عن انواع الاساليــب والاسلوب عند الزمخشرى ، ومن سمات اسلوبه من حيث جزالة الالفـاظ

والتعابير ، والاكثار من ذكر أسماء الأماكن ، ثم الصورة الشعرية والخيال ، وما يتعلق بذلك من تشبيه واستعارة وكناية ، وختمته بالحديث عن المحسنات البديعية عند الشاعر .

أما الفصل الثالث : فهو للقيمة الأدبية والتاريخية للمخطوطة :

ولقد ختمت البحث بخاتمة قصيرة ، أجملت فيها ماتوصلت اليه في الأمور التي بحثتها .

وفي ختام هذه المقدمة أرى لزاما على أن أوفي صاحب الحق حقه ، وذا الفضل فضله ، وأن من أولى الناس بهذا استاذي الجليل ، فضيلة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف خليف عميد كلية اللغة العربية ، والمشرف على هذه الرسالة ، لما قدمه لي من جهد كبير ، وعناية وتسديد وتوجيه كريم ـ على كثرة أعماله ومسئولياته ـ حتى شاء الله تعالى ـ أن تخرج هذه الرسالة بهذا المظهر .

واني لأضرع الى الله عز وجل ان يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك له في وقته ، وان يديم النفع به .

كما أشكر كل من أسدى الي عونا في بحثي هذا ، سائلا المولى عز وجل أن يجزيهم عني أحسن الجزاء .

والله أسأل ان يرزقني الاخلاص في القول والعمل ، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وهو سبحانه ولي التوفيق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

٦ من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ
٢٧ أيلول ١٩٧٩ م .

علي عبد الله عسور

تمهيـــد :

عصر الشاعر من النواحي السياسية والاجتماعيـــة والثقافيـــــة

=====

لقد عاش الزمخشري في النصف الثاني من القرن الخامس ، والنصف الأول من القرن السادس ، في فترة كانت الخلافة اسمية ، وكان مركزها بغداد ، أما الذين كانوا يتحكمون بالامور في هذه الفترة فهم سلاطين السلاجقة الذين حكموا معظم شرق العالم الاسلامي .

ولاتصالات الزمخشري بسلاطين هذه الدولة ووزرائهم ، نعرض لها بشئ من الايجاز .

لقد تأسست هذه الدولة سنة ٤٢٩ هـ ، واستمرت حتى ٥٩٠ هـ (١) ، وقد امتلكت خوارزم سنة ٤٣٤ هـ ، ثم خراسان وبلاد الري واصبهان وأذربيجان ، وفي سنة ٤٤٧ هـ كان نفوذ البويهيين قد انحسر عن بغداد ، فتقدم اليها طغرلبك ودخلها بغير حرب (٢) .

وينقسم هؤلاء السلاجقة الى أربعة بيوت في أربع دول ، وهي الدولة السلجوقية الكبرى ، وملكت خراسان والري والعراق وفارس والاهواز ، وسلاجقة كرمان وسلاجقة سوريا وسلاجقة الروم ، والذي يهمنا من هذه البيوت هو البيت الاول ، والذي تمثله الدولة السجوقية الكبرى ، ويهمنا منها السلاطين الذين عاصرهم الزمخشري مابين ٤٦٧ هـ و ٥٣٨ هـ ، وهي فترة حياته .

واذا نظرنا عبر هذه الفترة وجدنا أن الزمخشري عاصر من السلاجقة العظام (٣) :

١ ـ جلال الدولة (معز الدين) أبو الفتح ملكشاه بن آلب ارسلان ، تولى الملك في ١٠ ربيع الأول سنة ٤٦٥ هـ ، وتوفي في ١٥ شوال سنة

---

(١) تاريخ الأمم الاسلامية ـ الخضري ص ٤١٧ .
(٢) نفس المرجع ص ٤١٧ . المرجع السابق
(٣) معجم الانساب والاسرات الحاكمة ـ في التاريخ الاسلامي ـ المستشرق زامباور ـ جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ م ص ٣٣٣ .

٤٨٥ هـ ، وكان لقبه السلطان جلال الدولة • واصبح العهد الذى استهله ملكشاه فى ١٠ رمضان سنة ٤٧١ هـ يسمى بالعهد الجلالى ، وكان لقب السلطان المنقوش على السكة ،جلال الدولة تارة ، ومعز الدين تارة أخرى ، ومن ألقابه : أمير المؤمنين والملك العادل •

٢ ـ ناصر الدين محمود بن ملكشاه ـ تولى الملك فى ١٥ شوال سنة ٤٨٥ هـ ، وكانت أمه (تركان خاتون) وصية عليه باصبهان ، توفى فى السابعة من عمره ، لقبه مغيث الدين ، ناصر الدنيا والدين •

٣ ـ ركن الدين أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه ـ تولى الملك سنة ٤٨٧ هـ ولد سنة ٤٧٤ هـ ونودى به سلطانا بالرى بعد وفاة أبيه ، توفى فى ١٢ ربيع الثانى سنة ٤٩٨ هـ • من ألقابه يمين أمير المؤمنين ، شهاب الدولة مجد الملك ، أبو الفوارس •

٤ ـ غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن آلب ارسلان ، تولى الملك فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ٤٩٨ هـ • كان يحكم بغداد منذ سنة ٤٩٢ هـ ، ظل يحارب أخاه بركيارق منذ وفاة أبيه سنة ٤٨٥ هـ •

٥ ـ ناصر الدين (ثم معز الدين) أبو الحارث احمد سنجر بن ملكشاه ، تولى الحكم فى ٢٤ ذى الحجة سنة ٥١١ هـ • حاكم خراسان منذ ٥ جمادى الأولى سنة ٤٩٠ هـ ، وشهد رئيس للبيت السلجوقى ، توفى سنة ٥٥٢ هـ •

وقد اتصل الزمخشرى ببعضهم ومدحهم ، ولكن وبعد اطلاعى على شعر الزمخشرى ، وجدت أن معظم مدائحه فى بيت نظام الملك ، حيث أن اتصالات الشاعر بنظام الملك وأبنائه كانت أكثر بكثير من اتصالاته

بالسلاطين ، فمن هو نظام الملك هذا حتى ينال هو وابناؤه كل هذا الثناء والمديح من شاعرنا ؟

لقد كان نظام الملك وزيرا عظيما لآل سلجوق ، استوزره آلب ارسلان ، واستعان به على ادارة ملكه ، ثم استوزره ابنه جلال الدين أبو الفتح ملكشاه ، فقام نظام الملك بتدبير أمور الملك واصلاح أموره خير قيام ، حتى أن تاريخ هذه الدولة ارتبط باسم وزيرها العظيم هذا ، وبفضله اتسع نفوذ جلال الدين ، فخطب له من حدود الصين شرقا الى آخر الشام غربا وازدهرت الآداب والفنون ، وازدهرت المدن بالمدارس والمستشفيات ، وكان جلال الدين سلطانا عادلا شجاعا متدينا ، وكان وزيره عالما جوادا مشغوفا بالعلم معظما للعلماء ، وقد قتل هذا الوزير سنة ٤٨٥ هـ (١) ، ومات السلطان بعده بشهر تقريبا ، فنشبت الفتن والحروب بين آل سلجوق وحكموا السيف بينهم ، فبموت هذا الوزير والسلطان انتهى العصر الذهبي لهذه الدولة ، وتلاه العصر الأوسط الذى امتد الى وفاة سنجر سنة ٥٥٢ هـ (٢) ، ثم تلاه عصر الاضمحلال الذى انتهى على يد الخوارزميين سنة ٥٩٠ هـ (٣) .

أما أبناء نظام الملك فبالقاء لمحة سريعة عليهم نجد أن معظمهم قد احتل منصب الوزارة لما لهذه العائلة من شهرة عند السلاطين ورثهم اياها أبوهم نظام الملك بتنشئته لهم التنشئة المناسبة لهذه المناصب ، ولما نال هو من شهرة واسعة أثناء توليه منصب الوزارة ، وهذه لمحة سريعة لهم (٤) : —

---

(١) الكامل لابن الاثير — دار صادر سنة ١٩٦٦م جـ ١٠ ص ٢٠٤ — ٢١٠ .
(٢) تاريخ الاسلام السياسى . د . حسن ابراهيم — مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ . جـ ٤ ص ٣٥ .
(٣) الكامل فى التاريخ — ابن الاثير — دار صادر سنة ١٩٦٦م جـ ١٢ ص ١٠٦ .
(٤) معجم الانساب والاسرات الحاكمة — زامباور — ص ٣٣٦ .

١ ـ أبو القاسم عماد الملك وزير لارسلان آرغون بخراسان من ٤٨٥هـ ـ ٤٩٠ هـ .

٢ ـ ومؤيد الملك وزر لمحمد بن ملكشاه من ٤٨٦ هـ ـ ٤٨٧ هـ .

٣ ـ وعثمان شمس الملك ـ حاكم مرو .

٤ ـ وأبو عبد الله الحسين عز الملك وزير بركيارق وتوفى سنة ٤٨٧ هـ .

٥ ـ وأبو نصر أحمد نظام الملك الثانى وزير محمد بن ملكشاه من (٥٠٠ هـ ـ ٥٠٤ هـ) .

٦ ـ ومحمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك وزير محمد بن ملكشاه من (٤٩٢ هـ ـ ٤٩٤ هـ) .

٧ ـ وأبو جعفر محمد بن فخر الملك بن نظام الملك وزير سنجر سنة ٥١٣ هـ

أما الدولة الثانية التى حكمت خوارزم فى عصر الزمخشرى فهى الدولة الخوارزمية ، وهى تنسب الى نوشتكين احد الأتراك فى بلاط ملكشاه السلجوقى ، ولكن يعد ابنه محمد هو المؤسس الحقيقى لهذه الدولة ، حيث عينه بركيارق حاكما على اقليم خوارزم ولقبه خوارزم شاه ، فبدأ يركز دعائم الدولة ويقوى من شأنها ، ولكن هذه الدولة الناشئة أخذت تقوى وتمتد منذ اتسز بن محمد بن نوشتكين ، حيث انه تصارع مع سنجر السلجوقى حتى توفى سنة ٥٥١ هـ ، ولما كانت وفاة سنجر سنة ٥٥٢ هـ نهاية للسلاجقة فى فارس وخرسان ، أخذ الخوارزميون يمدون دولتهم ولا يجدون من يعوق طموحهم حتى استولوا على املاك الدولة السلجوقية سنة ٥٩٠ هـ .(١)

وقد عاصر الزمخشرى من سلاطين هذه الدولة (٢) :ـ

١ ـ انوشتكين من ٤٧٠ هـ ـ ٤٩٠ هـ .

---

(١) سلاجقة ايران والعراق ـ د . عبد النعيم حسنين ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٩ ص ١٣٨ .

(٢) معجم الانساب والاسرات الحاكمة ـ المستشرق زامباور ـ مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١ م ص ٣١٧ .
مهذب رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٢٩٨ .

٢ ـ قطر الدين محمد من ٤٩٠ هـ ـ ٥٢١ هـ •

٣ ـ اتسـز من ٥٢١ هـ ـ ٥٥١ هـ •

مما سبق نجد ان الزمخشرى قد عاش فى عصر عمته الحروب الداخلية بين الدول المتناصرة على السلطة • وفى زمن كانت فيه الخلافة رمزا اسميا فقط • وكان الحكم الفعلى للسلاطين الحاكمين للبلاد الاسلامية الشرقية • فنجد الحكم الفعلى كان للبويهيين ثم للسلاجقة ثم للخوارزميين •

وفى نفس الوقت كانت جيوش الصليبيين تتدفق على بلاد الشام •

ومن أهم عادات أهل خوارزم الاجتماعية يحدثنا ابن بطوطة فيقول : " ولم أر فى بلاد الدنيا أحسن أخلاقا من أهل خوارزم • ولا أكرم نفوسا ولا أحب فى الغرباء • ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها لغيرهم : وهى ان المؤذنين فى مساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما لهم بحضور الصلاة • فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة • ضربه الامام بمحضر الجماعة • وفى كل مسجد درة معلقة لذلك • ويغرم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد أو لاطعام الفقراء والمساكين • ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان " •

الحياة الثقافية :

ان المطلع على كتب التراجم والتاريخ يجد أسماء العشرات من العلماء الذين ينسبون الى خوارزم • فهل من سبب لهذه الكثرة ؟ نعم إن هناك أكثر من سبب لانتشار العلوم والعلماء فى هذه المنطقة نحاول أن نجملها • وننوه بذكر أسماء بعض هؤلاء العلماء •

لقد ذكر الرحالة والمؤرخون أن المنطقة - أعنى خوارزم - تمتاز بخصوبة أرضها وجمالها ووفرة الأشجار والبساتين فى ربوعها ، وهذا بدوره يؤدى الى صفاء أخيلة الأدباء والشعراء فى ذلك الاقليم ، ويمدهم بمعين لاينضب من الصور والأخيلة . ولقد وقعت هذه المنطقة على تخوم أعداء الدولة الاسلامية ، وتعرضت للعديد من الغزوات ، فأثر هذا فى نفوسهم وجعلهم يتحمسون لدينهم ، فاندفعوا يدرسون ويتعلمون ويكتبون ويجادلون فى أمور دينهم ومايتعلق به من تفسير وفقه وحديث .

ونضيف الى هذين العاملين اهتمام السلاطين والوزراء بنشر العلم ، يخبرنا النسوى عن سلاطين خوارزم فى هذا المجال بقوله : "ان سلاطينهم عمروا قصورهم بالشعراء والكتاب والعلماء من فرس وعرب وقربوهم اليهم وأغدقوا عليهم ، كما فتحوا المدارس ، وشجعوا الوعاظ ، على الرغم من أن بعضهم مثل السلطان محمد بن تكش كان تركيا قليل المعرفة باللغة العربية "(١) .

أما بالنسبة للوزراء فلم يقلوا فى تشجيعهم للعلم والعلماء وفتح المدارس عن السلاطين فقد " كان نظام الملك عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير العفو طويل الصمت وكان مجلسه حافلا بالفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح وقد اشتهر ببناء المدارس فى البلاد وخصص لها النفقات العظيمة ، وأملى الحديث ببغداد ونيسابور ، وغيرهما من مدن خرسان "(٢) .

أما بالنسبة للمكتبات فبامكاننا أن نتصور كثرتها وكثرة ماتحويه من كتب قيمة من وصف ياقوت لمدينة مرو ، فهو يقول : " .. فانى فارقتها وفيها

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى - محمد بن أحمد النسوى - تحقيق حافظ حمدى - مطبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٥٣ ص ٥١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى - د. حسن ابراهيم مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٧ جـ ٤ ص ٣١ .

عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان في الجامع احداهما يقال لها العزيزية ، وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر . وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو مايقاربها والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري لمن تنسب ، وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته ، ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ هـ . وكان حنفي المذهب ، وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحق في مدرسته ، وخزانتان للسمعاني ، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها ، والخزائن الخاتونية في مدرستها ، والضميرية في خانكاه هناك ، وكانت سهلة التناول لايفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار (١) .

كل هذه الظروف ادت الى ظهور كثير من العلماء (٢) والأدباء والفلاسفة (٣)

---

(١) معجم البلدان — ياقوت — دار صادر — جـ ٥ ص ١١٤ .

(٢) منهم : علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفي سنة ٣٦٦ هـ .
وأبو منصور محمد بن أحمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) من هراة .
وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ) .
وأبو الحسن احمد بن محمد السهيلي الخوارزمي (ت ٤١٨هـ) .
وأبو القاسم محمود بن عبد العزيز الخوارزمي الملقب بشمس الدين (ت ٥٢١ هـ)
وأبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري (ت ٣٨١هـ) ، واسماعيل بن حماد الجوهري — من فاراب (ت ٣٩٨ هـ) ، وبديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) ، وأبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) وأبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي السنخسي (ت ٤٦٧هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وأبو الفضل احمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) ، وآدم بن احمد بن اسد الهروي أبو سعد النحو اللغوي (ت ٥٣٦ هـ) .
(الزمخشري — احمد الحوفي — دار الفكر العربي ص ١٦ ومابعدها) .

(٣) منهم : أبو القاسم عبد الله بن احمد الكعبي (ت ٣١٧ هـ) .
وأبو زيد احمد بن سهل البلخي (ت ٣٢٢ هـ) .
وأبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) .
وأبو حامد الغزالي (ت ٥٠٢ هـ) .
(الزمخشري — أحمد الحوفي — دار الفكر العربي ص ٣٢ — ٣٤ .

والمتصوفة(١) ليس فى خوارزم فحسب بل فى الاقليم كله .

وعند التحدث عن الحياة الثقافية فى هذا الاقليم علينا الا نهمل الحديث عن المعتزلة ، لأنهم انتشروا فى هذه المنطقة انتشارا واسعا ، حتى أن خوارزم كانت تموج بالاعتزال ، حتى ليندر ان تجد خوارزميا ليس معتزليا ، فان كان غير معتزلى وأراد أن ينفى الاعتزال عن نفسه أكد ذلك ، كما نجد فى ترجمة ياقوت للقاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى ، " ... وقلت له : مامذهبك ؟ فقال حنفى ، ولكن لست خوارزميا ، لست خوارزميا يكررها ، انما اشتغلت ببخارى فأرى رأى أهلها ، نفى عن نفسه أن يكون معتزليا "(٢) .

وقد عاش الزمخشرى فى خضم هذه الحياة الزاخرة بأهم متطلبات الثقافة ، من معلمين ومدارس ومكتبات وحلقات جدال ونقاش ، بجانب وجود الحكام الذين يشجعون على العلم ويجلون العلماء ، فأثر كل ذلك فى نفسه فاندفع لتحصيل العلم والمعرفة ، وساعده فى ذلك استاذه الضبى ، وهمته العالية ، فنبغ فى معظم المعارف التى كانت موجودة فى عصره .

---

(١) منهم : أبو عبد الله محمد بن منازل النيسابورى (ت ٣٢٩ هـ) . وأبو العباس بن القاسم بن مهدى (ت ٣٤٢ هـ) .

(٢) معجم الأدباء ـ ياقوت ج ١٦ ص ٢٣٨ .

الباب الأول

—((البـــاب الأول))—

حيـاة الشاعـر

((الفصل الأول))

النشأة والأسرة

١ ـ اسمه ونسبه .

٢ ـ لقبه ونسبته .

٣ ـ مولده ـ الزمان والمكان .

٤ ـ نشأته المبكرة .

٥ ـ أسرته .

: : : : :

اسمه ونسبه :

اسمه محمود بن عمر بن محمد بن أحمد ، كما جاء في مفتاح السعادة (١) وشبيه بهذا ماذكره ياقوت في معجم الادباء ، فذكر أن اسمه محمود بن عمر بن أحمد ، دون ذكر اسم جده محمد (٢) ، اما ابن خلكان في وفيات الأعيان ، والقفطي في انباه الرواة وابن كثير في البداية والنهاية فيذكرون بأن اسمه محمود بن عمر بن محمد بن عمر (٣) ، ونلاحظ هنا الاختلاف في الجد الأخير بين عمر وأحمد ، ولم تسعفنا المراجع لكي نتوصل في نسبه الى ابعد من هذا ، أما بقية المراجع فمعظمها ذكرت اسمه مختصرا محمود بن عمر الزمخشري — وسواء أكان جده الأخير عمر أو أحمد ، فاننا لانستطيع من هذين الاسمين التوصل الى نسبته الى قبيلة معينة أو قوم معينين ولم يرد في شعره اية اشارة الى قبيلته أو قومه أو الى أحد مشهور من عائلته لنتمكن عن طريقه من التسلسل في نسبه الى أبعد من هذا .

وعلى كل فالرجل كان عصاميا ولم يكن عظاميا ، ويكفيه ذلك فخرا .

لقبه ونسبته :

كان الزمخشري — رحمه الله — يلقب بجار الله ، وذلك لأنه جاور بمكة حرسها الله — مدة من الزمن ، يقول اليافعي في مرآة الجنان : " ..... وكان قد جاور بمكة زمانا ، فصار يقال له

---

(١) مفتاح السعادة — طاش كبرى — دار الكتب المصرية — ج ٢ ص ٩٧ .
(٢) معجم الأدباء — ياقوت — طبعة أخيرة — ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٦٨ ، وأنباه الرواة . القفطي — دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢٦٥ ، والبداية والنهاية — ابن كثير — طبعة السعادة — ج ٢ ص ٢١٩ .

جار الله لذلك ،حتى صار هذا اللقب علما عليه (١) .

وأما نسبته فهي الى زمخشر - القرية التى ولد فيها - وهى قرية بضاحية خوارزم لذلك كان يقال له الزمخشرى والخوارزمى ، ولكن نسبته الى زمخشر اشهر ، واذا أطلقت فقد اقتصرت عليه ، وهو الذى كان سببا فى شهرة هذه القرية .

وأما كنيته فهى أبو القاسم ، ولا أصل لها لانه لم يتزوج ولم يكن له ولد ، وكذلك فان المراجع التى بين أيدينا لم تذكر سببا لذلك ، ولعله اتخذ هذه الكنية تبركا بكنية النبى عليه الصلاة والسلام ، وهذا ما غلب على ظنى والله أعلم .

مولده :

لقد اتفقت جميع المراجع التى ذكرت سنة ولادته بأنها سنة سبع وستين واربعمائة ، ومعظمها حدد الشهر الذى ولد فيه بأنه شهر رجب ، بل ان ياقوت يحدد اسم اليوم وتاريخه فى شهر رجب ، فهو يروى عن ابن أخت الزمخشرى أبى عمرو عامر بن الحسن السمسار قوله : " ولد خالى بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة " (٢) .

ولم يشذ عن هذا الاجماع الا ابن الأثير حيث يقول بأن الزمخشرى توفى ليلة عرفة عن ست وسبعين سنة (٣) ، وبما أنه ذكر وفيات سنة

---

(١) مرآة الجنان - اليافعى - دار المعارف - ج ٣ ص ٢٦٩ .
وفيات الأعيان - ابن خلكان - دار صادر - ج ٥ ص ١٦٨ .
(٢) معجم الأدباء - ياقوت - دار المأمون - ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) البداية والنهاية - ابن الاثير - مطبعة السعادة ج ١٢ ص ٢١٩ .

ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فتكون سنة ولادته على رأيه سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، ولم أجد مايؤيد هذا الرأى فى جميع المراجع التى تحدثت عن الزمخشرى ، لذلك أستبعد كل الاستبعاد ماذهب اليه ابن الاثير ، وهو وهم منه .

" ... أما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر" (١)

بهذا القول الموجز يخبرنا الزمخشرى — رحمه الله — عن مكان ولادته ، وكذلك يقول ابن أخته : " وله خالى بزمخشر من أعمال خوارزم ..." (٢) .

فاذا طمح بنا الفكر الى تلك البقعة لنجلو بعض خصائصها ، ونتبين معالمها ، فعلينا ان ننتقل الى الأقاليم الشرقية من العالم الاسلامى ، وان نطالع أقوال المؤرخين والرحالة عن تلك البقعة النائية التى انجبت مثل هذا العالم الجليل .

وأول مايطالعنا من معالم هذه المنطقة نهر (جيحون) ، وعنه يقول ابن بطوطة : " وبخارج خوارزم نهر (جيحون) وهو يجمد فى اوان البرد ، ويسلك الناس عليه ، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر ، وربما سلكوا عليه عند أخذه فى الذوبان فهلكوا . ويسافر فيه فى أيام الصيف بالمراكب الى (ترمذ) ، ويجلبون منها القمح والشعير ، وهى مسيرة عشر للمنحدر" (٣) .

وهذا الكلام يدل على شدة البرد فى تلك البلاد ، ويخبرنا ابن بطوطة انه عانى الكثير من هذا البرد حتى انه كان يتوضأ بالماء الحار بالقرب من النار ، فما تقطر من الماء قطرة الا جمدت لحينها ، واذا غسل وجهه

---

(١) معجم البلدان — ياقوت — مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ — ج ٤ ص ٣٩٩ .
(٢) معجم الادباء — ياقوت — دار المأمون — ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) مهذب رحلة ابن بطوطة — المطبعة الاميرية ببولاق — سنة ١٩٣٤م — ج ١ ص ٢٩٧ — أحمد العوامرى بك — ومحمد احمد جاد المولى بك .

ووصل الماء الى لحيته جمد ، فيسقط منها شبه الثلج ، والماء الذى ينزل من الانف يجمد على الشارب (١) . والابلغ من هذا هو سقوط الاطراف من شدة البرد ، فابن خلكان يخبرنا انه شاهد خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم من شدة البرد فيقول : " ... والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر فى الاطراف فى تلك البلاد فتسقط ، خصوصا خوارزم ، فانها فى غاية البرد ، ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب ، فلا يستبعده من لم يعهده " (٢) .

وبعد هذا البرد الشديد يأتى الربيع بما فيه من خصب وخيرات ؟ وتطالعنا أقوال الرحالة والمؤرخين فى هذا المجال ، بأن البلاد وافرة الخيرات ، كثيرة الثمار جميلة المنظر ، فياقوت يقول عنها : " وكنت قد جئتها سنة ٦١٦ هـ ، فما رأيت ولاية قط أعمر منها ... متصلة العمارة ، متقاربة القرى ، كثيرة البيوت المفردة والقصور فى صحاريها ، قل ما يقع نظرك فى رساتيقها (٣) على موضع لاعمارة فيها ، هذا مع كثرة الشجر بها .... وأكثر ضياع خوارزم ، مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين " (٤) . أما ابن بطوطة فيقول : " وصلنا الى خوارزم وهى أكبر مدن الاتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها ، لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة ، وهى ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر " (٥) . أما المقدسى فيقول : " هى كورة جليلة واسعة كثيرة المدن

---

(١) مهذب رحلة ابن بطوطة — المطبعة الاميرية ببولاق — سنة ١٩٣٤م — جـ ١ ص ٢٩٧ — أحمد العوامرى بك — ومحمد احمد جاد المولى بك .

(٢) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر — جـ ٥ ص ١٦٩ .

(٣) الرزتساق والرستاق واحد فارسى معرب ، ألحقوه بقرطاس ، والجمع رساتيق وهى السواد . (اللسان : رستق) .

(٤) معجم البلدان — ياقوت — دار صادر سنة ١٩٥٦م جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) مهذب رحلة ابن بطوطة — أحمد العوامرى وزميله — المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٣٢م جـ ١ ص ٢٩٧ .

متدة العمارة ، ... فيها المنازل والبساتين ، كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات مفيدة لأهل التجارات "(١) .

وعلى بعد أربعة أميال من خوارزم(٢) تطالعنا قرية تسمى زمخشر بفتح أوله وثانيه ثم خاء معجمة وراء مهملة ، وقد تضاربت أقوال الرواة حولها ، فبينما يخبرنا الزمخشري انها قرية مجهولة ، يقول عنها ياقوت : " انها قرية جامعة "(٣) ، ويقول السمعاني في الانساب : " انها قرية من قرى خوارزم كبيرة مثل بليدة ، بت بها ليلتين في توجهي الى خوارزم وانصرافي عنها "(٤) . وبينما يخبرنا ابن بطوطة انها على بعد أربعة أميال كما مر ، نجد في أنباه الرواة يقول القفطي : " ... وسمعت بعض التجار يقول : أنها قد دخلت في جملة المدينة ، وان العمارة لما كثرت وصلت اليها وشملتها ، فصارت من جملة محالها "(٥) . ونستطيع أن نوفق بين هذه الأقوال ، بأن زمخشر كانت قرية صغيرة بجوار خوارزم ، ومع تقدم الزمن وانتشار العمران ، نمت المدينة وكبرت ونمت القرية وكبرت ، حتى التقى العمران واتصل البنيان ودخلت القرية ضمن المدينة وصارت جزءا منها .

وحدث الزمخشري قال : " سمعت أبي قال : اجتاز بزمخشر اعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها ، فقيل له زمخشر والرداد ، فقال : لاخير في شر ورد ، ولم يلمم بها ، أخذ شرا من زمخشر وردا من الرداد "(٦) .

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم — المقدسي — مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩م ص ٢٨٤ .

(٢) مهذب رحلة ابن بطوطة جـ ١ ص ٢٩٨ .

(٣) معجم البلدان — ياقوت — مطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ جـ ٤ ص ٣٩٩ .

(٤) الانساب — السمعاني — مطبعة دائرة المعارف العثمانية / حيدرآباد جـ ٦ ص ٣١٥ .

(٥) أنباه الرواة للقفطي — دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ — جـ ٣ ص ٢٦٥ .

(٦) معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٩ ، وفيات الاعيان جـ ٥ ص ١٧١ ، معجم الادباء ١٢٧/١٩ .

ولقد لخص المقدسي وصف هذه القرية بقوله : " ... وزمخشر صغيرة ، عليها حصن وخندق وحبس وأبواب محددة ، والجسور ترفع ليلة ، والجادة تشق البلد ، والجامع ظريف بطرف السوق " (١) .

ففي هذه القرية الصغيرة الجميلة المحصنة الهادئة ، رأى شاعرنا النور لأول مرة ، وماكانت هذه القرية تعلم ، ولا كان يعلم أهلها ، بأن هذا الطفل الصغير سيكون سببا في شهرتها وعلما دالا عليها حتى طن ذكرها في الآفاق على مدى الأيام والدهور ، فابن وهاس (١) يقول في مدح الزمخشري :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأها دارا فداء زمخشرا
واحر بأن تزهى زمخشر بامرئ ... اذا عد في أسد الشرى زمخ الشرى تكبر
فلولاه ماطن البلاد بذكرها ... ولا طار فيها منجدا ومغورا
فليس ثناها بالعراق واهله ... باعرف منه في الحجاز واشهرا (٢)

ولبعض أفاضل المشرق :

فلو وازن الدنيا تراب زمخشر ... لانك منها زاده الله رجحانا (٣)

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - المقدسي - مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ م ص

(٢) ازهار الرياض في اخبار عياض - المقري سنة ١٣٦١ هـ ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٣) نفس المرجع السابق .

(١) ابن وهاس الحسني : أمير مكة علي بن عيسى

الزمخ : الشامخ بأنفه (مقاييس) القاموس مادة زمخ

نشأته المبكرة :

أما نشأته المبكرة فكانت حيث يقيم والداه فى زمخشر ، وأرجح أنه تلقى تعليمه الأولى فى بيئته هذه ، ولا يفوتنا أنه ولد فى زمن السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وأن عصرهما — كما بينا — كان من العصور التى نهضت فيها الآداب والعلوم ، وكان الآباء يحرصون على تعليم ابنائهم لينالوا المراكز الرفيعة فى الدولة وعند السلاطين ، وأوضح شئ فى نشأته العلمية تتلمذه على استاذه محمود بن جرير الضبى الأصفهانى أبى مضر النحوى — " الذى كان يلقب فريد العصر ، وكان وحيد دهره وأوانه فى علم اللغة والنحو يضرب به المثل فى أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرا وتخرج عليه جماعة من الأكابر فى اللغة والنحو ، وهو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه "(١) .

ونجد أن تأثير الاستاذ على تلميذه كان كبيرا ، ففى مجال النحو واللغة شارك الزمخشرى بكتابين جليلين هما المفصل واساس البلاغة كما ان تأثير الاستاذ على التلميذ لم يقتصر على الناحية العلمية فحسب بل تعداه الى الناحية العقائدية ، فالتلميذ يتبع استاذه فى تمذهبه بمذهب المعتزلة ، حتى انه شب متحمسا للاعتزال مذيعا لتعاليمه مجاهرا به فيروى عنه انه كان اذا قصد صاحبا له واستأذن اليه فى الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن : قل له أبو القاسم المعتزلى بالباب "(٢) .

---

(١) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الطبعة الاخيرة ج ١٩ ص ١٢٣ — ١٢٤

(٢) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر ج ٥ ص ١٧٠ .

وقد حفظ التلميذ للاستاذ الفضل طول حياته ، فهو يقول من قصيدته فى رثائه (١) :

فقلت لطبعى هات كل ذخيرة فمن أجله مازلت أدخر الذخرا
وابرز كريمات القوافى وغرها فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا

وفى قصيدة أخرى يمدح بها استاذه ، يذكر أرومته العربية لأن أستاذه كان عربيا معتزا بعروبته (٢) :-

مساعى فريد الدهر مستغرباتها معطلة أن قويست كل مقياس
جرير من السيد بن ضبة فى الذرى وضبة من أد بن الياس فى السراس
هم ديمة منهلة ساعة الندى وهم شهب منقضة ساعة البأس

ولكن نفس الزمخشرى الطموحة الى نيل المعرفة لم تكتف بما فى هذه البيئة من علوم ومعارف ، فنجده يذهب الى بخارى لطلب العلم ، ففى روايته عن سبب قطع رجله يقول : " ... فلما رحلت الى بخارى فى طلب العلم سقطت عن الدابة فى أثناء الطريق ... " (٣) وبخارى كما يصفها الثعالبى " ... مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان ومطلع نجوم ادباء الارض وموسم فضلاء الدهر " (٤) .

ولاتسعفنا المراجع بأكثر من هذا عن نشأة الزمخشرى المبكرة ، أو عن الزمخشرى طفلا قبل أن يصبح شابا ويتصل بالوزراء والعلماء ويذيع أسمه حيث ان التاريخ لايلتفت الى كل (أى) مولود فى هذا الوجود الا اذا كان من أبناء الملوك والامراء ، أما عامة الناس فلا يلتفت اليهم الا عندما يفرضون

---

(١) الديوان ٣٤/٤٠ ، ٣٥ .
(٢) الديوان ٣١/٢٩ ، ٦ .
(٣) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٧٠ .
(٤) يتيمة الدهر — الثعالبى — تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج ٤ ص ١٠١ .

أنفسهم عليه بأعمالهم الجليلة التى تجمل الناس يشيرون اليهم بالبنـــان وعندها يهيئ لهم التاريخ طرفا من عينه ليسجل لهم بعض ما يقدمـــون لأمتهم وللاجيال من بعدهم •

وبهذا التعليل نستطيع أن نبين سبب غموض الفترة الأولى مـــن حياة شاعرنا فى جميع المراجع التى ترجمت له •

أسرتــــه :

كما لاحظنا اثناء البحث عن نشأته المبكرة ، ان الغموض يلف هـــذه النشأة فى ثناياه ، كذلك هذه بحثنا لرسم صورة عن الأسرة التى شب فيها الزمخشرى ، وجدنا أن الظلام كثيف وان الغموض يحيط بها من كل جانب باستثناء بصيص من نور ضئيل تسلل عبر هذا الظلام الكثيف ، وكان مصدره بعض أبيات للشاعر مبثوثة خلال ديوانه تحدث فيها عن بعـــض أفراد هذه الاسرة التى لم يذكر عنها التاريخ شيئا ، وعلى هذا الضــوء البسيط نحاول ترسم خطانا بكل حيطة وحذر .

وأول مايطالعنا من صفات هذه الأسرة انها متدينة وذات تقــوى ، وقد اشتهر ذلك عنها بين الناس ، فشهدوا لها بالصلاح ، فهـــو يقول عن الخمر من قصيدة لــه :—

هات التى شبهت ظلما بشمس ضحى — لو عارضتها لغطتها باشــراق
استغفر الله أنى قد نسبت بهــــا — ولم أكن لحمياها بــــذواق
ولم يذقها أبى كلا ولا احــــــد — من أسرتى واتفاق الناس مصداقى (١)

أما عن أفراد هذه الأسرة ، فنجد أن الوالدة ذات عاطفة رقيقـــة توجه ابنها منذ نعومة اظفاره الى أن يكون راعيا لله فى خلقه حتى مع الحيوان الضعيف ، فهو يروى عن سبب قطع رجله فيقول : " كنت فـــى صباى أمسكت عصفورا وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى ، فأدركتـــه وقد دخل فى خرق فجذبته فانقطعت رجله فى الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله ... " (٢) . وقد اعتقـــد

---

(١) الديوان ١٠٤/ ٥، ٦، ٨ .
(٢) وفيات الاعيان — ابن خلكان — دار صادر جـ ٥ ص ١٧٠ .

الزمخشري ـ عندما قطعت رجله ـ أن الله استجاب لدعاء أمه لصلاحها وتقواها ، لذلك فهو يتصورها مقيمة في الجنة ناعمة البال ، فهو يقول :

ابني اني في الجنان مقيمة … اختال بين ظليلة الأفياء
حر الجحيم رضا الرحيم أعاذني … منه وانزلني مع الصلحاء
في جنة الفردوس فوق اريكة … في قبة من وردة زهراء
من كان في دار السلام حلوله … أنىّ يرى في الضيق والظلماء
واعلم بأني قد دعوت الله أن … تعطي رضاه فاستجاب دعائي (١)

أما بالنسبة للوالد فقد كان عالما أديبا قد تمكن من نفسه الدين فهو يقوم الليل ويصوم النهار ، صاحب خلق مصفى في عز الشباب فهو يقول عنه :

فقدته فاضلا فاضت مآثره … العلم والأدب المأثور والورع
أخا طباع صفاة مناسبة … ماء السحابة ما في بعضها طبع
وذا حقائق لا في لحظه طلب … لغير رشد ولا في لفظه قذع
لم يأل ما عاش جدا في تقاه يرى … أن الحريص على دنياه منخدع
صام النهار وقام الليل وهو شج … من خشية الله كابي اللون ممتقع
من المروءة في علياء متسع … صدرا وان لم يكن في المال متسع
قريب عهد بوخط الشيب عارضه … اثر الشباب ووحف الشعر متبع (٢)

وهو يخبرنا أيضا أن والده كان سجينا لدى مؤيد الملك ، ولم يذكر لنا سبب سجنه ، وهو يستشفع لدى مؤيد الملك ليطلق سراح هذا الوالد

---

(١) الديوان ٥/١٩٤ .

(٢) الديوان ١٧/١٢٤ .

الشاب من أجل تقواه وصلاحه ومن أجل عياله الصغار ، فيقول :

اكفى الكفاة مؤيد الملك الـذى ... خضع الزمان لعزه وجلالـه
ارحم ابى لشبابه ولفضلـه ... وارحمه للضعفاء من أطفالـه
ارحم اسيرا لو رآه من العـدى ... اقساهم قلبا لرق لحالـه
ما اطول الليل الذى يفنيه فـى ... سهر واطول منه ليل عيالـه
يشكو قيودا قصرت من خـطوه ... وسلاسلا حكمت بضيق مجالـه
ماضر مثلك لو عفا عنه فمـن ... دأب الكرام العفو عن أمثالـه
هب انه ممن أساء فما لـه ... غلب الرزانة منك سوء فعالـه (١)

ولقد توفى وهو قريب عهد بالشباب ، والظاهر انه توفى اثر سجنـه حيث انه سجن شابا ثم توفى وهو قريب العهد بالشباب ، ويبكى فيـه العلم والادب والورع والفقر فى المال — كما مر معنا فى مرثيته السابقة — فى قولـه :

فقدته فاضلا فاضت مآثـره ... العلم والأدب المأثور والـورع
قريب عهد بوخط الشيب عارضـه ... اثر الشباب ووحف الشعر متبـع (٢)

ويخبرنا الزمخشرى ان والده قد توفى وهو بعيد عنه ، وأن الوالد كـان يتحمل لوعة الفراق والبعد عن ولده رغبة فى تعليم هذا الابن وتهذيبـه فهو يقول :

وان مما قرانى حسرة وأسـى ... وضافنى الكرب من جراه والوجـع
ان عاقنى شحط دار عن تفقـده ... حتى قضى وهو من ذكراى ملتـذع
ياحسرتا اننى لم ارو غلتـه ... وغلتى بزمان فيه نجتمـع
قد كنت اشكو فراقا قبل منقطعـا ... وكيف لى بعده بالعيش منتفـع (٣)

---

(١) الديوان ١/١٩٧ .
(٢) الديوان ١٧/١٢٤ .
(٣) الديوان ٣١/١٢٤ .

ولم يكتف الزمن بأن يختطف من الزمخشري أباه وأمه وهو لا يزال غض الاهاب ، بل يبتلى صبره باختطاف العديد من أفراد أسرته فنجده يقول :

ما للنوائب لا ينفك ديدنها غمى وهجيرها قهرى واذلالى (١)
أودت بجدى وما ابقت أخى وطوت عمى وصادت بأسباب الردى خالى

فهو فى البيت الثانى يذكر لنا فجيعته بجده وأخيه وعمه وخاله .
ثم نجده يرثى خالا له آخر فيقول :

ياخير خالين انى بعد فقدكما من لوعة وأسى فى شر حالين (٢)
وان فرقة خال واحد حطمت ظهرى فكيف اذا فارقت خالين

ان هذه المعلومات عن هذه الاسرة مع قلتها ، تكشف لنا عن اسرة فقيرة تقية ظفرت بحظ من علم وأدب ، وقد مضى أكثر افرادها فى حياة الزمخشرى الذى امتحن بموتهم الواحد تلو الآخر .

---

(١) الديوان ١٢٥/١٠/١١ .
(٢) الديوان ١٢٦/٢٠١ .

((الفصل الثانى))

الثقافة والرحلة والملاقات

١ ـ أول نظمه للشعر .

٢ ـ شيوخه .

٣ ـ تلاميذه .

٤ ـ رحلاته .

٥ ـ اجازاته ومراسلاته .

٦ ـ ثقافته وآثاره ـ المطبوعة والمخطوطة وغير المعروفه .

٧ ـ وفاته .

: : : : :

أول نظمه الشعر :

لقد تلقى الزمخشري العلم على يد استاذه الضبي وكان هذا مقربا من نظام الملك ، فحاول الاستاذ أن يقدم تلميذه الى نظام الملك لأن التلميذ على مذهب الاستاذ في الاعتزال .

أخذ الزمخشري في مطلع حياته في مدح هذا الوزير وفي ذكر استاذه بخير ، وكان يقصد من ذلك أن ينال عند الوزير حظوة مثل بقية العلماء . واذا ماعرفنا أن نظام الملك قد توفى سنة ٤٨٥ هـ (١) ، وأن الزمخشري قد ولد سنة ٤٦٧ هـ أي أن الزمخشري كان عند وفاة الوزير في ريعان الشباب ، بين السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره .

واذا مارجعنا الى مدائحه في نظام الملك وجدنا أنها تقسم ثلاثة أقسام : النوع الأول يثني فيه على نظام الملك ويثني على استاذه الضبي ، ويجعل منه صلة بينه وبين الوزير ، والنوع الثاني : يثني فيه على نظام الملك ويعتز بعلمه وأدبه ، وانه يستحق أن ينال لديه مايناله من هم أقل منه شأنا وعلما . والنوع الثالث : يظهر فيه التبرم وخيبة الامل واضحة فيه .

لذلك أقرر ان النوع الأول من هذه المدائح ، هو الاول من حيث الزمن ، حيث ان الزمخشري كان يتقرب بهذا الشعر لعله بوساطته وبوساطة استاذه يستطيع الدخول الى ساحة الوزير ، الذي كان يقرب العلماء ويبسط عليهم حمايته ، ويغدق عليهم من أموال الدولة ، ويجعل ذلك حقا مرسوما لهم ، ويوليهم المناصب والدرجات العالية في وظائف الدولة . ولما لاحظ ان الوزير لايعيره اهتمامه ، انتقل الى النوع الثاني

---

(١) معجم الانساب والأسرات الحاكمة — زامباور — مطبعة جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ ص ٣٣٣ .

لعله يجلب انتباهه ، ولما وجد أن الوزير غافلا أو متغافلا عنه انتقل الى النوع الثالث الذى اظهر فيه تبرمه وتهديده بالرحيل عن خوارزم كلها .

واذا كانت كل مرحلة من هذه المراحل تحتاج الى فترة كافية من الزمن ، رأينا أن شعره الأول فى مديح نظام الملك كان مابين سنة ٤٨٠ هـ و ٤٨٣ هـ . وعمر الزمخشرى فى هذه الفترة كان من بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، ولا أعتقد ان الزمخشرى قال شعرا ناضجا جيدا قبل هذا الوقت .

وهذه بعض النماذج من هذا الشعر المبكر ، يقول الزمخشرى فى احدى قصائده فى مدح نظام الملك ذاكرا فضل استاذه الضبى عليه :ـ

اليك نظام الملك شكواى فاستمع الى بث مجذوذ المعايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنوبه ببائقة تنحس عليه ببركها
ولو لم يلى الضبى عنى عراكها لنالت يد البلوى أديمى بعركها (١)

وفى قصيدة أخرى يبين الصلة القوية بين وبين الوزير ويستشفع بها لدى الوزير فيقول :ـ

ثنائى لصدر الملك ماعشت دائم وان دعائى مثله فى دوامه
جعلتهما وردى نهارى وليلتى كفعل الفتى فى صومه وقيامه
وكان فريد العصر عبدا مقربا وما أنا الا هضبة من شمامه
فان يرعنى المولى بحسن اصطناعه فقد تمم المولى قضاء ذمامه (٢)

---

(١) الديوان ٢٦/١٨ .
(٢) الديوان ٣٢/١٧ .

ونجد في قصيدة أخرى مايشير الى انه اتصل بنظام الملك ونال عطاءه فهو يقول :

اليك ربيب الملك اشكر انعما لبنانك هطالا على ربابها
ودائمة مني لك الدعوة التي يجوب السماوات العلى مستجابها (١)

وبما أن الديوان لم يسعفنا بترتيب الشعر زمنيا ، وكذلك كتب التراجم ، لذلك أرجح أن هذا الشعر أول ماقال الزمخشري .

(١) الديوان ٣٩/١٦ .

شيوخـــه :

ماكان الزمخشرى صاحب هذه الثقافة الواسعة والمتعددة الألوان ، ان يحصل على كل هذه المعارف دون مشافهة علماء عصره ليتلقى العلم منهم بالاضافة الى اطلاعه على كتب سابقيه ومؤلفاتهم وتسرد لنا المراجع التى بين أيدينا بعض شيوخ الزمخشرى الذين اتصل بهم وسمع منهم أو قرأ عليهم ، ففى أثناء وجوده بخوارزم نجد انه كان تلميذا لمؤدب أهل خوارزم الحسن بن المظفر النيسابورى الذى يقول عنه ياقوت : " أبو على أديب نبيل ، شاعر مصنف ... أثنى عليه أبو احمد محمود بن ارسلان فى تاريخ خوارزم ثناء طويلا زعم فيه انه كان مؤدب أهل خوارزم فـــى عصره ، ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشار اليه منهم ، وهو شيخ أبى القاسم الزمخشرى قبل أبى مضر ، ولـه نظم ونثر .

ولـه من التصانيف ديوان الأدب ، وتهذيب اصلاح المنطق وديوان شعر وديوان رسائل ، وكتاب محاسن من اسمه الحسن ، وكتاب زيـــادات اخبار خوارزم " (١) .

وفى خوارزم أيضا تتلمذ على أبى مضر ، محمود بن جرير الضـــبى الأصبهانى (٢) . ويظهر انه أكثر شيوخ الزمخشرى تأثيرا فى نفسه ، فهـــو

(١) معجم الأدباء — ياقوت — مطبعة دار المأمون ج ٩ ص ١٩١—١٩٣ .
(٢) محمود بن جرير الضـــبى الأصبهانى : هو أبو مضر النحوى ، كــان يلقب فريد العصر ، وكان وحيد دهره واوانه فى علم اللغة والنحـــو والطلب ، يضرب به المثل فى أنواع الفضائل ، أقام بخوارزم مـــدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم اخلاقه وأخذوا عنه علما كثيرا ، وتخـــرج عليه جماعة من الاكابر فى اللغة والنحو ، منهم الزمخشرى ، وهـــو الذى أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها ، فاجتمع عليـــه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه ، منهم أبو القاسم الزمخشرى ، ولست أعرف له مع نباهة قدره وشيوع فكره مصنفا مذكورا ، ولا تأليفا مأثـــورا الا كتابا يشتمل على نتـــف وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب (معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الطبعة الأخيرة ج ٩ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

يذكره كثيرا في ديوانه ، ويلاحظ أيضا أن الاستاذ كان يرعى تلميذه ويساعده كثيرا ، فيقول الزمخشري فيه :

اليك نظام الملك شكواي فاستمع الى بث مجذوذ المعايش ضنكها
ولو لم يلن الضبي عنى عراكها لنالت يد البلوى اديمى بمركها (١)

ويظهر حب الزمخشري لهذا الاستاذ في مراثيه له بعد وفاته سنة ٥٠٧ هـ . فهو يقول :—

فقلت لطبعى هات كل ذخيرة فمن أجله مازلت أدخر الذخرا
وأبرز كريمات القوافي وغرها فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا (٢)

ورثاه أيضا بقوله :

وقائلة ماهذه الدرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت : هو الدر الذى قد حشا به أبو مضر اذنى تساقط من عينى (٣)

وتأتي سنة ٥١٢ هـ ، ويمرض الزمخشري وينقطع لنفسه ويراجع سجل حياته فيصمم على تغيير سلوكه ، ويرحل الى بغداد ويناظر بها (٤) ، ويسمع الحديث من أبي الخطاب بن البطر (٥) ، ومن أبي سعد الشقاني وشيخ الاسلام أبي منصور الحارثي (٦) واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني (٧) ،

---

(١) الديوان ٢٦/١٨ ، ٢٨ .
(٢) الديوان ٤٠/٣٤ ، ٣٥ .
(٣) الديوان ٢٥١/٤١ ، وفيات الأعيان ٢٥٨/٤ ، معجم الأدباء ١٢٤/١٩ شذرات الذهب ١٢٠/٤ ، مرآة الجنان ٢٧٠/٣ ، أنباه الرواة ٢٦٧/٣ .
(٤) المختصر في أخبار البشر — ابو الفدا — القسطنطينية سنة ١٢٨٦هـ ج ٣ ص ١٧ .
(٥) طبقات المفسرين — السيوطي — أوروبا — ص ٤١ .
(٦) بغية الوعاة — السيوطي — مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ ص ٣٨٨ .
(٧) هو قاضي القضاة أبو الحسين الدامغاني ، على بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد بن على الحنفي ، ولى القضاء اربعا وعشرين سنة ، وكان ذا حزم ورأي وسؤدد ، وهيبة وافرة وديانة ظاهرة . (مرآة الجنان — اليافعي — دار المعارف — حيدر آباد — أولى ج ٣ ص ٢٠٤) .

وبالشريف ابن الشجري (١) .

وفى جواره الاول فى مكة قرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابرى المتوفى سنة (٥١٨ هـ) (٢) ، يقول ابن حيان : " ... رحل من خوارزم فى شيبته الى مكة — شرفها الله تعالى — لقراءة كتاب سيبويه على رجل من أصحابنا من أهل جزيرة الأندلس كان مجاورا بمكة وهو الشيخ الامام العلامة المشاور أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله الاندلسى ... من بلاد جزيرة الاندلس ، فقرأ عليه الزمخشري جميع كتاب سيبويه (٣) .

---

(١) ابن الشجرى : هو هبة الله بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن على بن أبى طالب ، أبو السعادات المعروف بابن الشجرى البغدادى . كان أوحد زمانه وفرد أوانه فى علم العربية ومعرفته اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها متضلعا فى الأدب كامل الفضل ... اقرأ النحو سبعين سنة . وصنف الامالى والانتصار على ابن الخشاب ، وكتاب الحماسة ، وشرح التصريف الملوكى ، وشرح اللمع لابن جنى النحوى ، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وغير ذلك .
توفى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٤٢ هـ .
ومن شعره :

لاتمزحن فان مزحت فلا يكن مزحا تضاف به الى سوء الأدب
واحذر ممازحة تعود عداوة ان المزاح على مقدمة الغضب

(معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — اخيرة — ج ١٩ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

(٢) قال فى البلغة : نحوى أصولى فقيه ، روى عن أبى الوليد الباجى وقرأ عليه الزمخشرى بمكة كتاب سيبويه ، وشرح رسالة أبى زيد ، ورد على ابن حزم ، مات سنة ثمانى عشرة وخمسمائة .
(بغية الوعاة — السيوطى — عيسى البابى الحلبى — اولى سنة ١٣٨٤ هـ ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) البحر المحيط — ابن حيان — ج ٤ ص ٣٧٢ .

وأثناء عودته من مكة بعد جواره الثاني ، مر ببغداد سنة ٥٣٣ هـ ، وقرأ بعض كتب اللغة على أبى منصور الجواليقى (١) . فابن خلكان يروى عن أبى اليمن زيد بن الحسن الكندى قوله : " قدم علينا (يعنى الزمخشرى) بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيته عند شيخنا أبى منصور الجواليقى مرتين قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها لانه لم يكن لـه على ماعنده من العلم لقاء ولا رواية " (٢) .

وهذا يدلنا على أن شاعرنا وهو ابن السادسة والستين يجلس مجلس التلميذ من استاذه لنيل العلم والمعرفة ، وهذا يدل على نفسه التواقة الى نيل العلم والمعرفة ولايمنعه الضعف والكبر من ذلك فجزاه الله عنا خيرا .

---

(١) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الجواليقى ... من ساكنى دار الخلافة ، أمام فى الفقه والنحو والادب ، وهو من مفاخر بغداد ... وهو متدين ، ثقة ، غزير الفضل ، وافر العقل صنف التصانيف وانتشرت عنه ، مثل : شرح أدب الكاتب ، والمعربه، وتتمة درة
وكان مولده فى سنة ٤٦٦ هـ . وتوفى رحمه الله يوم الاحد الخامس عشر من المحرم سنة ٥٣٩ هـ .
(أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية ـ طبعة سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٣٣٥) .

(٢) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ ج ١ ص ٢٤٥ .

تلاميـــذه :

لقـد انقطع الزمخشرى للدراسـة وتلقى العلم ، واخلص فى ذلـــك حتى فضله على الزوجة والولد ، لذلـك بلغ فيه مبلغا جعله قبلـــه طلاب العلم يتجهون اليه من كل مكان لينهلوا من علمه الغزير ، حـــتى اننا نجده يصور نفسه بالكعبة والطلاب يحفون به مثل الطائفـين .

ألم تر انى حيثما كنت كعبـــة يحف بى كالطائفين طوائفـــا
فشرقيهم يهوى الى النور تابســا وغربيهم يسعى الى البحر غارفـــا (١)

هذا رأيه فى نفسه ، فما رأى العلماء الذين ترجموا له فى هـــذا الموضوع ؟

يخبرنا عنه ياقوت بقوله : " ... كان اماما فى التفسير والنحو واللغـة والأدب ، واسع العلم كبير الفضل متفننا فى علوم شتى .. " (٢).

اما ابن خلكان يقـول : (أبو القاسم الزمخشرى ، الامام الكبير فـى التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ، كان امام عصره من غير مدافع ، تشد اليه الرحال فى فنونـه ... " (٣).

ويقول السمعانى : " .. كان يضرب بـه المثل فى علـم الأدب والنحو ، لقى الافاضل والكبار .. وظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذة " (٤).

ويخبرنا القفطى عنه بقوله : " ... وكان — رحمه الله — ممن يضرب به المثل فى علم الادب والنحو واللغة ، لقى الافاضل والاكابر ... دخـل

---

(١) الديوان ٩٣/٧٥ .
(٢) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج ١٩ ص ١٢٦ .
(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — ج ٥ ص ١٦٨ .
(٤) الانساب — السمعانى — مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيـة حيدرآباد — اولى سنة ١٢٨٦ ج ٦ ص ٣١٦،٣١٥ .

خراسان ، وورد العراق ، وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتلمذوا له واستفادوا منه . وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب ، امام بخوارزم تضرب اليه اكباد الابل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ....(١) .

من هذه الاقوال نرى ان الزمخشري لم يكن مبالغا في وصف متامه في البيتين السابقين ، وقوله من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن نظام الملك :—

بنو خلف في المكرمات خلائف وانى في خوارزمهم كعبة الأدب(٢)

فالزمخشري مدرسة يتخرج منها الطلاب في الشرق والغرب ، ولقد ذكرت لنا المراجع عددا من هؤلاء الطلاب نذكر منهم — على سبيل المثال لا الحصر — طائفة تردد ذكرها في أكثر من مرجع .

يقول السمعاني : " .. وروى لي عنه أبو المحاسن اسماعيل بن عبد الله الطويلي بطبرستان ، وأبو المحاسن عبد الرحمن بن عبد الله البزار بأبيورد ، وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر ، وأبو سعد احمد بن محمود الشاتي بسمرقند ، وأبو طاهر سامان بن عبد الملك الفقيه بخوارزم وجماعة سواهم "(٣) .

ومن تلاميذه أيضا الموفق بن احمد بن أبي سعيد المعروف بأخطب خوارزم ، كان متمكنا في العربية غزير العلم فقيها اديبا شاعرا(٤) .

(١) أنباه الرواة — القفطي — دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ ج ٣ ص٢٦٥ ، ٢٦٦
(٢) الديوان ٢/٤٩ .
(٣) الانساب — السمعاني — حيدرآباد — ط أولى سنة ١٢٨٦ ج ٦ ص ٣١٦ .
(٤) هو الموفق بن احمد بن محمد المكي الاصل أبو المؤيد خطيب خوارزم اديب فاضل له معرفة تامة بالادب والفقه ، يخطب بجامع خوارزم سنين كثيرة ، وينشئ الخطب ، أقرأ الناس علم العربية وغيره ، وتخرج به علماء في الأدب ، منهم ، أبو الفتح ناصر ابن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي توفي الموفق بخوارزم في حادي عشر صفر سنة ثماني وستين وخمسمائة .
(أنباه الرواة — القفطي — دار الكتب المصرية — ١٣٧٤ هـ — ج ٣ ص ٣٣٢)

وتلمذ له أبو يوسف يعقوب بن على بن محمد بن جعفر البلخى ، أحد الائمة فى النحو والأدب ، أخذ عنه ولزمه (١) .

وتلمذ له على بن محمد بن على بن أحمد بن مروان العمرانى الخوارزمى أبو الحسن الاديب ، الذى يلقب حجة الافاضل وفخر المشايخ (٢) .

ومن تلاميذه أيضا محمد بن أبى القاسم بايجوك ، أبو الفضل البقالى الخوارزمى الآدمى الملقب زين المشايخ (توفى ٥٦٢ هـ) النحوى الأديب كان اماما فى الأدب وحجة فى لسان العرب ، اخذ اللغة وعلم الاعراب عن أبى القاسم الزمخشرى ، وجلس بعده مكانه (٣) .

---

(١) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة — ج ٢٠ ص ٥٥ .

(٢) توفى فيما يقرب سنة ٥٦٠ هـ . ذكره أبو محمد بن ارسلان فى تاريخ خوارزم من خطه فقال : العمرانى حجة الافاضل سيد الأدباء قدوة مشايخ الفضلاء المحيط بأسرار الادب ، والمطلع على غوامض كلام العرب ، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشرى ، فصار أكبر أصحابه واوفرهم حظا من غرائب آدابه ، لايشق غباره فى حسن الخط والحفظ ، ولايسبح عذاره فى كثرة السماع والحفظ ، سمع الحديث من فخر خوارزم والامام عمر الرحجانى وكان ولوعا بالسماع كتوبا ، وجعل فى آخر عمره أيامه مقصورة واوقاته موقوفة على نشر العلم وافادته لطالبيه ، وافاضته على الراغبين فيه . (معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة — ج ٥ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٣) هو محمد بن أبى القاسم الخوارزمى النحو المعروف بالبقالى ، وهو البقال الذى يبيع الاشياء اليابسة ، والعجم يزيدون الياء وهى زيادة العجم لانسبه ، كان اماما فاضلا فقيها متاظرا خبيرا بالمعانى والبيان ، أخذ عن جار الله محمود الزمخشرى ، وله مصنفات منها الفتاوى ، وجمع التفاريق ، وكتاب التفسير ، وكتاب التراجم بلسان الأعاجم وشرح الاسماء الحسنى ، ومفتاح التنزيل ، وكتاب الترغيب فى العلم وكتاب اذكار الصلاة ، وكتاب آفات الكذب والهداية فى المعانى والبيان والتنبيه على اعجاز القرآن وغير ذلك ، مات بجرجانية خوارزم سنة ٥٧٦ هـ وقد نيف على التسعين — (الفوائد البهية فى تراجم الحنفية — عبد الحى اللكنوى — مكتبة ندوة المعارف — الهند سنة ١٩٦٧ م — ص ١٣٢ .

وأكثر تلاميذ الزمخشري ورودا في شعره ابن وهاس ، على بن عيسى ابن حمزة ، الذي اجتمع فيه الزمخشري بمكة ولقى من اكرامه وتقديره الشيء الكثير ، فمدحه الزمخشري بعدة قصائد سميت الوهاسيات ،نذكر منها على سبيل المثال ، قصيدة رقم (٤) والتي مطلعها :

امن ذات عرق ومضة البرق تخفق　　كنبضة عرق فالفؤاد مشوق

وفيها يقول :

وان ابن وهاس ونعمته التي　　يطوقنيها بالاشادة اخلق
وقلدني اطواق شعر كأنها　　سموط بأيدي الخسرويات تنسق

ومنها أيضا قصيدة رقم (٥) والتي مطلعها :

خليلي من عليا تهامة انجدا　　اخا كان غوري الهوى ثم انجدا

وفيها يقول :

ولا كابن وهاس فتى ضم برده　　حساما وضرغاما واخضر مزبدا
فتى هو حال بالمعالي بأسرها　　وقد حليت منه المعالي بأوحدا

ومنها أيضا قصيدة رقم (٦) والتي مطلعها :

فؤادي من الشوق المبرح ريان　　الى حرم الله المعظم ظمآن

وفيها يقول :

وابرح مابي انني شيق الى　　على بن عيسى لاعج الوجد حران
على بن عيسى من يشاهده مرة　　من الدهر لم يرجح بعينيه انسان

وباقتراح ابن وهاس هذا جمع الزمخشري ديوان شعره موضوع دراستنا كما يظهر ذلك في مقدمة الديوان .

وأحب تلاميذ الزمخشري اليه — كما يقول بروكلمان — هو ضياء الدين المكي كتب حوالي ٥٥٠ هـ كفاية النحو في علم الاعراب ، وهو شرح للانموذج (١) .

(١) تاريخ الأدب العربي — بروكلمان — دار المعارف بمصر — ج ٥ ص ٢٣٨ .

رحلاتـــــه :

كان الزمخشري في مطلع حياته طموحا ويأمل أن ينال سلطانا ومرتبة عاليه لعلمه وأدبه ، ولم يكن يقتصر طموحه على نيل المال فقط ، بـل كان يصبو الى نيل المنصب لأنه رأى ان أصحاب المناصب دونه في العلم والخلق ، فسعى الى نظام الملك ليوثق صلته بـه ، وأخذ في مدحـه ، وكان يساعده في ذلك استاذه الضـبي ، ولكن نظام الملك لم يحقـق للزمخشري طموحه وآماله العارض ، ومهما كان السبب في ذلك ، فـان الأيام تمر وآمال الزمخشري تذهب أدراج الرياح ، فنجده يأسى ويتفنى بآلامه من هذه الدنيا التي ترفع الجاهل الحقير التافه ، وتضع العالـم المثقف فيقـول :

خليلي هل تجدي على فضائلـي — اذا انا لم ارفـع على كل جاهل ؟
من الغبن ذو نقص يصيب منـازلا — اخو الفضل محقوق بتلك الفضائل
كفى حزنا أن يرغم الحلم والحجا — تصدر باد طيشـه غيرعاقـل
ومن لي بحقي بعدما وفرت علـي — اراذ لها الدنيا حقوق الأماثـل
كذا الدهر كم شوهاء في الحلي جيدها وكم جيد حسناء المقلد عاطـل (١)

وفي موضع آخر يقـول :

ياحسرتا من لي بصفقـة رابـح — في متجر والفضل راس المـال
ياويح أهل العلم كيف تأخـروا — والسبق كل السبق للجهـال
في ذمة الايام لي دين مـتى — استقصه لاقيت طول مطـال
فالى الهي المشتكي ويصنعـه — دون الانام متواحة آمالـي (٢)

---

(١) الديوان ٢٥/١ـ٥ .
(٢) الديوان ١٧١/١١ .

ثم يبين سبب حزنه بأن مناقبه قد تغنى بها الركبان ، وان قصائده قد طارت فى جميع البلاد ، وان منطقه فى النحو والنقد يفحم أى متكلم فيهما ، ومع هذا فانه اذا نظر فى كفه فلا يجد غير أنامله ، فيتمنى لو انه مستغنيا ولم يكن فخر خوارزم ، أو أنه مرض لصديقه ومسخط لعدوه ، وان يكون أبلة مثل باقل :

وما شجانى ان غر مناقبى ... تغنى به الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدى ... وسارت مسير النيرات رسائلى
ولى فى دقيق النحو والنقد منطق ... اذا قيلته لم ابق قولا لقائل
غنى من الآداب لكننى اذا ... نظرت فما فى الكف غير الأنامل
فياليتنى اصبحت مستغنيا ولم ... اكن فخر خوارزم رئيس الأفاضل
وياليتنى مرض صديقى ومسخط ... عدوى وانى فى فهاهة باقل (١)

ثم يبين ان علومه وآدابه هذه هى صلة قربى بينه وبين الوزير ،ولكن الوزير قد قصر فى رعايته ، فيقول :—

وما حق مثلى ان يكون مضيعا ... وقد عظمت عند الوزير وسائلى
واعظمها انى نسيب نصابه ... اذا عرضت انساب هذى القبائل
وقد كان يرعى الناس حق قبيله ... على عدم القربى وبعد الوصائل
أحظى منقوص ولست بناقص ... وكم كامل حظا وليس بكامل
فلا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى ... اعالى قوم الحقوا بأسافل
ولا تجعلونى مثل همزة واصل ... فيسقطنى حذف ولا راء واصل (٢)

ثم يتحدى نظام الملك بأن يجد له نظيرا فى جميع من يرى ، فيقول :—

فكل امرىء آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى فى جميع المحافل (٣)

---

(١) الديوان ٢٥/٦ (٢) الديوان ٢٥/١٤ــ١٩ .
(٣) الديوان ٢٥/٢٠ .

ويختتم القصيدة بالتهديد بالرحيل عن خوارزم كلها اذا بقى أمره ضاعا ، ويحظى الاراذل بما لايستطيع الوصول اليه ، ويطلب من الوزير بأن يجمله مثل بعض هؤلاء الاراذل فيقول :

لئن كان امرى فى خوارزم ما أرى   فان رحالى فى ظهور الرواحل
وكم قلت ألقى فى وزارتك المنى   وادرك وحدى ما ارتجى كل آمل
ولم ادر ان الارذلين يرون ما   تمنوا وانى لست احظى بطائل
فوقع الى هذا الزمان فانه   غلامك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

من عرض هذه القصيدة يتبين لنا سبب ترك الزمخشرى لخوارزم — التى أحبها حبا جما — لأنها لم تبلغه آماله وحملته الهوان ، وان الحر لايقبل ان يعيش بين الأذلة ، فيصور لنا صراع نفسه بقوله :

أحب بلاد الله شرقا ومغربا   الى التى فيها غذيت وليدا
ولكن تواسى بالكرامة غيرها   وهذى ارى فيها الهوان عتيدا
وما منزل الأذلال للحر منزلا   وان كان عيش الحر فيه رغيدا
سأرحل عنها ثم لست براجع   واضرب مرمى فى البلاد بعيدا (٢)

من هذا نعرف انه قرر ترك خوارزم فالى اية جهة توجه بآماله وتطلعاته ؟

لقد رحل الى خراسان واتصل برجال الدولة هناك ومدحهم لعله يجد عندهم مالم يجده فى بلده ، فنجده يمدح مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الاردستانى الذى استنابه تاج الدولة عنه فى ديوان الطغراء والانشاء فى عهد السلطان جلال الدنيا والدين ابى الفتح ملكشاه ، وصار كاتب الرسائل وكان أوحد عصره ونسيج وحده . (٣)

---

(١) الديوان ٢٥ / ٢١—٢٤ .   (٢) الديوان ٢٧ / ١—٤ .
(٣) تاريخ دولة آل سلجوق: العماد الاصفهانى ص ٥٨ .

وتطلع في مدحته له ان ينظر في كتابيه (شرح أبيات سيبويه) و (الأنموذج) فيقول :ـ

فمنك مجير الدولة المستجار لي — مداواة ادواء وأسو جرائح
تطاسي آمال مراض وجابر — لكسر مهيضات الخطوب الفوادح
فليت رحالي القيت بفنائه — فارتع في نعمائه غير نازح
ويقدح زندا واريا من مناقبي — اذا صلدت كل الزناد لقادح
وفي شرح أبيات (الكتاب) لبعض ما — يرى في صفاتي مجملا أي شارح
و(انموذجا) انفذت منه بنصبه — رجائي ارى فيه وجوه المناجح
اراقب من عين الوزير اطلاعه — عليه وحسبي منه لمحة لامح
جميع ثياب الدهر يبلى جديدها — ويبقى على الأيام ثوب المدائح (١)

وله في مدحه قصيدة أخرى تبلغ اثنين واربعين بيتا (٢) .

واتصل في خراسان بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك ، وكان على ديوان الانشاء والطغراء أيام جلال الدنيا والدين السلطان ابي الفتح ملكشاه ، قال فيه العماد الاصفهاني : " هيهات ان يلد الزمان مثله في دهائه وذكائه ولطفه وظرفه " (٣) .

اتصل به الزمخشري وصب عليه مدائحه فكان من أكثر الممدوحين حظوة عند الزمخشري فقد مدحه بعدد كبير من القصائد والمقطوعات (٤) .

ولكن كما خابت آماله في خوارزم تخيب آماله للمرة الثانية في خراسان فيغادرها متجها الى أصفهان لعله يجد فيها الجاه والمنصب الذي

---

(١) الديوان ٢٠/١١، ١٢، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٨ .
(٢) الديوان ١٩ .
(٣) تاريخ دولة آل سلجوق ـ العماد الاصفهاني ـ ص ٥٧ .
(٤) الديوان ٢٣، ٢٤، ٣١، ٤٩، ٥٨، ٦٤، ٣٥، ١٠١، ١٤٦، ١٠١، ١٠٥، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٠،
٢١٠، ٢٤١، ٢٥٢ .

يرجوه ، وكانت أصفهان آنذاك مقر السلطان السلجوقي محمد بن أبي الفتح ملكشاه[1] المتوفى سنة ٥١١ هـ . وهو الذى قضى على الباطنية[2] ، فمدحه الزمخشري بقوله :

محمد بن ابي الفتح الذى تركت ... أوصافه لكنة في كل منطـــق

ابن السلاطين من أبناء سلجوق ... وابن الغطارف منهم والغرانيـق

لله من عادل من حق سيرتـــه ... ونصرة الحق أن يدعى بفـــاروق

مستوجب من جموع الشرك مبغضة ... محبب في بني الاسلام مرمـــوق[3]

وفي سنة (٥١٢ هـ) مرض الزمخشري مرضته التي سماها الناهكة ، فعاهد ربه ان شفي من مرضته تلك ان لا يطأ عتبة السلطان ، ولا واصل بخدمته اذياله ، وان يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم ، وان يعف عن ارتزاق عطياتهم واقتراض صلاتهم ... ويجد في اسقاط اسمه من الديوان ومحوه وأن يعتصم بحبل التوكل والتمسك ويقبل الى ربه ويتنسك ، وان يدرس من العلوم ماهو مجد كعلم القراءات والحديث والفقه[4] .

وبهذا المرض انتهت اطماع الزمخشري في المنصب والجاه ، وتحولت الى رغبة في نيل العلم ، فارتحل الى بغداد وناظر بها[5] وسمع الحديث والفقه من علمائها .

ولكن نفسه التواقة الى التوبة والتخلص من أدران الماضي لم تكتف بالمناظرة واستماع العلم ، بل رغبت في مجاورة ملك الملوك بعد ان خابت آمالها عند الملوك ، فنجده يغذ السير سنة ٥١٦ هـ مع الحجاج الى مكة

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق — العماد الاصفهاني ص ٥٧ .
(٢) نفس المرجع ص ٧٨ .
(٣) الديوان ١٢٩/٥ ١ — ١٣ .
(٤) انظر مقدمة المقامات .
(٥) المختصر في أخبار البشر — ابو الفدا — القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ ج ٣ ص ١٧ .

لأداء فريضة الحج ، ولكنه يقيم هناك ولايعود معهم بل يقيم سنتين ، وفي طريقه الى مكة يتغنى بقصيدته الرائية والتي مطلعها :

(١)
سيري تماضر حيث شئت وحدثي   انى الى بطحاء مكة سائر

يستعرض فيها رغبة فى مجاورة الكعبة ليشكو الى الله ذنوبه التى تكاثر الحصا وفى كبر الجبال فيقول :

حتى أنيخ وبين اطماري فتى   للكعبة البيت الحرام مجاور
يتعوذ بالركن يدعو ربه   يشكو جرائر بعدهن جرائر
(٢)
يشكو جرائر لايكاثرها الحصا   لكنها مثل الجبال كبائر

وبعد أن سافر من بلده أكثر من مرة ، وجد ان السفر يجب أن يكون الى الله فقط وليس الى غرض دنيوى آخر ، فيقول :

يامن يسافر فى البلاد منقبا   انى الى البلد الحرام مسافر
ان هاجر الانسان عن أوطانه   فالله أولى من اليه يهاجر
(٣)
وتجارة الابرار تلك ومن يبع   بالدين دنياه فنعم التاجر

وفيها يبين أنه خرب عمره فى طلب الدنيا ، فيريد ان يستغل البقية الباقية من هذا العمر لعله يصلح مافاته فى أول عمره فيقول :

خربت هذا العمر غير بقية   فلعلني لك بابقية عامر
وعهدتني فى كل شر أولا   فلعلني فى بعض خير آخر
(٤)
فى طاعة الجبار ابذل طاقتي   فلعلني فيها لكسرى جابر

---

(١) الديوان ١١/١٦٠ .
(٢) الديوان ١٢/١٦٠ .
(٣) نفس القصيدة .
(٤) نفس القصيدة .

وفى نهاية القصيدة يبين رغبته فى مجاورة البيت الحرام يحل ضيفا على الله الى أن يتوفاه ويبعث من هناك ، فيقول :

ساروح بين وفود مكة وافدا ... حتى اذا صدروا فما انا صادر
بفناء بيت الله اضرب قبتي ... حتى يحل بى الضريح القابر
ألقى العصا بين الحطيم وزمزم ... لا يطبيني أخوة وعشائر
ضيفا لا يخل بضيفه ... ويبذل أقصى ماتمنى الزائر
حسبي جوار الله حسبي وحده ... عن كل مفخرة يعد الفاخر
ساقيم ثم وثم تدفن أعظمي ... ولسوف يبعثني هناك الحاشر (١)

ولكن هل طبق الزمخشرى هذا الكلام وأوفى بوعده ؟

ان الزمخشرى لم يمكث فى مكة فى جواره هذا الا سنتين ، لقى فيهما الامير ابا الحسن على بن حمزة بن وهاس الذى مد لشاعرنا يد الغوث وعرف قدره ، فأثر ذلك فى نفسية الزمخشرى ، فتغيرت هذه النفس الطموح الحاقدة الثائرة الى نفس مطمئنة راضية ، قد انبسط عليها سلطان الدين الاسلامى ونقى طبيعتها وصفى مزاجها من كل حقد وغل وتهالك على المجد ، فقد وطن الزمخشرى نفسه بأنه لم يخلق الا للدين الاسلامى، ولم يخلق الا لخدمته .

وقد قرأ فى هذا الجوار كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابرى المتوفى سنة (٥١٨ هـ) (٢) ، وزار كل بقعة فى أرض العرب ، فهو يقول : " ووطئت كل تربة فى أرض العرب ، فوجدت (تربة) أطيب الترب ، وهى واد على مسيرة أربع ليال من الطائف " (٣) . ثم زار اليمن ايضا ومدح آل وزير هناك فهو يقول :

---

(١) الديوان ١٦٠ .
(٢) بغية الوعاة — السيوطى — عيسى البابى الحلبى — أولى سنة ١٣٨٤ هـ ج ٢ ص ٤٦ .
(٣) أساس البلاغة مادة (ترب)

والى الكرام بنى وزير لم تــزل تجفو بنات غرير الاوطانــا

وبنو زرير ماتــز ثيابهــم الا على الهضبات من شهلانـا (١)

ولكن نفس الزمخشرى برغم هذا الهدوء النفسى لم تتخلص مـن أدران الماضى جميعها ، فلا يستطيع تطبيق ماقاله ، فنفسه لاتزال تحـن الى وطنه ، ويرغب فى العودة اليه ، فقد نسى مالاقاه من مر العيـش ومن معاندة الحظ له وعدم تحقيق اى من أمانيه أو آماله ، ولكنـه يبقى وطنه فوق كـل ذلـك .

لقد ترك الزمخشرى مكة عائدا الى وطنـه ، ولكن الحظ الذى عانده فى بداية عمره لايزال له معاندا ، فيخيب أمله ويحن الى مكة والـى أيامـه فيها ، فيتغنى بقصائد تدل على شدة خوفه لترك مكة ورغبتـه الجامحة فى العودة اليها من ذلـك قولـه :

أأبتاع بالفوز الشقاوة خاسـرا واستبدل الدنيا الدنية بالأخرى ؟

اذا خطرت بالبال ذكرى اناختى على حرم الله استفزتـنى الذكرى

وادعو الى السلوان قلبا جوابـه لداعيه مهراق من المقلة العبرى

وما عذر مطروح بمكة رحلـه على غير بؤس لايجوع ولا يعـرى

فما فر عنها يبتغى بدلا لهـا ورتك لاعذرا ، وربك لاعـذرا (٢)

وقولـه :

بكاء على أيام مكة ان بـى اليها حنين النيب فاقدة البكـر

تذكرت أيامى بها فكأنـنى قد اختلفت زرق الأسنة فى صدرى

أبيت على الصخر المبارك باكيـا كما الخنساء تبكى على صخـر (٣)

---

(١) الديوان ٢٠٠/٣ .
(٢) الديوان ١٠/١-١٤ .
(٣) الديوان ٩/٣-٥ .

ولم يستطع الزمخشري صبرا ، فكان لابد من العودة الى مكة ، فقيل له : " قد زجيت أكثر عمرك هناك ، فما الموجب ؟ ، قال : القلب الذى لا أجده هنا ثم أجده هناك "(١) .

وفى طريقه الى مكة يمر بالعراق فيزوره الشريف ابو السعادات هبة الله بن الشجرى مهنئا له بقدومه ، فلما جلس اليه بهره علم الزمخشري واخلاقه فانشده ابن الشجرى متمثلا :

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن أحمد بن دؤاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت اذنى بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشده أيضا :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

فلما فرغ من كلامه شكر الزمخشرى الشريف ، وعظمه وتصاغر له وقال : " ان زيد الخيل دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فحين بصر النبي — صلى الله عليه وسلم — رفع صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول — صلى الله عليه وسلم — يازيد الخيل ! كل رجل وصف لى وجدته دون الصفة الا أنت ، فانك فوق ماوصفت ، وكذلك الشريف ، ثم دعا له وأثنى عليه "(٢) .

وتتبلور عند الزمخشرى فكرة ، وهى اختيار (الطريقة الأويسية)(٣) من بين الطرائف ، والاستعلاء عن أمور الدنيا الفانية والتورع فى القناعة بل فى اليأس الذى انحدر اليه ، فنقل كتبه كلها الى مشهد ابى حنيفة ، ولم يبق

(١) أنباه الرواة — القفطى — دار الكتب المصرية — ج ٣ ص ٢٦٦ .
(٢) نزهة الألباء — بن الانبارى — تحقيق د . ابراهيم السامرائي — مكتبة الاندلس — ص ٢٩١ معجم الادباء — ياقوت — دار المأمون — ط أخيرة — ج ١٩ ص ١٢٨ .
(٣) نسبة الى أويس القرني .

معه الا كتاب الله المبين . كتب ذلك في رده على استجازه السلفي له : " ... واما ماطلب عندي ، وخطب الي من العلوم والدرايات ، والسماعات والروايات ، فبنات خلمت على تربيتهن الشباب ، ثم دفنتهن وحثوت عليهن التراب ، وذلك حين آثرت الطريقة (الأويسية) على بنيات الطرائف وأخذت نفسي برفض الحجب والموائق ، ونقلت كتبي كلها الى مشهد أبي حنيفة — رحمه الله — فوقفتها واصفرت منها يدي الا دفترا واحدا قد تركته تميمة في عضدي وهو كتاب الله المبين والحبل المتين والصراط المستقيم ... " (١).

ويؤكد قول الزمخشري هذا ماقاله في قصيدته الفائية :—

سأبذل معروفي ومن كان عارفا ... سماحة منع العرف اسدى العوارفا
ووفقني حتى وقفت نفائسي ... واعلاق اسفاري فابرحت واقفا
على مشهد النعمان نور قبره ... كما نور الاسلام مالك سالفا (٢)

وكان من الطبيعي أن يشد الزمخشري الرحال الى مكة ، وفي طريقه اليها نظم قصيدته البائية ، عارضا فيها حاله مشيرا الى أن وطنه الحقيقي هو مكة ، وأن عودته الى خوارزم عبارة عن نزوة نفسية ، وهو الآن يعود الى بطحاء مكة كما يعود الأسد الى غابه :

أنا الجار جار الله ، مكة مركزي ... ومضرب أوتادي ومعقد اطنابي
وما كان الا ذورة نهضتني الى ... بلاد بها اوطان رهطي وأحبابي
فلما قضت نفسي — ولله درها — ... لبانة دار زندها غير خهاب
كررت الى بطحاء مكة راجعا ... كأني أبو شبلين كر الى الغاب

(١) مجلة المجمع العراقي — العدد ٢٣ سنة ١٩٧٣م . مقال بعنوان (استجازة السلفي للزمخشري) للدكتورة بهيجة باقر الحسيني .

(٢) الديوان ٩٣/١١٢ .

فمن يلق فى بعض القريات رحله فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى
ومن كان فى بعض المحاريب راكعا فللكعبة البيت المحرم محرابى (١)

وفى طريق عودته الى مكة فى هذه الرحلة يعرج على الشام ، ويمدح تاج الملك بورى طغتكين صاحب دمشق ، ولكن لانجد فى هذا المدح زلفى ولا طمعا فى منصب بل هو خالص لوجه الله ، لأن الممدوح قد جمع العرب والتركمان وصد الصليبيين عن دمشق وهزمهم سنة ٥٢٣هـ (٢) . وأغلب الظن أنه أقام فى دمشق مدة ثلاث سنوات ، حيث مدح شمس الملك الذى خلف أباه سنة ٥٢٦ هـ (٣) .

ثم يواصل السير الى مكة ، فيصلها خائر القوى متعبا منهوكا مهموما مفرقا فى عبادة الله ، منصرفا اليه بكليته ، فهو يقول : " ... ولذت بحرم الله المعظم ، وبيته المحرم ... انتظر داعى الله صباح مساء ، وكأنى به وقد امتطيت الآلة الحدباء ، قد وهنت العظام ، ووهت القوى ، وقلت الصحة ، وكثر الجوى ، وما أنا الا ذماء يتردد فى جسد هو هامة اليوم أو غد " (٤) . وهكذا عاش شارعنا الطموح عيشة الزهاد ينتظر داعى الله صباح مساء فى نهاية حياته ، وفى هذا يقول :-

قرب الرحيل الى الديار الآخرة فاجعل الهى خير عمرى آخره
وارحم مبيتى فى القبور ووحدتى وارحم عظامى حين تبقى ناخره
فأنا المسكين الذى أيامه ولت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم فبحار جودك يا الهى زاخره (٥)

---

(١) الديوان ١/١٣ .
(٢) الكامل فى التاريخ — ابن الاثير — دار صادر سنة ١٩٦٦ م جـ ١٠ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ . (٣) نفس المرجع جـ ١٠ ص ٦٧٩ — ٦٨٠ .
(٤) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ — للحافظ تقى الدين المكى — عنى بنشرها — القدسى — دمشق — ص ٣٣٩ .
(٥) نفس المرجع .

وقد كانت مدة جوار الزمخشري في هذه الرحلة ثلاث سنوات ، كما أنه ألف كتابه الكشاف في هذا الجوار ، ويقي من الاكرام والتقدير من ابن وهاس ، مايليق بمقامه وحقه ، وتحلق حوله طلاب العلم من فتيان مكة وقصده طلاب العلم من أرجاء العالم الاسلامي يأخذون عنه حتى قال قائلهم وهو البديع الخوارزمي .

أمكة هل تدرين ماذا تضمنت ... بمقدم جار الله منك الاباطح ؟!
به واليه العلم يمسي وينتمي ... وفيه لارباب العلوم المناجح
محط رحال الفاضلين فلم يزل ... يحط اليه الرحل غاد ورائح
اذا انتابه صفر الوطاب رأيته ... تحول عنه وهو ملآن طافح
نمته الكرام الغر من خير اسرة ... هم قدوة الدنيا الكهول الجحاجح (١)

وأكثر الزمخشري من الفخر بمجالسه تلك ومما قاله :

وسميت بين العرب والعجم رحلة ... الي يزجون المطى عواسفا
الم تراني حيثما كنت كعبة ... يحفون بي كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوى الى النور قابسا ... وغربيهم يسعى الى البحر غارفا
ودونك ديوان المدائح فاطلع ... تجد ناظما في الثناء وواصفا (٢)

وهكذا لقي الزمخشري الاحترام والتبجيل من طلاب العلم ، والرعاية والتقدير من ابن وهاس ، الا ان نفس الزمخشري تحن الى الوطن مرة أخرى ، فيشد الرحال عائدا الى وطنه ، ويعرج في طريقه على بغداد ، وفي بغداد مع أنه بلغ من العمر عتيا ، لايتورع من أن يجلس مجلس الطالب لتلقي العلم فهو يقرأ بعض كتب اللغة على أبي منصور الجواليقي سنة ٥٣٣هـ (٣) . ووصل الى وطنه وبقي في خوارزم ، الى أن وافته المنية سنة ٥٣٨ هـ . فرحمة الله عليه .

---

(١) ازهار الرياض — المقري — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٢م — ج ٣ ص ٢٩٢ .
(٢) الديوان ٧١/٩٣ .
(٣) وفيات الأعيان — ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٥ .

اجازاتـه ومراسلاتـــه :

لقـد طلب الاجازة من الزمخشرى أكثر من واحد ، ومنهم من أجازه ، ومنهم من ماطلـه فى ذلـك .

ومن الذين اجازهم الزمخشرى أم المؤيد زينب بنت الشعـرى المتوفية سنة (٦١٥ هـ) ، يقول ابن خلكان : " وبينى وبينه فى الرواية شخـص واحد ، فانه أجاز زينب بنت الشعرى ، ولى منها اجازة "(١) .

وأثناء وجوده بمكة راسله الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى — رحمة اللـه عليـه — فقد كتـب اليـه من الاسكندرية يستجيزه فـى مسموعاته ومصنفاته ، فرد جوابه بما لايشفى الغليل ، فلما كان فى العـــام الثانى كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازه مرة أخرى اقترح فيها مقصوده ، ثم قال فى آخرها : ولايحوج آدام الله توفيقه ، الى المراجعة ، فالمسافـة بعيدة ، وقد كاتبته فى السنة الماضية فلم يجب بما يشفى الغليل ، ولـه فى ذلك الأجر الجزيل(٢) .

فكتب اليه الزمخشرى جوابه ومنه قوله : " ... وما مثلى مع أعـلام العلماء الا كمثل السها مع مصابيح السماء ، والجهام الصفر مع الغـوادى

---

(١) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر — بيروت — جـ ٥ ص ١٧١ .
(٢) نفس المرجع جـ ٥ ص ١٧٠ .
وفى ازهار الرياض يذكر المؤلف الرسالة الاولى وردها ، وقد افتتح الكتابة فى ذلك بقوله : " ومن استجازه فأجازه الامام الحافظ أبو الطاهـر السلفى . (٢٨٣/٣) . وفى موضع آخر يقول على لسان الزمخشـرى : (ولقد أجزت له أن يروى) . (٢٨٥/٣) . وعن طلب الاجازة للمـرة الثانية يقول : (ثم ان الشيخ السلفى عاوده الاستجـازة فى السنة من الاسكندرية كأنه ماوصلته أجازته . (٢٨٧/٣) .
والظاهر من هذا الكلام ان الزمخشرى اجاز السلفى ، الا اننى لم أجـد مايؤيد هذا الكلام فى مرجع آخر .

الغامرة للقيمان والأكام ، والسكيت المخلف عن الخيل السباق ، والبغاث مع الطير المناق ، وما التلقيب بالعلامة الاشبه الرقم والعلامة ، والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية ، وانا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ، ظلى فيها اقلص من ظل حصاة ، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ، ولا الى اعلام مشاهير ، وأما الدراية لايبلغ افواها وبرض مايبل شفاها ، الى ان قال :

" ولايغرنكم قول فلان وفلان ... فيّ ، وذكر جماعة من العلماء والشعراء اثنوا عليه ومدحوه ، ثم قال : ان ذلك اغترار بالظاهر المموه ، وجهل بالباطن المشوه ... " (١) .

وختمها بقوله : " اما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر .... ، ووقت الميلاد شهر الله الاصم في عام سبع وستين واربعمائة ، والله المحمود ، والمصلى عليه محمد وآله وأصحابه " .

هذا آخر الاجازة ، وقد أطال فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها ، وما اعلم هل اجازه بعد ذلك أم لا (٢) .

وطلب الاجازة من الزمخشري رشيد الدين الوطواط الاديب الكاتب الشاعر ، " وكان من نوادر الزمان وعجائبه وافراد الدهر وغرائبه ، أفضل زمانه في النظم والنثر واعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والادب طار في الآفاق صيته ، وسار في الأقاليم ذكره ، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتا بالعربية من بحر وبيتا بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معا " (٣) . وقد كتب رشيد الدين الوطواط الى الزمخشري رسالة يستجيزه

---

(١) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر بيروت — ج ٥ ص ١٧١ . ومعجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج ١٩٨ ص ١٣٢، ١٣٣

(٢) وفيات الأعيان — ابن خلكان — دار صادر بيروت — ج ٥ ص ١٧١ .

(٣) معجم الأدباء — ياقوت — دار المأمون — ط أخيرة ج ١٩ ص ٢٩ .

فيها يقول : " ان حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده ، واكرم من أن تستثقل وطأة طالب لموائده ، ومع هذا أرجو اشارة تصدر من مجلسه المحروس ، اما بخطه الشريف فان في ذلك شرفا يدوم لي مدى الدهور والأيام ، ويبقى على مر الشهور والاعوام ، واما على لسان من يوثق بصدق مقالته ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين في سلك خدمته والراتعين في رياض نعمته ورأيه في ذلك أعلى وأصوب " (١) .

وقد أجازه الزمخشري ، ويظهر ذلك من رسالة أرسلها الوطواط يهنئ الزمخشري بالعيد : " ولقاء سيدنا جار الله ادام الله مجده لنا معشر خدمه والمرتضعين درة فضله وكرمه عيد لايزال العيد له كتصحيفه باقية محاسنه دائمة ميامنه . يهدى كل ساعة الى ابصارنا نورا والى ارواحنا راحة وسرورا " (٢) .

ولما ذاعت شهرة الزمخشري في الآفاق كتب اليه بعض من لايستطيعون مشافهة ، رسائل أو قصائد يثنون عليه فيها ، وكان الزمخشري بدوره يرد عليهم ، ونجد القفطي في ترجمته للزمخشري يروى لنا طرفا من ذلك فهو يقول : " كتب الامير شهل الدولة أبو الهيجاء ، مقبل بن عطية البكري ختن نظام الملك الحسن بن اسحق الى الزمخشري :

هذا أديب فاضل	مثل الدراري دروه
زمخشري فاضل	انجبه زمخشره
كالبحر ان لم أره	فقد أتاني خبره

فأجابه الزمخشري بقوله :

---

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط طبعة دار المعارف سنة ١٣١٥ هـ جـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٩ ، ٦٠ .

شمره أمطر شمعي شرفـــا ... فاعتلى منه نهات الجسد
كيف لايستأسد النبت اذا ... بات مسقيا بنوء الأسد

وكتب اليه منتجب الملك أبو جعفر محمد أحمد كبراء دولة السلطان سنجر رسالة وقصيدة ، وسيرها اليه الى مكة عند مقامه بها : " كتابى الى جار الله العلامة عن سلامة كمل الله أسبابها ، ونعمة أوطف بالرغائب سحابها ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على نبيه وآله الطاهرين .

بعد الملتقى وشط المزار ... وتمادى لوصلك الانتظار

يثنى فيها على أهل البيت ، ويذكر له اجتماعه بالشريف على بن عيسى ابن وهاس الحسيني من أهل مكة ، وكان علامة ، وقال : قد قلت فيه كلمة طويلة (١) ...

وذكر فصولا كثيرة فى الثناء على الشريف وعلى مصنفاته والتماس شىء من فوائد ابن وهاس وموء لفاته .

أما القصيدة فهى :

اليك يهزنى الحب المطاع ... ويسكرنى لرؤيتك النزاع
فهل لك ياشقيق النفس علم ... بما انبأت عنه واطلاع
ولو انى قدرت لطرت شوقا ... بحرف خطوها خطو زماع

---

(١) منها :

اولئك أعضاد النبوة رشحوا ... لقمع عتاة الشرك بالذبل السمر
هم ملجأ للخائفين وعدة ... لثأر منيم أو مخوف من الثغر
مفاتيح أسداد الخطوب اذ اعرت ... مساميح بالمعروف فى اليسر والعسر
من النفر البيض الذين نوالهم ... يفيض بلا من ويأتى مع العذر
ويلقاك بالبشرى ويأتيك بالمنى ... تحايا وجوه مشرقات عن البشر

(أنباه الرواة - القفطى - دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٢٧١)

وكنت بحيث يوصلني اليكم غدوى أو رواحى لا أراع
وفي عدواء دارك عن ديارى اراقب زورة لاتستطاع
يطيل الشوق اما ذا الليالى اليك فهل لفرقتنا اجتماع
وانت لكل منقبة معان ومن در العلوم لك ارتضاع
تضئ بعلمك الدنيا فيضحى له في كل ناحية شعاع
ابت لنا كتاب الله فاعضد لتنفعنا فنعم الانتفاع
اعيذك من اناس نحن فيهم وحق الافضلين بهم مضاع
ترى قوما كأنك ماتراهم وحسبك من لقائهم السماع
كأنهم وماعرفوا بخبر بهائم في مجاهلها رتاع (١)

والذى أراه في هذه القصيدة ان منتجب الملك متحامل وحاقد على أهل خوارزم . لان صفات أهل هذه البلاد كما مر معنا تتناقض وما ذكره منتجب الملك في قصيدته .

وللزمخشرى أكثر من قصيدة في مدح منتجب الملك هذا (٢).

---

(١) أنباه الرواة ـ القفطى ـ دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ج ٣ ص ٢٧٠ـ٢٧٣ .

(٢) الديوان : ١٦٤، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٥٧ .

ثقافته وآثاره :

لقد كان للبيئة التى عاش فيها الزمخشرى الأثر الأكبر فيما خلفه من مصنفات ، وقد تضافرت أسباب متعددة فى حياته حتى وجدنا له عشرات المؤلفات فى جميع العلوم والمعارف الموجودة فى عصره .

لقد مر معنا أثناء عرضنا للبيئة الثقافية كثرة العلماء والمكتبات وتقدير الحكام وتشجيعهم للعلماء ، هذه العوامل جميعها دفعت الزمخشرى لأن ينهل من ألوان المعرفة المحيطة به . هذا بالاضافة الى انه كان مبتور الساق ، فأحب أن يعوض عن ذلك بتفوقه فى العلوم فضاعف جهوده فى اكتساب المعرفة ، وأبدى رغبة جامحة فى الحصول عليها ، هذا فى بداية حياته ، اما عندما شب وترعرع فقد ابتعد على كل الأشياء التى تلهى الانسان وتأخذ من وقته ، فهو يبتعد عن الزوجة والولد ، ويعد هذه الأشياء ملهية له عن الدرس والتحصيل ، فتصانيفه وتلاميذه هم أبناؤه . وعندما اكتملت رجولته نجد نقطة مهمة أثرت فى حياته ، تلك حمى المرض المنهكة ، فهو بعدها يذهب الى العراق ليقابل العلماء ، ثم يتفرغ عند بيت الله لكى يضع لنا أهم تصانيفه .

بسبب هذه العوامل مجتمعة استطاع الزمخشرى ان يكتب هذه المصنفات الفنية بألوان المعرفة ، حتى أن المراجع التى بين أيدينا تعدد له حوالى أربعة وخمسين مصنفا ، منها ماطبع ورأى النور ، ومنها الذى مايزال مخطوطا فى مكتبات العالم ، ومنها غير المعروف الذى لم نعثر له على أثر الى يومنا هذا . وليست جميع هذه المصنفات فى موضوع واحد أو مجال معين ، بل هى تشمل معظم المعارف التى كانت فى زمانه .

وقبل الشروع فى تمداد هذه التصانيف والآثار نحب ان نطلع على رأى المؤرخين فى علم الزمخشرى .

كان الزمخشرى " اماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ، كبير الفضل ، متفننا فى علوم شتى "(١) .

وكان — رحمه الله — " ممن يضرب به المثل فى علم الأدب والنحو .. صنف التصانيف فى التفسير وغريب الحديث والنحو وغير ذلك .... وما دخل بلدا الا واجتمعوا عليه وتتلمذوا له واستفادوا منه ، وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب "(٢) .

وألف شاعرنا فى الحقول الأدبية المختلفة فى : النحو واللغة والتفسير والحديث والفقه والعروض وأجاد فيها كل الاجادة حتى تباهى هو بمصنفاته فقال :

ترانى فى علم المنزل فارسا ... وما أنا فى علم الاحاديث راسفا
فللسنة البيضاء فى مناجح ... ويخفى كتاب الله منى المعارفا
وما أنا من علم الديانات عاطلا ... فأحسن حلى لم يزل لى شانفا
وما للغات العرب مثلى مقوم ... ابى كل ندب متقن ان يخالفا
وبى يستفيد النحو من ان يسوسه ... نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
وعلما المعانى والبيان كلاهما ... أزف الى الخطاب منه وصايفا
وعلم القوافى والأعارض شاهد ... بفسحة خطوى فيه اذ كنت زاحفا
أقرت بى الآداب أصلا لها ومن ... رأى مشرفيات جحدن المشارفا
وديوان منظومى يريك بدائعا ... وديوان منثورى يريك طرائفا(٣)

(١) ارشاد الاريب لمعرفة الاديب — (معجم الأدباء — ياقوت — مطبعة هندية بالموسكى بمصر — سنة ١٩٢٥م .

(٢) المرجع السابق . (٣) الديوان ٣٩/٩٣ .

وقد عد الزمخشري هذه التصانيف أفضل من البنين والبنات لأنهما لاتعقه فيقول :

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها بنين بهم سيقت الى مطالبي (١)

ولقد ذكر ياقوت معظم مصنفات الزمخشري في معجم الأدباء (٢)، وكذلك عددها ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣) عند حديثه عن الزمخشري .

ولقد قسمت هذه المؤلفات الى ثلاثة أقسام ، المطبوعة ثم المخطوطة ثم المجهولة ، ورتبت كل قسم منها على حروف الهجاء .

أ ـ المطبوعة :

(١) أساس البلاغة :

وهو معجم في اللغة العربية ،جمع المفردات ومعانيها الحقيقية والمجازية ، وكثيرا من النصوص البليغة التي وردت فيها . طبع الكتاب أكثر من مرة ، طبع في سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع سنة ١٣٢٧ هـ في المطبعة الوهبية بمصر وطبع بمطابع الشعب بمصر سنة ١٩٦٠ هـ .

(٢) أطواق الذهب :

عبارة عن مائة مقالة بغير عنوان ، أنشأها في مكة قبل تأليف الكشاف (٤) . والكتاب كله ثورة على الاوضاع الاجتماعية والسياسية في عصره . طبع الكتاب مع ترجمته بالالمانية : فون جوزيف فون هامر في سنة ١٨٣٥م بفينا .

---

(١) الديوان ٨٩/٩ .
(٢) معجم الأدباء ـ ياقوت ـ الطبعة الاولى سنة ١٩٢٥م جـ ٧ ص ١٥٠ـ١٥١ ،
(٣) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ ١٦٨/٥ـ١٦٩ .
(٤) المجاحاة للزمخشري ـ تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسيني ص ٢٤ .

وحذا حذوه فلايشر ، ونشره بليسيك سنة ١٨٣٥م . كما نشره جوستاف .ب (شتوتكرت) سنة ١٨٣٦م . وفي سنة ١٨٧٦م . اعتنى به المستشرق الفرنسي باربيه دى فيارد فترجمه الى الفرنسية . وفي سنة ١٢٨٨ هـ طبع مع ترجمة بالتركية بالقسطنطينية . وفي سنة ١٣٢١ هـ طبع بمطبعة التمدن بمصر بعنوان (قلائد الأدب في شرح أطواق الذهب شرح الميرزا يوسف خان بن اعتصام الملك (١) . وفي سنة ١٣٢٨ هـ طبع بمطبعة السعادة بمصر . وفي سنة ١٩٢٥م طبع بالمطبعة المحمودية بالقاهرة .

(٣) أعجب العجب في شرح لامية العرب :

هو شرح لقصيدة الشنفرى التي مطلعها :

أقيموا بني امي صدور مطيكم فانى الى قوم سواكم لاميل

طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ، وفي مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

(٤) الأنموذج في النحو :

وهو كتاب صغير اقتضبه الزمخشري من (المفصل) واهداه الى مجير الدولة أبى الفتح على بن الحسين الاردستاني :

و(انموذجا)انفذت منه بضعه رجائي ارى فيه وجوه المناجح

اراقب من عين الوزير اطلاعة عليه ، وحسبى منه لمحة لامح (٢)

طبع الكتاب بمطبعة المدارس الملكية بمصر سنة ١٢٨٩ هـ . وباستانبول سنة ١٢٨٩ هـ .

---

(١) الزمخشري — د . أحمد الحوفي — ص ٦٢ .

(٢) الديوان — ٢٠/٤٠، ٤١ .

(٥) الجبال والأمكنة والمياه :

هو كالمعجم الجغرافي ، نشره المستشرق سالفر دي كراف بليدن سنة ١٨٥٦م ونشرته مدرسة آل كاشف الغطاء بالنجف الأشرف سنة ١٩٦٢م (١) . وحققه الدكتور ابراهيم السامرائي ، وتم طبعه سنة ١٩٦٨م ، بمطبعة السعدون ببغداد .

(٦) خصائص العشرة الكرام البررة :

يبحث هذا الكتاب في خصائص الصحابة العشرة المبشرين بالجنة ـ رضوان الله عليهم ـ حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني ـ ونشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد سنة ١٩٦٨م .

(٧) الدر الدائر المنتخب في كنايات واستعارات وتشبيهات العرب :

نشر في المجلد السادس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٨م ، بتحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني ، ثم طبع منفردا بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٨م .

(٨) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار :

مختارات شتى من الأدب والتاريخ والعلوم ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٥ أدب في ٤٠٢ ورقة (٢) . وطبع بالقاهرة . حققته الدكتورة بهيجة باقر الحسني وسوف تنشر الجزء الأول منه قريبا (٣) .

---

(١) المحاجاة للزمخشري ـ تحقيق بهيجة باقر الحسيني ص ٢٨ .

(٢) الزمخشري ـ الدكتور احمد الحوفي ـ ص ٦٢ .

(٣) المحاجاة للزمخشري ـ تحقيق د. بهيجة باقر الحسيني ص ٣١ .

(٩) رسالة فى كلمة الشهادة أو مسألة فى كلمة الشهادة :

نشرت فى المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمى العراقى ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى .

(١٠) شرح مقامات الزمخشرى :

مطبوع مع المقامات ، الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ ،والطبعة الثانية بمطبعة التوفيق بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ فى ٢٣٨ صفحة من القطع المتوسط .

(١١) الفائق فى غريب الحديث :

قال ابن الأثير فى مقدمة كتابه (النهاية فى غريب الحديث) " جاء الزمخشرى فصنف كتابه سنة ٥١٦ هـ ، وسماه الفائق ، ولقد صادف هذا الاسم مسمى ، وكشف عن غريب الحديث كل معنى ، ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم .

واثنى عليه ابن حجر العسقلانى فى قوله : وكتابه (الفائق فى غريب الحديث) من أنفس الكتب ، لجمعه المتفرق فى مكان واحد ، مع حسن الاختصار وصحة النقل " (١) .

طبع الكتاب فى مجلدين بحيدرآباد الدكن سنة ١٩٢٤م . وطبع فى ثلاثة مجلدات بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ـ بتحقيق الاستاذين على البجاوى ومحمد أبى الفضل ابراهيم سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٣٦٧ هـ (١٩٤٥م ـ ١٩٤٨ م) .

---

(١) لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلانى ـ طبعة أولى سنة ١٣٣١ هـ ، بحيدرآباد جـ ٦ ص ٤ .

(١٢) القسطاس المستقيم فى علم العروض :

طبع فى مطبعة النعمان بالنجف الأشرف سنة ١٩٧٠م . تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى .

(١٣) القصيدة البعوضية :

حققتها الدكتورة بهيجة ، ونشرت فى مجلة الاستاذ سنة ١٩٦٧م .

(١٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل :

طبع أول مرة بالمطبعة البهية المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ فى مجلدين وبهامشه كتاب (الانتصاف من الكشاف) ، لناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الاسكندرى المالكى المشهور بابن المنير، ثم طبع بعد ذلك (١) .

ولقد كان الزمخشرى معجبا بمؤلفه هذا ، فاكثر من الثناء عليه فمما قاله :

وناهيك بالكشاف كنزا نضاره … يعلم تمييز الجياد الصيارفا
وتخفق أوراق المصاحف هزة … لهن معان يذهبن المصاحفا
فما فى بلاد الشرق والغرب ناقد … يقلبها دهرا فيخرج زائفا
وليتهم بالغوص بعد اطالة … لفكرهم يدرون تلك اللطائفا
أبى صاحب الكشاف الا اصابة … لما ارتد عنه صائب النبل صائفا (٢)

وقال أيضا

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد … وليس فيها لعمرى مثل كشافى
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته … فالجهل كالداء والكشاف كالشافى (٣)

---

(١) الزمخشرى . د. أحمد الحوفى ص٥٨ .   (٢) الديوان ٦٦/٩٣ .
(٣) مفتاح السعادة ١٠٠/٢ ، معجم الأدباء ١٢٩/١٩ ، أزهار الرياض ٢٩٦/٣

ويقول فيه ابن خلكان ـ لم يصنف قبله مثله (١) .

(١٥) المحاجاة بالمسائل النحوية :

طبع سنة ١٩٦٩م باسم الاحاجى النحوية ، تحقيق مصطفى الحدرى منشورات مكتبة الغزالى . وطبع سنة ١٩٧٣م بمطبعة اسعد ببغداد تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى وقد كتبت فصلا فى أول الكتاب عن حياة الزمخشرى ، وعن مؤلفاته .

(١٦) المستقصى فى أمثال العرب :

وهو معجم يضم ثلاثة الاف واربعمائة وواحد وستين مثلا عربيا مرتبة على حروف الهجاء حسب أوائل الأمثال . حققه محمد عبد الرحمن خان ، وتم طبعه بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد سنة ١٣٨٨ هـ .

(١٧) المفرد والمؤلف فى النحو :

نشر فى مجلة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٦٧م فى المجلد الخامس عشر ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسنى . وذكر الحوفى انه غير معروف (٢) .

(١٨) المفصل فى صنعة الاعراب :

أشهر كتب الزمخشرى فى النحو : (ترجم الى الالمانية وطبع سنة ١٨٧٣م وطبع فى لريستيانا سنة ١٨٧٩م ، وطبع مع شرح موفق الدين يعيش بن على بن يعيش فى ليبسيك سنة ١٨٨٢م) (٣) ، وبادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة فى عشرة أجزاء .

(١) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ دار صادر ـ ١٦٨/٥ .
(٢) الزمخشرى ـ الدكتور احمد الحوفى ـ ص ٦١ .
(٣) نفس المرجع ص ٦٠ .

(١٩) مقدمة الأدب :

ألفها لتعليم الفرس اللسان العربي ، وزودها بشروح باللغة الفارسية طبع القسم الاول والثانى من الكتاب وتزستاين فى مجلدين سنة ١٨٤٣م فى ليبسيك ، وطبع فى طهران باهتمام سيد محمد كاظم امام سنة ١٩٦٣م . (وبدار الكتب المصرية القسم الثانى والثالث والرابع والخامس فى مخطوط رقم (٢٧٢) فى ٢٢٠ ورقة وبين سطور القسمين الأول والثانى ترجمة فارسية للكتاب)(١) .

(٢٠) نوابغ الكلم أو الكلم النوابغ :

هى مجموعة حكم ونصائح مركزة مسجوعة سجعا ملتزما ، لاينتظمها موضوع أو فكرة . (طبع الكتاب المستشرق الهولندى هـ ــ سكولتنز سنة ١٧٧٢ م مع ترجمة الى اللاتينية . وفى سنة ١٨٧٥م طبع الكتاب مع ترجمة الى الفرنسية المستشرق الفرنسى س . مينارد . وفى سنة ١٣٠٦ هـ طبع الكتاب محمد البيروتى فى بيروت)(٢) . وفى سنة ١٩٧١م حققت الكتاب د . بهيجة باقر الحسنى ، ونشرته مجلة العرب ــ الرياض فى الجزء ٩ والجزء ١٠ .

---

(١) نفس المرجع ص ٦١ .

(٢) المحاجاة ــ د . بهيجة ــ ص ٤٢ .

ب - المخطوطة :

(٢١) تعليم المبتدئ وإرشاد المقتدى :

توجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة رسائل برقم (٤٢٥٤ س) (١) .

(٢٢) ديوان شعر - وهو موضوع دراستنا .

(٢٣) رؤوس المسائل (٢) :

وسماه ابن خلكان - رؤوس المسائل في الفقه (٣) . وتوجد منه نسخة خطية في مكتبة برقم (٣٦٠٠) (٤) .

(٢٤) شرح أبيات كتاب سيبويه :

توجد منه نسخة خطية في خزانة مكتبة احمد الثالث في استانبول . مؤلفة من احدى عشرة ومائة ورقة (٥) .

ولا عجب أن نجد الزمخشري يفخر بكتابه هذا في قصيدته التي يمدح بها مجير الدولة ابا الفتح على بن الحسين الاردستانى :

وفي شرح أبيات الكتاب لبعض ما يرى في صفاتي مجملا اى شارح (٦)

(٢٥) شرح المفصل :

يقول السيوطى : (شرح بعض مشكلات المفصل) (٧) .

---

(١) المحاجاة - للزمخشري - تحقيق د . بهيجة ص ٢٨ .
(٢) معجم الأدباء - ياقوت - أولى سنة ١٩٢٥ ج ٧ ص ١٥٠ وسماه (رؤوس المسائل)
(٣) وفيات الأعيان - دار صادر - ١٦٩/٥ .
(٤) المحاجاة للزمخشري - تحقيق د . بهيجة ص ٣٠ .
(٥) نفس المرجع ص ٣٢ .
(٦) الديوان ٣٩/٢٠ .
(٧) بغية الوعاة - السيوطى - مطبعة السعادة - سنة ١٣٢٦ هـ - ص ٣٨٨ .

وذكر بروكلمان ان للزمخشري شرحا للمفصل ومنه نسخة بليدن برقم (١٦٤) وأخرى بفينا برقم (٥٤١)(١) . وذكرت الدكتورة بهيجة انها اطلعت على نسخة خطية في مكتبة برقم (٣٦٥٥) تقع في ١٦٠ ورقة تاريخ نسخها (٧٩٤ هـ)(٢) .

(٢٦) قصيدة في سؤال الغزالي كيف يجلس الله على العرش :

ذكرها بروكلمان ، واشار الى وجود نسخة خطية منها في برلين برقم (٧٦٨٨)(٣) .

(٢٧) المنهاج في الأصول(٤) :

ذكره بروكلمان باسم (المنهاج في أصول الدين) ، وذكر له نسخة خطية في المدينة برقم (٥١٦)(٥) .

(٢٨) مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة(٦) :

توجد منه نسخة خطية في خزانة مكتبة احمد تيمور باشا(٧) .

(٢٩) نزهة المستأنس ونزهة المقتبس :

توجد منه نسخة خطية في مكتبة (ايا صوفيا) باستانبول تحت رقم (٤٣٣١)(٨) .

---

(١) تاريخ الأدب العربي — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٢٥
(٢) المحاجاة — للزمخشري — تحقيق د . بهيجة ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الأدب العربي — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٣٧
(٤) معجم الأدباء — ياقوت — أولى — ج ٧ ص ١٥٠ وفيات الأعيان — ٥
(٥) تاريخ الأدب العربي — بروكلمان — دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥ ج ٥ ص ٢٣٨
(٦) ذكر الدكتور الحوفي — انه غير معروف ، وان الاصل لابي سعيد الرازي اسماعيل الزمخشري — الحوفي ص ٥٨ .
(٧) المحاجاة للزمخشري — الدكتورة بهيجة ص ٣٧ .
(٨) اطلعت عليه الدكتورة بهيجة فوجدته مختصر الربيع الابرار . المحاجاة ص ٤٢

(٣٠) نكت الاعراب فى غريب الاعراب (١) :

توجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية برقم (٢٥١٠٢ب) وهو مجموعة مسائل من الكشاف (٢) . وذكر الدكتور الحوفى انه غير معروف (٣) .

(٣١) النصائح الصغار والبوالغ الكبار :

يذكر جرجى زيدان ان النصائح الصغار مخطوط فى برلين وفى المتحف البريطانى .

ويقول الدكتور الحوفى انه وجد الكتاب باسم (النصائح الصغار والبوالغ الكبار) وانه مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١٣٤٧٨ ز) مع نوابغ الكلم فى (١٦) ورقة ، وفى نهايته فصل به مائة حكمة للامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٤) .

جـ - غير المعروفة :

(٣٢) الاسماء فى اللغة .

(٣٣) الاجناس .

(٣٤) الأمالى فى النحو (٥) .

(٣٥) تسلية الضرير .

(٣٦) جواهر اللغة .

(٣٧) حاشية على المفصل .

(٣٨) ديوان تمثيل (٦) .

(٣٩) ديوان خطب (٧) .

---

(١) معجم الأدباء - ياقوت - اولى - جـ ٧ ص ١٥٠ .
(٢) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى - د. صالح فاضل السامرائى - دار التذير سنة ١٩٧٠م ص ٩٩ .
(٣) الزمخشرى - الدكتور الحوفى - ص ٦١ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجى زيدان - مطبعة الهلال جـ ٣ ص ٤٨ .
(٥) الزمخشرى - الدكتور الحوفى - ص ٦٣ .
(٦) معجم الأدباء - ياقوت - اولى - جـ ٧ ص ١٥٠ ، وفيات الاعيان - ابن خلكان - دار صادر جـ ٥ ص ١٦٩ ، وسماه " الامالى فى كل فن " .
(٧) نفس المراجع .
(٨) معجم الأدباء - ياقوت - اولى جـ ٧ ص ١٥٠ .

(٤٠) ديوان رسائل ، ولعله المقصود بقولـه :

ديوان منظومي يريك بدائعـا ديوان منثوري يريك طرائفـا (١)

(٤١) الرائض في الفرائض (٢) . (٤٢) رسالة الاسرار (٣) .

(٤٣) رسالة المسامـة (٤) . (٤٤) الرسالة الناصحة (٥) .

(٤٥) سوائر الامثـال (٦) . (٤٦) شافي العي من كلام الشافعي (٧) .

(٤٧) شقائق النعمان في حقائق النعمان (٨) .

(٤٨) صميم العربيـة (٩) . (٤٩) ضالة الناشـر (١٠) .

(٥٠) عقـل الكـل . (٥١) الكشف في القراءات العشر (١١) .

(٥٢) متشابه أسماء الرواة . (٥٣) المختلف والمؤتلف (١٢) .

(٥٤) معجم الحـدود . (٥٥) المفرد والمركب في العربية . ولعله كتاب المفرد والمؤلف في النحو .

---

(١) الديوان ٩٣ .

(٢) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، بغية الوعاة ٣٨٨ .

(٣) معجم الأدباء ٧/١٥٠ . (٤) نفس المرجع .

(٥) نفس المرجع .

(٦) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، وفيات الأعيان ٥/١٦٩ .

(٧) وفيات الأعيان ٥/١٦٩

(٨) معجم الأدباء ٧/١٥٠ ، وفيات الأعيان ٥/١٦٩ ، تاج التراجـم ـ مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٢ ص ٧١ رقم ٢١٧ ، والاسم في الجميـع (شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الامام أبي حنيفة) .

(٩) نفس المراجع ، وذكر الدكتور فاضل السامرائي ـ ان في مكتبة المتحـف العراقي ببغداد مخطوطة أسمها (صميم العربية) رقم ١٠٠٢ منسوبـة للزمخشري ، ولكن بالتحقيق في المواضيع التي تحويها المخطوطة تبين انها شرح لفصيح ثعلب . وقد وضع عليها أسم صميم العربية خطأ . انظـر : (الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ـ د . فاضل السامرائـي ص ٩١ـ٩٣) .

(١٠) وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ٥/١٦٩ ، بغية الوعاة ٣٨٨ .

(١١) مجلة المجمع العربي العراقي ـ المجلد الثامن ص ٧٥٨ .

(١٢) استجازة السلفي الثانية (أزهار الرياض ـ المقري ـ مطبعة التأليـف والترجمة والنشر بالقاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ .

وفاتـــه :

لقد شاء الله ان تكون لكل بداية نهاية ، ويتوقف دولاب حياة هـذا العلامة فى ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثـين وخمسمائة (١) ، بقصبـة جرجانيـة خوارزم ، بعد رجوعه من مكة شرفها اللـه .

وقد زار ابن بطوطة خوارزم فى أوائل القرن الثامن الهجرى ،وقال : " وبخارج خوارزم قبر الامام العلامة أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشـرى وعليـه قبـة ".(٢)

ويروى ابن خلكان فيقول : " وكان بعض الفضلاء قد انشدنى هـذه الابيات بمدينة حلب ، وقال : ان الزمخشرى المذكور أوصى أن تكتـب على لوح قـبره :

الهى لقد اصبحت ضيفك فى الثرى   وللضيف حق عند كل كريـم
فهب لى ذنوبى فى قراى فانهـا   عظام ، ولا يقرى بغير عظـيم (٣)

ورثـاه أحد فتيان مكـة بقولـه :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتهـا   حزنا لفرقـة جار الله محمـود (٤)

فرحمـة اللـه عليـه ، واثابـه عنا خـير الجزاء .

---

(١) مفتاح السعادة ــ طاش كبرى زاده ــ دار الكتب الحديثة ج ٢ ص ١٠٠ .
معجم الأدباء ــ ياقوت ــ دار المأمون ــ الاخيرة ١٩٥ ص ١٢٩ .
وفيات الاعيان ــ ابن خلكان ــ دار صادر ــ ج ٥ ص ١٧٢ .

(٢) مهذب رحلة ابن بطوطة ــ المطبعة الاخيرية ببولاق سنة ١٩٣٤ ج ١ ص ٢٩٨

(٣) وفيات الاعيان ــ ابن خلكان ــ دار صادر ــ ج ٥ ص ١٧٢ .
مرآت الجنان ــ اليافعى ــ دار المعارف حيدر اباد ــ اولى ج ٣ ص ٢٧١ .
الانساب ــ السمعانى ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ حيدرآباد اولى سنة ١٣٨٦ ج ٦ ص ٣١٦ .

(٤) وفيات الاعيان ــ ابن خلكان ــ دار صادر ج ٢ ص ١٢٣ .

((الفصـــل الثالـــث))

١ ـ احساسه بالفقر يدفعه للتكسب بالشعر .

٢ ـ انصرافه عن الزواج .

٣ ـ احساسه بالنقص لقطع رجله .

٤ ـ وقف كل حياته على العلم وافتخاره به .

٥ ـ اعتزازه بنفسه .

٦ ـ حبه للعرب والعربية الناشئ عن اخلاصه لثقافته العربية والاسلامية .

ْ ْ ْ

احساسه بالفقر يدفعه للتكسب بالشعر .

لقد نشأ الزمخشرى فى أسرة فقيرة — كما بينا ذلك سابقا — فأبوه رجل فقير مع أنه عالم فاضل ، فيقول عنه الزمخشرى :

من المروءة فى علياء متسع صدرا وان لم يكن فى المال متسع

وهذا الآب مع فقره صاحب عيال صغار يحتاجون الى الانفاق ، أما الزمخشرى فكان يتولى الانفاق عليه فى كثير من الحالات استاذه الضبى ، ويؤثر هذا فى نفس التلميذ ، فلما وجد فى نفسه القدرة على قول الشعر ، أراد أن يكتسب عن طريقه مايسد به حاجته ليخفف العبء عن استاذه ، ويستطيع مساعدة أسرته ، فيتجه بشعره الى الوزير نظام الملك ، ذاكرا له فقره ومساعدة استاذه له ، لعله ينال من هذا الوزير مثل ماينال غيره من الشعراء والأدباء والعلماء ، فيقول :

اليك نظام الملك شكواى فاستمع الى بث مجدود المعايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنوبه ببائقة تنحى عليه بيركها
ولو لم يل الضبى عنى عراكها لغالت يد البلوى أذيمى بمركها

والظاهر أن الزمخشرى لم ينل عند هذا الوزير حظوة فيهدد بالرحيل عن البلاد ، ومما زاد الامر سوءا أن مؤيد الملك قد سجن والده ، وترك أطفاله بدون معيل ، والزمخشرى فى هذه الفترة شاب حرم احدى رجليه فلا يستطيع العمل والكسب لسد متطلبات هذه الأسرة الفقيرة التى حرمت معيلها ، فيلجأ الى الشعر مرة أخرى ، فيستعطف مؤيد الملك لاطلاق سراح والده ، ويظهر فى هذا الاستعطاف مدى تأثر الاطفال بعد غياب معيلهم ، فيقول :

أكفى الكفاة مؤيد الملك الذى خضع الزمان لعزه وجلاله

ارحم أبى لشبابه ولفضله   وارحمه للضعفاء من أطفاله
ارحم أسيرا لو رآه من العدى   اقساهم قلبا لرق لحاله
ماطول الليل الذى يقضيه فى   سهره وأطول منه ليل عياله

ونجد الزمخشرى يسير فى طريق التكسب بالشعر لكى يسد بعض متطلبات حياته ، فيرحل الى خراسان ويمدح مجير الدولة أبا الفتح على بن الحسين الاردستانى ، وكان هذا الممدوح سخيا مع الزمخشرى فيمنحه على احدى قصائده ألف دينار وفرسا . ثم يرتحل الزمخشرى الى أصفهان ويمدح بها محمد بن أبى الفتح ملكشاه .

ولقد استمر الزمخشرى على حاله هذه حتى سنة ٥١٢ هـ عندما أصيب بمرض شديد ، فعاهد الله ان اشفاه من مرضه ان لايطأ عتبة أمير وكأنه شعر بأن المرض الذى أصابه نتيجة لتزلفه الى هؤلاء الحكام ومدحهم بما ليس فيهم .

وقد عرضت لتكسبه فى موضوع المديح فلا أطيل به هنا .

انصرافه عن الزواج :

لقد ظل الزمخشري طيلة حياته عزبا ، متفرغا للعلم وتحصيله ثم الكتابة فيه ، وقد أعد مؤلفاته وتلاميذه أبناء له ، بهم تقضى حوائجه وهو لا يخاف عليهم نوائب الدهر ، ولا يخاف عقوقهم كما يخاف الآباء من أبنائهم :

وحسبي تصانيفي وحسبي رواتها   بنين بهم سيقت الى مطابق
اذا الاب لم يأمن من ابن عقوقه   ولا ان يعق الابن بحضر النوائب
فاني منهم آمن وعليهم   واعقابهم ارجوهم للعواقب (١)

وقد نصحه قومه بالزواج ، ولاموه على تركه النسل ، الا أنه يعلل لهم سبب تركه النسل ، بأن الابناء جنود فساد ، ليس في كل الف منهم مصلح ، واذا ارتكب الابن الخليع فضيحة أو عمل عملا مشينا ، فان عمله هذا فضيحة لوالده ، فهو لهذا السبب يبتعد عن الزواج والنسل :

يموه قومي بالتنصح لومهم   وان عناء لومهم والتنصح
يلومونني أني نأيت بجانبي   عن النسل الوى عنه رأسي واجمح
اتلحون لواما على النسك أهله   اذا لم يفدك القول فالصمت اصلح
كأنكم لم تسمعوا ان من له   عيال شقي دهره ليس يفلح
قبيح بمثلي والبنون — كما أرى —   جنود فساد ليس في الالف مصلح
تصد لنسل مثلهم ، ان فصل من   يولد فعال القبائح ، قبح
اذا ارتكب الابن الخليع فضيحة   فذاك لعمر الله للاب أفضح
وكل صنيع ليس للنفع جالبا   وجر وجوه الضر فالمترك أروح (٢)

---

(١) الديوان : ٨٩ـ٩ـ١١ .

(٢) الديوان : ١/٦٥ـ٨ .

وفى قصيدة أخرى يعلل هذا الابتعاد بتعليل بعيد عن فطرة الانسان وعن روح الدين ، فهو يشفق على الآباء/ الذين يجهدون أنفسهم فى تربية أبنائهم ، وهم يأملون لهم الخير والرفعة ، حتى يسعد بهم آباؤهم وتقر بهم عيونهم ، ولكن الابناء ينشؤون اذلة ، ويصبحون مطية للغير ، فهو يترك النسل لذلك ويختار طريق الرهبنة فيقول :

تصفحت أولاد الرجال فلم أكد اصادف من لايفضح الام والأبا
رأيت أبا يشقى بتربية ابنه ويسعى لكى يدعى مكيسا ومنجبا
اراد به النشء الاغر فما درى ايوليه حجرا ام يعليه منكبا
اخو شقوة مازال مركب طفله فاصبح ذاك الطفل للناس مركبا
لذاك تركت النسل واخترت سيرة مسيحية احسن بذلك مذهبا (١)

ونحن لانقبل منه مثل هذا التعليل ولانقتنع به ، فالامومة والابوة غريزة فى الانسان ، كما وان الابناء منهم الصالح ومنهم الطالح ، فلا ينطبق على الجميع ما تشاءم به الزمخشرى ، كما أن الاسلام لايقبل الرهبنة ممن قدر على الزواج وتحمل مسؤولياته .

ومع أن الزمخشرى قضى حياته عزبا ، الا أنه كان عفيفا بعيدا عن كل الأمور التى تخل بالشرف والحياء ، حتى وهو فى عز شبابه مع توافر اللذات التى تجذب الشيوخ اليها ، الا أنه يحفظ نفسه مع قدرته على الخوض فى هذه الملذات ، فهو يقول :

اذا نزق اللهو الشيوخ فاطلقوا حباهم ، وطاشوا زاد حبوته عقدا
على انه فى عنفوان شبابه وان عليه من رياش الصبا بردا
ولو شاء — لكن لن يشاء ولم يشأ لجاوز فيما تشتهى الانفس الحدا (٢)

(١) الديوان : ١/٦٧ـ٥ .
(٢) الديوان : ٣٥/٢٦ـ٣٧ .

وفي موضع آخر يذكر عرض الفواني الوصل عليه ، ولكنه يبتعد عن ذلك ولايقبله لنفسه :

دعتني الى الوصل الدمى غير انني ... حماني جواب الداعيات التحرج (١)

واذا كانت هذه العفة في صباه فهو في شيخوخته اوضح واظهر فبالاضافة الى مروءته وتقاه اللذين ينهيانه عن اللهو وجد ناهيا جديدا هو الشيب :

ترى كل جيداء تنصب جيدها ... كما رعت ظبيا بالصريمة حاقفا
يلم بجار الله طائف جنة ... اذا ماخيال زار منهم طائفا
يكاد لزيفات الصبا يستفزه ... ويدعو اليه ذاهب اللهو هاتفا
وهيهات هل يصبو ابن سبعين حجة ... وقد راح للموت الذريع مشارفا
كفاني مشيبي والمروءة والتقى ... صوارف عن غير الجميل صوادفا
ومن زل عن ظهر الشبيبة ينقلب ... الى اللهو داعيه عن اللهو صارفا (٢)

وهذا يبين لنا ان الزمخشري مع عزوبته ظل — كما يدعي — عفيفا متحرجا من اقتراف المعاصي طوال حياته .

ولم يكن الزمخشري بدعا في هذا ، فهو في كل آرائه وفلسفته عن المرأة والولد متأثر بآراء أبي العلاء المعري الذي يقول :

لو أن كل نفوس الناس رائية ... كرأى نفسي تناءت عن خزاياها
وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ... ولااقتنوا واستراحوا من رزاياها (٣)

ويقول أيضا :

الأوانس ان تزور قبورها ... خير لها من أن يقال عرائس (٤)

---

(١) الديوان ٨/١٥ . (٢) الديوان ٢٢/٩٣–٢٧ .
(٣) رجعة الى أبي العلاء — عباس العقاد — دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٩٦٧ ص ١٠٣ .
(٤) نفس المرجع ص ١٠٤ .

وفي موضع آخر يقول :

خير النساء اللواتي لايلدن لكم فان ولدن فخير النسل مانفع (١)

ويقول أيضا :

صحبتك فاستفدت بهن ولدا اصابك من أذاتك بالسمات
ومن رزق البنين فغير ناء بذلك عن نوائب مسقمات
فمن ثكل يهاب ومن عقوق وأرزاء يجئن مصممات (٢)

وكما كان الزمخشري يحب أمه وأباه ولم ينقم عليهما لانهما أنجباه ، فقد دعا المعري الى اكرام الام والاب فيقول :

العيش ماض فاكرم والديك به الام أولى باكرام واحسان
وحسبها الحمل والارضاع تدمنه أمران بالفضل نالا كل انسان
واعط أباك النصف حيا وميتا وفضل عليه من كرامتها الاما
أقلك خفا اذ اقلتك مثقلا وأرضعت الحولين واحتملت تما
وألقتك عن جهد وألقاك لذة وضمت وشمت مثلما ضم أو شما (٣)

فالمطلع على هذه الآراء يرى ان آراء الزمخشري في الزوجة والولد والأب والأم لاتختلف عنها كثيرا ، واعتقد أن السبب في ذلك هو الظروف النفسية التي عاشها كلا الرجلين والتي تكاد تكون متشابهة .

ويدلنا هذا أيضا على أن الزمخشري قد نظر في شعر المعري .

---

(١) المرجع السابق ص١٠٥ .
(٢) حكيم المعرة — دكتور عمر فروخ — دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع — بيروت لبنان ١٩٤٨ ص ٩٠ .
(٣) المرجع السابق .

احساسه بالنقص لقطع رجله :

لقد أثر قطع رجله على نفسه كثيرا ، لأنه عده نقصا فيه ، لذلك حاول أن يعوض هذا النقص بأن اندفع فى طلب العلم وتحصيله ليبلغ فيه حدا يغطى به على عرجه ، وهو فى الديوان يدافع فى أكثر من موضع عن هذا النقص ويبين انه لايعيب الانسان مثل هذا ، فهو يشبهه بالفلول فى حد السيف ، وقد حاول تغطية هذا الاحساس بالنقص بفضله وعفته ، فيقول :

غمرت بفضلى والتعفف وصمة ... اصابت بها الأيام بعض جوانحى
فلا تنكرى انى اصبت بمثلها ... فكم من فلول فى شفار الصفائح
لئن جرحتنى عضة من نوائب ... رمى الله فى أنيابها بالقوادح
واصبحت كالمقصوص ريش جناحه ... انوء بركن كلما قمت جانح
فعند مجير الدولة المستجار لى ... مداواة أدواء وآسو جرائح (١)

ويكرر هذا التشبيه فى قصيدة أخرى ، ويضرب المثل بالاحنف بن قيس ، وان حنفه لم يغض من حلمه فهو يقول :

ولا يروعك الكسر فى جناحه ... قرينة السيف الفلول فى الطرف
تمثلوا الاحنف فى الحلم وما ... غض من الأحنف عارض الحنف (٢)

ويعود فى موضع آخر فيبين أن عيب الانسان فى تصرفاته وأخلاقه لا فى صفاته الجسمية :

فلا تسخرى من ساق رجلى وغمزها ... ففى ساق حالى موقع الغمز أظهر (٣)

---

(١) الديوان ٢٠/٧ـ١١ .
(٢) الديوان ٢٣١/١٢، ١٣ .
(٣) الديوان ٣٠/٦ .

وكثيرا ماكان يحول هذا العرج بينه وبين مايحب ان يعمل فيقول :

يطير الى المعلاة لى كعب شيق ولكن جناح لاينوء مهيض (١)

هذا التكرار لقطع رجله بين الحين والآخر ، يدل على مدى تأثير هذا القطع على نفسه ، وانه يحاول أن يدفع عنه العيب به بشتى الحجج والبراهين .

وقف حياته على العلم وافتخاره به :

كانت بيئة الزمخشرى الخاصة والعامة تشجع العلم وتيسر اسباب الحصول عليه ، فيتلقى الزمخشرى العلم فى أول حياته فى زمخشر على يد استاذه أبى مضر الضبى ، وكان الزمخشرى ذكيا ومشغوفا بالعلم ويعجب الاستاذ بتلميذه ، فيتعهده برعايته وتوجيهه ويساعده بماله .

ولكن التلميذ لايكتفى بما فى زمخشر من علوم ، فيرتحل الى بخارى ليستزيد من مناهل علمائها ، وكانت ماتزال تابعة للدولة السامانية ولها صيت ذائع فى العلم حتى ان الثعالبى يقول " انها كعبة طلاب العلم ، ومطلع نجوم الأرض " (٢) . ولم يكتف الزمخشرى بهذا أيضا بل زار بغداد واجتمع بالعلماء وأخذ عنهم ، فقد اجتمع فيها بالفقيه الدامغانى وبالشريف ابن الشجرى وزار كذلك الشام ، ثم أقام مدة بمكة وصاحب فيها الشريف ابن وهاس ، وقرأ كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة اليابرى .

وفى طريق عودته الى وطنه عام ٥٣٣ هـ يعرج على العراق ، ويجتمع بأبى منصور الجواليقى ، ويقرأ عليه بعض كتب اللغة ويستجيزه فى روايتها ، وفى هذا يقول القفطى . (ان الزمخشرى قدم علينا بغداد سنة ٥٣٣ هـ ،

---

(١) الديوان ٣/٨ .

(٢) يتيمة الدهر — الثعالبى ج ٤ ص ١٠١ .

ورأيته مرتين عند شيخنا أبى منصور الجواليقى قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ويستجيزا لها "(١).

والملاحظ هنا ان الزمخشرى وهو ابن السادسة والستين ، لم يتورع ان يجلس مجلس طالب العلم ، ليتلقى على من هو أعلم منه ، وهذا يدل على نفس شغوفه لنيل العلم والمعرفة .

ومن السهل ان نعرف من أسماء اساتذته ومن مؤلفاته التى أسلفنا ذكرها ، أنه درس اللغة ، والنحو والعروض ، والأدب والبلاغة والتفسير والقراءات ، والحديث والفقه ، وعلم الكلام والمنطق وبعد أن درس هذه العلوم وهضمها أخذ فى وضع المصنفات فيها فساهم فى كل مجال بأكثر من كتاب حتى بلغت مصنفاته حوالى ستة وخمسين مؤلفا .

ولهذا فقد اعتز بدراساته ومؤلفاته وافتخر بها فى كثير من شعره ، فيقول :

توانى فى علم المنزل فارسا	وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
فللسنة البيضاء فى مناجح	ويبغى كتاب الله منى المعارفا
وما أنا من علم الديانات عاطل	فأحسن حلى لم يزل لى شانفا
وما للغات العرب مثلى مقوم	ابى كل ندب متقن ان يخالفا
وبى يستعيذ النحو من أن يسوسه	نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
وعلما المعانى والبيان كلاهما	أزف الى الخطاب منه وصائفا
وعلم القوافى والأعاريض شاهد	بفسحة خطوى فيه اذ كنت زاحفا
اقرت بى الآداب أصلا لها ومن	رأى مشرفيات جحدن المشارفا
وديوان منظومى يريك بدائعا	وديوان منثورى يريك طرائفا

وقد أوردت أمثلة أخرى من فخره هذا فى موضوع الفخر ، واكتفى هنا بما ذكرت خوف الاطالة والتكرار .

(١) أنباه الرواة — القفطى ج ٣ ص ٢٥٠ .

اعتزازه بنفسه

لقد كان الزمخشري ـ رحمه الله ـ عزيز النفس يأنف من الضيم، ويفضل الغربة على الاقامة في وطنه ان لم ينل مايصبو اليه من جاه ومنصب ، فيرحل الى أي مكان يشعر فيه بالكرامة والعزة .

وأول مايطالعنا من عزة نفسه اعتداده بها وطلبه من نظام الملك أن يجد له نظيرا في جميع المحافل ، وتهديده له بالرحيل عن خوارزم كلها ، فيقول :

فكل امرئ آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى في جميع المحافل
لئن كان امرى في خوارزم ماأرى ... فان رحالى في ظهور الرواحل (١)

ونجده في قصيدة أخرى يبين مدى حبه لبلاده ، ولكنها لما أصبحت منزلا لذله وقهره ، فهو يصمم على الرحيل عنها وعدم الرجوع اليها ، فهو يقول :

أحب بلاد الله شرقا ومغربا ... الى التى فيها غذيت وليدا
ولكن تواسى بالكرامة غيرها ... وهذى ارى فيها الهوان عتيدا
وما منزل الاذلال للحر منزلا ... وان كان عيش الحر فيه رغيدا
سأرحل عنها ثم ليست براجع ... واضرب عرضى في البلاد بعيدا
فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ... ولاعشت بين الصالحين حميدا (٢)

وكرر هذا المعنى في مكان آخر ، فهو يريد أن يسير عن موطن اللؤم الى بلد ترعى فيه حقوقه ، فقال :

ساصبح عن مستوطن اللؤم سائرا ... الى بلدة تُرْعَى حقُوقِى كرامُهَا
لاقصم عنى عروة الذل معصما ... بعروة عز لايُخاف انفصامُهَا (٣)

(١) الديوان ـ ٢٥/٢١، ٢٢ . (٢) الديوان : ١٧/١ـ٥ .
(٣) الديوان : ١٩/١٨، ١٩ .

وفى قصيدة أخرى يرى أن عيب نفسه فى اقامتها فى خوارزم وأن توحاله فى البلاد ليس اغترابا بل الاغتراب فى نظره أن يقيم بين الناقصين فيقول :

ولا عيب فى نفسى سوى فضلها ، بلى اقامتها فى أرض خوارزم عابُها
وترحالها ليس اغترابا وانما اقامتها فى الناقصين اغترابُها (١)

ا ق ر أ

وتظهر عزة نفس الزمخشرى فى آماله العراض ، وهمته العالية التى تضيق عن اتساعها بروج السماء :

دعتنى الى الوصل الدمى ، غير اننى حمانى جوابَ الداعيات التحرجُ
ونفسٌ جُسيماتُ المعالى تشوقُها اذا غَزِلٌ شاقته خودٌ وهودج
لها هِمَمٌ لو أنهن كواكب لما وسعت تلك الكواكبَ أبرجُ (٢)

ا ق ر أ

وفى قصيدة أخرى تظهر عزة نفسه واضحة ، فهو يبتعد عن موقف الذل والذى يثبطه عن ذلك همته العالية وعزة نفسه التى تركب حد السيف المرهف ولا تقترب من الهجان ، وأنه لايزور الرجال متملقا لهم ، بل ينأى بجانبه عن ذلك ، فهو يقول :

تثبطنى عن موقف الذل همة الى جنبها حد السماك معفر
وعزة نفس تركب السيف مرهفا وتسمع حسا من هجان فتنفر
ولست بزوار الرجال تملقا وركنى عن تلك الدناءة أزور (٣)

---

(١) الديوان : ٢٢/١٦ ، ٢٣ .

(٢) الديوان : ١٥/٨ـ١٠ .

(٣) الديوان : ٣٠/ ١٧ ، ١٨ ، ٢١ .

حبه للعرب والعروبة الناشئ عن اخلاصه لثقافته العربية والاسلامية :

عاش الزمخشرى فى عصر قوى فيه الحديث عن الشعوبية بتشجيع ذوى السلطة ممن لم يدخل الايمان قلوبهم ، فأخذ الشعوبيون يناقشون العرب فى كل شئ ويقللون من فضلهم وقيمتهم ، ولكن الزمخشرى المسلم يربط بين العروبة والاسلام ويعد ان أى طعن يوجه الى اللغة العربية أو الى العرب هو طعن فى هذا الدين ، فرسول الله — عليه الصلاة والسلام — عربى ، والقرآن الكريم نزل باللغة العربية ، لذلك نجده يدافع عن هذه الفكرة بكل ماأوتى من قوة ، مع انه ليس عربيا ، بل هو مسلم يدافع عن لغة دينه وأهلها . لذلك نجد له قصيدة طويلة سماها العربية (١) ، يدافع فيها عن فكرته السابقة ويظهر حبه للعرب وللعروبة .

يفتتح الشاعر قصيدته بذكر الديار وارتحال الحبيبة العربية، مظهرا ذلك من خلال وصفه لأهلها ، ليدخل الى غرضه وهو مدح العرب فيقول :

من العرب الصيد الأولى أحرزوا العلا وطابت لهم أعراقهم والمغارس
غطارفة شم تربوا أعزة فما شم ريح الذل منهم معاطس

وقد عدد فى هذه القصيدة الكثير من صفات العرب الحميدة والتى تأصلت فى نفوسهم منذ القدم ، فهو يصفهم بأنهم اصلب نبعة ، وأنهم يقومون بتحمل أعباء المسؤولية وأعباء الدولة عبر العصور ، ويتعرض لآبائهم وصبرهم مشبها لهم فى الاباء بالخيل الشوامس ، وفى الصبر بالابل الخوامس :

والعرب العرباء أصلب نبعة وهل يستطيع الحز فى النبع ضارى

---

(١) الديوان : ٣ .

فيا أمة لو يشعر الصخر بالــذى   تمارس جنح الصخر مما تمــارس
اباء اباء الخيل وهى شوامــس   وصبر كصبر الهيم وهى خوامــس

ثم ينتقل الى ذكر شجاعتهم وفروسيتهم ، ذاكرا من أيامهم فـــى الجاهلية يوم داحس والغبراء ، ليدلل على شدة تحملهم للحرب مهمـــا طالت مدتهـــا :

ومازال منهم فى الهزاهز كلهــا   فوارس هيجا أو ليوث فــوارس
مساعر ما يحمى الوطيس بمثلهــم   اذا فرعن جو القراع المغامــس
فكم طعنة بكر يطير رشاشهــــا   لفتيانهم والحرب شمطاء عانــس
ويكفيك من أيامهم وحروبهـــــم   بما جرت الغبراء أو جر داحس

ويظهر تعصبه للعرب واضحا عندما يذكر انتصاراتهم على الفرس وسلبهـــم تيجان ملوكهم :

وهم فرسوا أبناء فارس كلهـــم   بأنيابهم وهى الرماح المداعس
وهم سلبوا التيجان هام ملوكهــم   ولم يقفلوا عنهم وفارس فارس

ولم ينس الزمخشرى صفة الكرم التى اتصف بها العرب فيقول :

وأى سخاء يدعى كسخائهـــــم   بما ملكوا والجو اغبر عابــــس
بأسيافهم يعرون سوق عشارهــــم   اذا نزل الاضياف والضرع يابس

وكذلك يذكر اجارتهم لمن يستجير بهم فيظهر هذه الصفة بشئ مـــــن المبالغة حتى ان الذى يستجير بعظام ميت من العرب يكون فى حصـــن حصــين :

وأن تستعذ منهــم بأعظم ميــت   فذلك حصن مانع لك حــارس
اذا اعتقلت كفاك منهم بذمــــة   فخصمك فل ناكص عنك ناكــس

ثم يبرز لنا محافظتهم على العرض ، وتضحيتهم بالارواح فى سبيلــه واعتزازهم بأصلهم ، وترفعهم على بقية الشعوب الاخرى ، ويورد لنا مثــلا

على ذلك قصة النعمان بن المنذر مع كسرى وترفعه عن مصاهرته ولو كان في ذلك حتفه :

واعراضهم أعراقهم وكلت بهـا   مهيمنة حتى أتقنها المدانس
وعن صهر كسرى صد نعمان بـأوه (١)   فخنقه في خانقين الفوارس
وهان عليه يومه قبل ساعـة   يكابد فيها صهر من لايجانس

ثم انتقل بعد ذلك الى اللغة العربية وانتشارها في الأمصار مثل انتشار ضوء الشمس في اليوم المشمس ، ثم يقول ان الله لم يخلق أمة على ظهر الأرض تناسبهم في أى خصلة :

وقل هل فشا في الأرض غير لسانهم   لسان فشو الضوء واليوم شامس
به عج في أمصارها كل منـبر   وطنت به في الخافقين المدارس
على ظهرها لم يخلق الله أمـة   تناسبهم في خصلة أو تلابس

ثم يقدم البرهان القاطع لتفضيله العرب على غيرهم من الشعوب ، وهو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهم ، وان القرآن الكريم انزل بلسانهم ويكفيهم هذا فضلا :

وواحدة تكفيك هاتيك حجـة   بساطعها تنشق عنك الحنادس
أجل رسول منهم وبلسنهـم   أجل كتاب فاعتبر يامنافس

ثم يختتم القصيدة بتوجيه خطابه للشعوبيين بأن أحاديثهم هي من تضليل شياطينهم ، وأن مذهبهم باطل ولايغتر به الا الاشايب الحمقى :

وقل للشعوبيين ان حديثكـم   اضاليل من شيطانكم ووساوس
لكم مذهب فسل يغر بمثلـه   اشايب حمقى لا الرجال الاكايس

وأى تعصب للعرب أكثر من هذا التعصب ، واعتقد ان الأثر الاكبر في حبه للعرب وللعروبة يرجع الى استاذه الضبي ، العربي الاصل ، فأثر الاستاذ في تلميذه فنشأ على حب العرب والعربية منذ الصغر .

الباب الثاني

((الباب الثانى))

شعر الزمخشرى

الفصل الأول : مصادر شعره .

الفصل الثانى : موضوعات شعره .

الفصل الثالث : الخصائص الفنية .

الفصل الرابع : القيمة الأدبية والتاريخية للمخطوطة .

: : : : :

((الفصـــل الأول))

====

مصـــادر شعـــره

أ ـ المخطوطــــــات .

ب ـ المصادر الأدبيـــة .

::::

(أ) مخطوطات الديـــوان :

١ ـ نسخة الاصل : وتوجد هذه النسخة فى مكتبة جامعة ييـــل فى (نيوهافن) فى الولايات المتحدة الامريكية ، وتحمل رقم ٧٠٥ ، وقـد تم الحصول عليها عن طريق مراسلة الجامعة ، وقد أرسلوا لى (ميكروفيلم) عن المخطوطة ، وهى تقع فى مائتـين وثمان وثلاثـين ورقة من الحجـم الصغير ، فى كل صفحة اثنا عشر سطرا ، وقد ضمن كثيرا من القصائـــد والمقطوعات زيادة عن بقية النسخ ، وقد اشرت الى ذلك فى مكانه بقولـى (انفردت نسخة الاصل بذكره) .

كتبت هذه النسخة فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة للهجرة أى بعـد وفاة الزمخشرى بمائة وخمس عشرة سنة ، وقد نقلها الناسخ عن خـط الزمخشرى نفسه ، حيث يقول الناسخ فى نهاية القصيدة رقم (٣٠٨) مانصـه :

آخر ماأثبته الامام البارع العلامة جار الله فخر خوارزم فى ديـوان منظومة بخط يده . ووقع الفراغ على يدى العبد الفقير الى رحمة ربـــه محمد بن محمد بن الحسن الصفارى فى سلخ جمادى الآخرة من سنـــة ( ) غفر الله لمن نظر فيـه .

ومن ناحية الخط ، فقد كتبت بخط واضح .

وأثبت فيما يلى ماوجدته على اللوحات الاولى من شريط التصور : فقـــد كتب على اللوحة الاولى (START) اى البداية . وكتب على الثانيـة (LANDBERG 705)

كما كتب على الثالثة : ديوان الزمخشرى (كلام غير واضح) .

(كلام غير واضح) LANDBERG 705

أما الرابعة فكتب عليها : عام (   )

سنة ٥٣٨ .

ووفاة جار الله الزمخشري سنة ٥٣٨ هـ ، ووفاة الشريف الامام

أبي الحسن بن وهاس الذى (   ) سنة ٥٥٧ هـ .

وعلى الخامسة : (   )

(   ) كتب بمده (....) مرجعى .

(   ) فى راحتك وحمرة فى أضلعى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(   ) من كتب السيد الاجل السيد محفوظ بن صالح

(   ) اتصل اليه بالشراء الصحيح والثمن المستوفى ، فليعلم

ذلك .

كتبه محمد بن عبد الرحمن مصوك .

واللوحتان السادسة والسابعة : فاغتان :

وكتب على اللوحة الثامنة :

الحمد لله .

العلامة جار الله رضى الله عنه وارضاه ، قد رتب ديوان المنظوم

على ترتيب بحور الدائرة المعروفة فى الشعر ، وصدر فى كل بحر ماكان

ولى بالتقديم والتصدير من مدح النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،

أو مدح الشريف الامام الفاضل ابى الحسن ابن وهاس الحسنى الفاطمى

الرائدى عليه وعلى آله السلام

فأولها :

المقول على بحر الطويل ، ثم المقول على بحر المديد ، ولم يكن عليه الا قصيدة

وعظية ومقطوعة ، ثم المقول على بحر البسيط ، ثم المقول على بحر الوافر ،

ثم المقول على بحر الكامل ، ثم المقول على بحر الرجز ، ثم المقول على بحر الرمل ، ثم المقول على بحر السريع ، ثم المقول على بحر المنسرح ، ثم المقول على بحر الخفيف ، ثم المقول على بحر المضارع ، ولم يكن عليه الا أربعة أبيات ، ثم المقول على بحر المجتث ، ولم يكن على المحدث الا قصيدة ، ثم المقول على بحر المتقارب ، فالمقول عليها فى الديوان ثلاثة عشر بحرا ، وبحور الشعر ستة عشر بحرا ، وثلاثة لم يقل عليها وهى الهزج والمقتضب و (   ) والله الهادى .

وكتب على التاسعة : من فضل الله على فقيره أحمد حسن بركات

وفقه الله . من فضل الله على عبده داود عباس

السالمى تاريخ صفر ١٢٩٣ .

اللوحة العاشرة : فراغ .

وعلى الحادية عشرة : لا اله الا الله العزيز الرحيم .

أودعت فى هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذه الصفحة كلام كثير ، ولكن المصور وضع ورقة بيضاء مكتوب عليها : كتاب ديوان الشيخ الامام

العلامة أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى .

رحمه الله تعالى .

فطمست هذه الورقة اللوحة ومعظم ماكتب عليها ، كما يظهر فى الصورة المرفقة صورة رقم (١) .

ثم تبدأ المخطوطة بمقدمة نثرية مسجوعة ، وقد كتبها الناسخ بفقرات بينها نجوم ، والصفحتان الاولى والثانية من المخطوط محاطتان باطار من

الزخرف يشبه زخرفة المصاحف الشريفة لسورة الفاتحة وأول سورة البقرة ، وأول هذه المقدمة النثرية قوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه : ابدأ بحمد الله على هدايته لأقوم السبل ، واثنى بالصلاة والسلام على خاتم الانبياء والرسل ...

ثم أثبت الناسخ الشعر مرتبا على بحور الشعر كما مر ، وفى كثير من الصفحات كتب بعض التعليقات فى الهوامش بخط يغاير خط الناسخ ، وهو خط ردئ وغير واضح ، ومكتوب فى جميع الاتجاهات ، ولم أتمكن من قراءة شئ منه ، فهو لصغره لم يظهر على القارئة واضحا .

وفى نهاية قصيدة رقم ٣١١ والتى مطلعها :

الى الله أشكوك ياساق حر قدحت بنوحك فى ساق حر

وآخر بيت فيها :

حنطا امد علمه والتقى مع الشرف القائم المستمر

وكتب بعده : " هذا آخر الديوان المنسوب الى الشيخ الامام الاجل العلامة رئيس الافاضل استاذ الدنيا شيخ العرب والعجم فخر خوارزم أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري برد الله مضجعه وطيب فى الجنات مهجعه .

كتب يوم السبت

سنة ( )

ثلاثة وخمسون ( ) .

(ومن بداية القصيدة ٣١٠ اختلف الخط ، وكتبت القصائد الثلاث ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ بخط يغاير خط الناسخ) .

ومع أن العبارة السابقة تدل على أن الديوان قد انتهى الا انـــه كتب بعدها ، وقال أيضا ، وذكر القصيدة رقم ٣١٢ .

وبعدها كتبت قصيدة للشيخ اسماعيل بن محمد بن أبى بكر المقـرى رحمه الله تعالى مستعطفا بها السيد الشريف سلطان الحجاز المنيـف بدر الدنيا والدين الحسن بن عجلان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنتــه بعد ان وقع بينهما حروب طالت .

وآخر لوحة فى شريط التصوير كتب عليها :

ديوان الزمخشرى :

لبعض علماء الغرب المتقدمين :

لاتلده على الوقوف بدار اصلها ( )

جعلوا الى هداهم سبيل عم شهدوا ( )

الحمد لله والصلاة والسلام ( )

طالعه داعيا لسيده بدوام العزة والسيادة

نزيـل مكـة المشرفـــة .

وقد وضع هذا التنبيه فى أسفل كل صفحة فى المخطوطة :

FROM YALE UNIVERSITY LIBRARY.
NEW HAVEN CONNECTICOT U.S.A.
NOT TO BE PUBLISHED OF BEBRODUCED
PHOTOGRAPHICALLY WITHOUT PERMISSION
OF THE YALE UNIVERSITY LIBRARY
NOW HAVEN CONNECTICOT.

أما بالنسبة للألف اللينة فقد كتبها الناسخ ألفا مقصورة فى معظـــم المواضع ولم يتبع فى ذلك قاعدة معينة ، وكذلك الهمزة فقد لينت فـى معظم الكلمات وكتب مكانها ياء ، والهمزة التى لم تلين فقد كتبها كمــا يحلو له دون أن يراعى فى كتابتها القواعد المتبعة اليوم .

ب) نسخة دار الكتب المصريـــة :

لقد أطلعت على هذه النسخة فى الدار ، وحصلت على شريط مصـور عنها من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وقد كتبت فـــى القرن الثامن ظنا ، وهى تقع فى ١١٩ ورقة ، ٢٣٨ صفحة فى كـــل صفحة ٢٢ سطرا ، وهى بمقياس ١٧×٢٤ سم ، وهى مسجلة فى الـدار تحت رقم ٥١٩ أدب ، وفى معهد المخطوطات رقم ٣١٢ .

خطها واضح وغير مشكول ، كما انها خالية من الحزم ، ولايوجـــد شروحات عليها .

بدأت بالمقدمة المسجوعة نفسها . ورتبت فيها الاشعار على حروف الهجاء.

كتب فى نهايتها :

تم الديوان بحمد الله وتوفيقه والحمد لله على الكمال .

ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظـيم .

بلغ مقابلة مقابلـة

حسب الطاقـــة

وقد ارفقت صورة للصفحة الاولى وأخرى للصفحـة الاخيرة ، لاظهـــار الخط والبداية والنهايـة .

(٣) نسخة دار الكتب الظاهريـــة :

لقد ذهبت للمكتبة فى دمشق ، واطلعت على المخطوطة ، وأخـــذت صورة ورقية لها . وهى نسخة عادية حديثة مكتوبة بخط معتاد . وقولـــه : (وقال أيضا) وماشابه ذلك فى أول القصائد مكتوب بالحمرة ، وكذلـــك عبارة الختام .

كتبها محمود شكرى فى مدرسة حكيم حلبى فى اقسراى (تركية) سنـة ١٣١١هـ . وتقع هذه المخطوطة فى ١٣٠ ورقة ، ٢٥٩ صفحـــة.

فى كل صفحة ٢١ سطرا ، ومساحة الورقة ٥ر٢٢ سم × ٥ر١٧ سم .

ورقمها فى المكتبة الظاهرية ٤١٦٣ .

وهذه بعض الملاحظات عليها :

(١) انها مليئة بالاخطاء والتصحيفات والتحريفات .

(٢) لقد رتب الشعر فيها على حروف المعجم .

(٣) يوجد على ثلثها الاول مقارنات مع نسخة أخرى ، ولم يذكر المقارن بأى نسخة عارضها .

(٤) أضيف اليها عدد من الاوراق تختلف فى نوعها وحجمها وشكلها وخطها عن أوراق المخطوطة ، وقد كتب على الورقة الاولى والتى تقع قبل بداية المخطوطة ترجمة للزمخشرى من كتاب نزهة الالباء فى طبقات الأدباء (١) .

أما الورقتان الواقعتان بين الصفحتين الثانية والثالثة من صفحات المخطوط فقد كتب على الاولى فقرة من المقدمة وتحتها شرح المفردات الصعبة فيها . وأما الثانية فقد كتب عليها شرح تابع لما قبلـه .

وورقتان بين الصفحتين ٤٠ ، ٤١ ، فقد كتب عليهما من الداخل فقط ، موجود فيهما شرح للكلمات .

كتب على غلاف هذه المخطوطة :

هذا الترتيب ماوجدنا من ديوان العلامة امام المفسرين فخر خوارزم مولانا جار الله زمخشرى ، واسمه محمود بن عمر رحمه الله تعالى .

---

(١) وقد ذكر فى ذيل هذه الصفحة ان الترجمة أخذت من طبقات الألباء .

رايت مكتوب (١) على نسخة هذا الديوان ولا أدرى قائلـه :

قف على ديوان محمود الـذى حمدت ألفاظه بـين الـورى
غص على مافيه من معنى تجـد زاخرا فى العلم يبـدى دررا

المشترى

٤١٦٣

وقد بدأت المخطوطة بالمقدمة السجعيـة :

بسم اللـه الرحمن الرحـيم

قال عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشرى رحمة الله عليه . ابدأ بحمد الله على هدايته لاقوم السبل . واثنى بالصلاة على خاتـم الانبياء والرسل . فان الحمد مضمار لحمد الله فيه قدمة المجلى والصلاة على مصطفاه محمد قدوة المصلى ......

أما خاتمتها :

وقال أيضا

أبا الوفا ابنك مابالـه ليس له منك التفات اليـه
ضيعته والحر تضييعـه للولد الصالح عار عليـه

والحمد لله رب العالمين .

تمـت .

كتبـه الفقير الحقير بالعجز والتقصير متراب اقدام الفضلا محمـود شكرى فى مدرسة حكيم حلبى فى أقسراى (٢) سنة احدى عشر وثلثمائـة وألف من هجرة من له العز والسعادة والشرف . فى شهر صفر الخير .

وقد ارفقت صورة للصفحة الاولى واخرى للاخيرة من هذه المخطوطة لاظهار الخط وعبارتي البداية والختام .

---

(١) هذا الشكل للكلمة ماكتب على غلاف النسخة وهو خطأ بين . والصواب أن يكتب (رأيت مكتوبا) .

(٢) كتبت (در) وهى بمعنى فى . (٣) كتبت (هجرت) وهو خطأ .

(٤) نسخة رئيس الكتاب بتركيا :

لقد رتبت بنفسى ترتيب نسختى المكتبة الظاهرية ودار الكتب المصرية وكتبت بخط نسخ واضح وفيه بعض الشكل وهى تقع فى ٢٠٩ ورقات من الحجم الصغير وفى كل صفحة اثنا عشر سطرا ، وتحمل رقم ٣٣٠ بالنسبة لمكتبة رئيس الكتاب ، أما الشريط المصور فى معهد المخطوطات فيحمل الرقم ٣١٢٠٠ قد أصابتها بعض الرطوبة وخاصة الجزء الاسفل منها والقريب من الحروف ، ضاعت معظم النقط ، أو انها لم توضع أصلا ، لذلك اهملتها فى المقارنة .

رموز مخطوطة الاصل والمخطوطات المعتمدة للمقارنة فى التحقيق والمهملة :

الرقم المتسلسل	مكان المخطوطة	الرقم	تاريخ النسخ	الرمز
١	جامعة بيل / امريكا	٧٠٥	القرن السابع / ٦٥٣ هـ	الاصل
٢	دار الكتب المصرية	٥١٩	القرن الثامن	د
٣	المكتبة الظاهرية/دمشق	٤١٦٣	القرن الرابع عشر	ظ
٤	رئيس الكتاب/ تركيا	٣٣٠	القرن الثامن	ر

ولقد اعتمدت نسخة (جامعة ييل بأمريكا) اصلا فى التحقيق ، وذلك لعدة أسباب :

أ ـ انها أقرب النسخ الى وفاة الشاعر ، فقد نسخت بعد وفاته بمائة وخمس عشرة سنة ، بالاضافة الى ان الناسخ قد نقع عن خط الزمخشرى

ب ـ خطها واضح ، قليل التصحيف والتحريف .

جـ ـ رتبت الاشعار فيها على حسب البحور ، كما رتبها صاحب الديوان اصلا ، أما فى بقية النسخ فقد رتبت الاشعار على حسب حرف الروى .

ولقد سرت فى تحقيقى على النهج التالى :

(١) أثبت ماورد فى نسخة الاصل على انه متن لمادة التحقيق واضعا الكلام غير الواضح أو الفراغ بين معقوفتين ( ) .

(٢) جعلت نسخة دار الكتب المصرية ، ونسخة المكتبة الظاهرية للمقارنة، وعارضت النص بهما ، أما النسخة الاخيرة وهى نسخة مكتبة رئيس الكتاب ، فقد أهملتها لكثرة التصحيف فيها ، لانها شبه منقوطة فقد سقطت معظم نقطها أو طمست مع الزمن أو لم توضح اصلا .

(٣) اشرت الى اختلاف الروايات ، واثبت الفروق بينهما فى الهامش الاول .

(٤) ضبطت النص الشعرى بالشكل فى المواضع التى تحتاج الى ضبط .

(٥) شرحت مايحتاج الى شرح من الالفاظ فى الهامش الثانى معتمدا على اللسان فى أغلب الاحيان ، بالاضافة الى معجم (أساس البلاغة) من أجل الاستعمالات المجازية ، ولانه للشاعر ، فالاحرى ان نعرف مقصود كلامه من معجمه ، وفى بعض الحالات كنت استعين بالقاموس لعبارته المختصرة فى اعطاء المعنى بخلاف اللسان لـولا نقصه عن اللسان بحوالى عشرين ألف أصل تقريبا .

(٦) شرحت أسماء المواضع التي يحفل بها الديوان ، وقد اعتمدت معجم البلدان لياقوت ولسان العرب •

(٧) ترجمت للاعلام الواردة في الديوان مع ذكر مصادر ترجمتها •

(٨) قومت التصحيفات والتحريفات التي أصابت أصل الديوان ، كما أشرت اليها في النسختين المعتمدتين للمقارنة ، وعللت لذلك التحريف والتصحيف ما استطعت لذلك سبيلا •

(٩) حاولت تقويم وزن ما اختل من أبيات الديوان •

(١٠) اشرت في الهامش الى ما اقتبسه الشاعر أو أشار اليه من آيات قرآنية أو أحاديث أو أمثال أو قصص •

(١١) رقمت القصائد والمقطوعات والنتف والابيات المفردة جميعا •

(١٢) خرجت الاشعار المنسوبة للزمخشري من كتب الادب والتراجم وغيرها وقد جعلت ذلك في ملحقين :

الملحق الاول : سجلت فيه الاشعار الموجودة في الكتب التي ترجمت للزمخشري وفي نفس الوقت موجودة في الديوان •

والملحق الثاني : جعلته للاشعار الموجودة في الكتب السابقة الذكر ولا أصل لها في الديوان •

(١٣) زودت الديوان بملحق ثالث ذكرت فيه رقم القصيدة وبحرها ومطلعها وعدد أبياتها والغرض الذي قيلت فيه •

(١٤) زودت الديوان بفهارس مختلفة :

١ ـ فهرس الآيات القرآنية •
٢ ـ فهرس الاحاديث •
٣ ـ فهرس الامثال •
٤ ـ فهرس الاعلام •
٥ ـ فهرس الايام والحروب والغزوات •
٦ ـ فهرس القبائل والاقوام • ٧ ـ فهرس الاماكن •
٨ ـ فهرس القوافي مرتبة على حروف المعجم •

ودونك بحر بالخبيئات عذب الموارد فذات

زواخر المعنى والملحة الصابة همة [illegible]

زحوح ذات منطقة وهدا الزخرفة

صدوق اللسان لواق القطا مزن به صرف

لنا ذكرى شعر صحفناه مرقومتان

على فارس المرد النايرات يكر فيعصف

فيروى بعزة نهر المسلك بنقط اللوى وبنقط المعين

هنيئاً لمعلمه والتقى معه الشرف القائم

هذا آخر الديوان المنسوب الى المسمى

اجل العلماء ... الفاضل ... الدنيا

شيخ العرب والعجم فخر خوارزم ابي القاسم محمود بن

الزمخشري برد الله وطيبه الجنان مضجعه

كرم السنة

احدى صفحات نسخة الاصل تبين عبارة الختام .

الامام البارع العلامة

جار الله فخر خوارزم ...

منظوم بخط ...

الفراغ على يدي العبد الفقير الى

رحمة ربه محمد بن الحسن الصفاري

[illegible] سلخ جمادى الاخرة من سنة [illegible]

احدى صفحات نسخة الاصل تبين ان الناسخ أخذ عن
خط الزمخشري .

تواصوا بحفظ المعالي من العدى … وقتل باسياف الموالي الاعاديا
اذا ركبوا الفتحوا فرضيلهم … على شارق اليوم العبير واديا
اناس يصيب الخير والشر عندهم … ويوسعهم فيما ارادوا تماديا
بهم العروة الوثقى بحامل مفرح … ولا من يخاف يطرق الحي هاديا
اذا حاجة حلت بهم وكلوا بها … انامل سبطات تثني الايا ديا
اباد جزيلات بواد عوايد … عوايد بالعظمى تثني البواديا
وما سلكت طرق المعالي قبيلة … تطالب الامن اولئك باديا
فاصبح لهاك الله بانسل معرق … لنسل هجان من اولئك قاديا

وقال ايضا

ابا الوفا انك ما بار … ليس له منك التفات اليه
ضيعته والحر تضيعه … للولد الصالح عار عليه

والحمد لله رب العالمين

تمت

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه
ابدا بحمد الله على هدايته لاقوم السبل واثني بالصلاة على خاتم
الانبياء والرسل فان الذكر مضمار لحمد الله فيه قدمة المجلي والصلاة
على مصطفاه محمد قدوة المصلي واتخذهما ذريعتي الى من لا اشيم
الا مخايل جوده ولا اشيم الا في خمايل جوده ولا اقتدح الا زناد
فضله التي لا تصلد ولا استطب الا من مزاد كرمه الذي لا تنضد
ولا استجدي الا من لا افتقر اليه هو الاغنى والا من الملق بين يديه
هو الخطر الاسنى واياه استل تحت سجوف الظلام واليه اجأر في
ساعات النيام ان يقمصني شعار التوبة النصوح ويشنفني بطيب
الجسد والروح حتى اذا توفاني الملك الموكل بقبض الارواح الفاني
في زنانى عيبة الستر والصلاح ولله عندي ايادي عمم لا تعطلوا يد الشاكر
سحوقها بل لا يستطيع باع الواصف لحوقها وما اجل الصنع فيه
انا حق بمكة مرضيا ومرودا ولولا ابن وهاس وسابغ فضله
رعيت هشيما واستقيت مصردا وما شكري ذلك بان الشريفين
ويا ابن ذي المجدين يا اطيب ... بيت النبوة والرسالة ...

اليك بعثت العيس يحدو وراءها … عويلي ويكفيها عويلي حاديا
وان لسلمى في فؤادي قتادها … من الشوق لم تصلد عليه زناديا
اظل اناجي ذكرها وبذكرها … اذا جنّ ليلي ارفع الصوت شاديا
ولم انسها كالبدر بين اهلة … من الخفرات البيض تمشي تهاديا
فزودت منها ناظر العين لمحة … تثنى على احواض صدا صداديا
ايا وادي الاراك الحمام خبرت … عن الحي ان ذم الركائب غاديا
لخذ عبرة كاللؤلؤ السرد رصعت … بها روعت التنزيل متن نجاديا
كان لم يكن في حلبتك لعامر … اذا كرم ناد فديتك ناديا
مراجيح وزن الحلم ايسر شوة … ملبون بالنصر الصريح المناديا
انافوا على احياء بكر تشمّما … وزادوا عليها عزة وتماديا
تواصوا بحفظ بحفظ المرالي من العدى … وقتل باسياف الموالي الاعاديا
اذا ركبوا لفت حوافر خيلهم … على شرح شارق اليوم بعير الدوايا
اناس بتعقيب الخير والبحر عندهم … ويوما هما فيما ارادوه صاديا
هو العروة الوثقى لحامل مغرم … ولابن فؤاد بطرق الحي حاديا
اذا حاجة حلت بهم وكلوا بها … انامل سبطات تثني الايادي
اياد جزيلات بواد عوائد … تسموا لدها العظمى تثني البواديا
وما سلكت طرق المعالي قبيلة … فتطلب الامن اولئك هاديا
فاصبح لحاك الله بانسل معترف … لنسل هجان من اولئك ناديا

وقال ايضا

ابا الوفاء ابنك ما باله … ليس له منك التفات اليه
ضيعته والحر تضييعه … لولد الصالح عار عليه

تم الديوان بحمد الله وتوفيقه والحمد لله على الكمال

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بلغ مقابلة … حسب الطاقة مقابلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله المتبتل اليه محمود بن عمر الزمخشري رحمة الله عليه ابدأ بحمد الله على هدايته لاقوم السبل وانثني بالصلاة على خاتم الانبياء والرسل فانت الذكر مضمار لحمد الله فيه قدمة المجلي والصلاة على مصطفاه محمد قدوة المصلي واتخذهما ذريعتي الى من لا اشيم الا مخايل جوده ولا اسيم الا في خمائل جوده ولا امدح الا بزناد فضله التي لا تصلد ولا اصطب الامن مزاد كرمه الذي لا يصرد ولا استجدي الا من الافتقار اليه هو الاغنى والامن الملتقى بين يديه هو المنظر الاسنى واياه استل تحت سجوف الظلام واليه اجار في ساعات المنام بان يقضيني شعار التوبة النصوح وينفح لي بطيب الجسد والروح ... للملك الموكل بقبض الارواح الفالق في ذناب فتنة السر ... ومنه عند ... لا تعلقه الشاكر سحوقها بل لا يستطيع ... وما اجل الشيخ ليه انا حقيق بحكمه مرضيا مرادا ومودود ... ولولا ابن عباس سلخ فضله دعيته لما استقيت سعرا

رما

ب — ماوجد فى مصادر الادب من شعر لم يسجل فى ديوانه :

لقد انتشرت بعض أشعار الزمخشرى فى كتب الادب والتراجم ، وقد قمت بمقارنة هذه الاشعار بما وجدته من مخطوطات الديوان فوجدتها تقسم الى قسمين ، الاول موجود فى المصادر وفى المخطوطات ، وقد جمعته فى ملحق خاص به ، وأطلقت عليه (ملحق التخريج) ، والقسم الثانى اشعار نسبت الى الزمخشرى وغير موجودة فى ديوانه ، وقد خصصت لها الملحق الثانى ، ورتبتها فيه على حسب حروف الهجاء ، وذكرت المصادر التى أوردتها مفصلة .

ولكنى أسجل هنا احصاء لهذه الاشعار لأبين قلتها الى ديوانه الكبير ، فبينما يبلغ شعر الديوان مايقرب من ٥٢٠٠ بيت ، نجد أن هذه الاشعار ٥٤ بيتا ، اى بنسبة ١/١٠٠ تقريبا .

وهذا جدول يبين المصادر التى أوردت هذه الاشعار مع عدد المقطوعات والابيات فى كل مصدر :

	المصدر	عدد المقطوعات	عدد الابيات
١	أزهار الرياض	١٠	٢٦
٢	أنباه الرواه	٢	٦
٣	الانساب	١	٢
٤	شذرات الذهب	١	٣
٥	الكشاف	١	٣
٦	كنوز الاجداد	٢	١٠
٧	مرآة الجنان	٢	٥
٨	معجم الأدباء	٣	٧
٩	مفتاح السعادة	١	٢
١٠	النجوم الزاهرة	١	٢
١١	وفيات الأعيان	٢	٥

وقد تكررت بعض المقطوعات فى أكثر من مصدر كما يبين ذلك الملحق الثانى فى التحقيق والذى عنوانه : (مانسب اليه وليس فى ديوانه) .

((الفصـــل الثانـــى))

موضوعـــات شعـــره

١ ـ المديـــح ٠

٢ ـ الرثـــاء ٠

٣ ـ الحنين الى مكة ٠

٤ ـ الغـــزل ٠

٥ ـ الفخـــر ٠

٦ ـ الشكـــوى ٠

٧ ـ الحكمـــة ٠

٨ ـ الهجـــاء ٠

°°° °°°

°°°

المديـــح :

لقـد شغـل المديح معظم ديوان الزمخشرى فهناك أكثر من ثلاثـــة الاف بيت فى المديح ، فمدحياته شاعرنا قد استغرقت أكثر ديوانـــه ، وان هذه المدحيات قد هيأت له أسباب الاتصال بأصناف من عليـــة القوم وكبرائهم على مختلف مراتبهم ومشاربهم ، فقد مدح معظم السلاطـــين فى عصره وكتابهم ووزراءهم ، وخاصة نظام الملك وأبناءه ، كما مدح استـــاذه الضبى وبعض أصدقائه ومعارفه ومن لهم الفضل عليه ، هذا بالاضافة الـــى مدائحه فى رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فقد نظم الزمخشرى فيه أربـــع قصائد سار فيها على نظام القصيدة العربية القديمة من حيث ابتدائها بالمقدمـــة الطللية ثم الغزلية ، وبعد ذلك الدخول الى الموضوع .

ونترك هنا الكلام عن المقدمة وعن بناء القصيدة المدحية عنـــده لان لهذا الموضوع مكانا خاصا فى هذه الدراسة ، وننتقل الى الكـــلام عن مدحه للرسول عليه السلام ، فهو يتحدث عن تحمله أعباء الرسالـــة السماوية ، وعن هدايته بواسطتها للبشرية ، وعن مقاومة قريش له ، ثـــم انتصاره عليهم يوم فتح مكة ، وعن معاملته الطيبـــة لهم يوم الفتح ، ثـــم انتشار الدعوة الاسلامية فى الامصار ، وقد ركز على دور هذه الرسالـــة فى هداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور ، ولم ينس دور الصحابـة رضوان الله عليهم ووقوفهم من خلف الرسول يشدون ازره ويدافعـــون عن دين الله بأرواحهم وأنفسهم .

ولن نتعرض بالتمثيل لكل هذا ، بل هناك سمة بارزة طبعت قصائده فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مدح الرسول عليه الســـلام والرسالة ودورها ثم الانتقال الى مدح الصحابة ، ويختتم القصيدة بطلـــب الشفاعة لنفسه .

يقول فى مدحته التى يعارض بها قصيدة كعب بن زهير (بانـــت سعاد)

والحق فالحق ماجاء الرسول به	سيف على هام أهل الشرك مسلول
والفضل فضل نبى من بنى مضـد	اليه أفضل خلق الله مفضـــول
محمد ان تصف أدنى خصائصه	فيالها قصة فى شرحها طـــول
أبو العباد وعبد الله بينهمـــا	له مصاص من الانساب منخـول
تالله مالاقه صلب ولا رحــــم	الا على الطهر والانجاب مجبـول
هو الذى ان يخالج فى نبوتـــه	ريب فما القول بالتوحيد مقبـــول (١)
هو الذى وعد الرحمن ناصــره	نصرا عزيـــزا ووعد الله مفعـول

ويقول فى الصحابة رضوان الله عليهم :

حفتة اشباع صدق كالليوث بهم	دم الذين اشتضاموا الدين مطلول (٢)
اذا جرى ذكرهم رف القلوب لـــه	كما يرف الخزامى وهو مطلـــول

ثم يطل من الرسول عليه الصلاة والسلام الشفاعـــة :

ياخاتم الرسل أن الطول منك على	راجى الشفاعة يوم الحشر مأمــول (٣)
فهل يصيب فتى لاحبـل ذمتـــه	واه ولاعقده فى الصدق محلـــول

وفى قصيدة اخرى يظهر دور الرسالة ، ودور الصحابة رضوان الله عليهم فهو يعد مقدمته التقليدية يمدح الرسول بقوله :

أبو القاسم ابن الانبياء محمـد	رسول الهدى الهادى اسد المسالك
فأسعد اهل الأرض تابع خطـوه	ومن زاغ عنه هالك فى الهوالـــك
الى الثقلين المصطفى كان مرسلا	من المتعالى جده المتبــــارك
ولما اتاهم بالحنيفيـــة الــتى	هى الصبح جلى كل اسود حالـــك (٤)
آتاهم بآيات الكتاب فأصبحـت	برازغ فى الآفاق غير دوالـــك

---

(١) الديوان : ٩٩/١٣ـ١٩ .   (٢) الديوان : ٩٩/٢٤، ٢٥ .
(٣) الديوان : ٩٩/٢٦، ٢٧   (٤) الديوان : ١/١٧ـ٢١ .

وأما عن دور الصحابة فى مساندة الرسول فيقول :

وماكان الا البدر تحتف حولــه صحابة صدق كالنجوم السوابــك
هم كشفوا عن وجهه كرب المدى كفاحا وخاضوا دونه فى المعـارك
وقاموا بضرب للطلى متتابــع وقاموا بطعن فى الكلى متدارك
الى ان دجا الاسلام وامتد ظله وعض على ابهامة كـل آفـك (١)

وفى نهايتها أيضا يعود الى طلب الشفاعة من الرسول عليه الصلاة والسلام :

اليك رسول الله جهزت مدحتى وانك اسمى كل باق وهالـك
الا ان أدنى رشحة من نداك لم يقايس اليها بحر جود البرامك
وانى لفى اسخى الجوائز طامع فلا تك فى وادى تخيب تـارك
وحائزتى فاعطف على شفاعــة تنجنى الى رضوان من يد مالك (٢)

أما اذا نظرنا فيما مدح به الزمخشرى علية القوم وجدنا مادة واحـدة كان يستعيرها لاضفائها على أكثر من ممدوح ، مراعاة فروق المنصـب وتقلب الاحوال ، فكل ممدوحيه اتصفوا بالشجاعة وبلغوا من الجود غايتـه وكلهم سامى الهمة ، ثابت الرأى .

وأبرز المعانى التى ترددت فى مدائحه ، المعانى السائرة الـتى تناولها الشعراء عادة من شجاعة وكرم ورفعة نسب ورجاحة رأى من أربـاب السيف والقلم ، ومما طرقـه بكثرة ماكان يشيد فيه بنسب الممدوح ان كـان ذا نسب كالذى صنعه مع ابن وهاس شريف مكة أو يشيد بمجده التليـد ، ان كان من أربابه مثل مامدح نظام الملك وأبناءه الذين ورثوا الملـك والمجد .

---

(١) نفس القصيدة من ٣٣ــ٣٦ (٢) نفس القصيدة من ٣٨ــ٤١ .

ففى مدحه لفخر الملك بن نظام الملك وصفه بأن الدولة قد زكت رائحتها بوزارته ، فكأن المسك قد فتق فى جنباتها ، وقد تطاولت عزة ورفعة حتى أصبحت أعلى من المشترى فى ارتفاعها ، وأن مجده ليس وليد الساعة بل قد توارثه ابا عن جد مثل تتابع الدر فى السلك الذى ينتظمه فيقول :

ولا شىء فى الدنيا يورث مفخرا | سوى خدمة يرضى بها فخر ملكها
به الدولة المتمال طابت كأنما | هى المسكة الذفراء ديفت بسكها
وطالت له عنق الوزارة نخوة | وصار مناط المشترى تحت سمكها
مقاليدها ألقت اليه نفوسها | فقد احرزت يمناه خالص ملكها
هى الارث من آباء صدق تتابعوا | تتابع در فى مناظم سلكها (١)

ثم ينتقل الى فضل هؤلاء الوزراء على آل سلجوق ، فيذكر أن ملوك بنى سلجوق لن يستطيعوا القيام بملكهم بدون هؤلاء الوزراء ، فبهم استقرت الامور وعم السلام وأن ملة الاسلام رجعت سليمة وان الكفار لم يستطيعوا الفرار منهم ، ويشبه انقاذهم للناس من براثن الكفار بانقاذ أصحاب نوح بالفلك :

هم الوزراء الصيد لولا اتساعهم | لملك بنى سلجوق ضاقت بملكها
بهم نامت الدنيا وماتت شذاتها | وقرت على التأييد دولة تركها
واعطتهم الامصار باليد عنوة | ولو عندت ضاقت مرارة حـ هلكها
فلو لم تطعهم بعلبك بأرضها | لما سلم التركيب فى بعلبكها
بهم ملة الاسلام آضت سليمة | ولم ينج من اشراكهم اهل شركها
لقد أنقذ الله العباد بملكهم | كما انقذت أصحاب نوح بفلكها (٢)

---

(١) الديوان ١٨/٢ ـ١٦ .
(٢) نفس القصيدة من ١٧ـ٢٢ .

وبعد هذا يبين أهمية أقلامهم فى ضبط أمور الوزارة والدولة فهى فى قيمتها تفوق السيوف القاطعة ، وهى تحقن دماء من يوالونها بسفك دماء من يعادونها :

وأقلامهم فوق السيوف بكتبها | تنسيك آثار السيوف بيتكها
تروح وتغدو للموالى والمعتدى | سواعى فى حقن الدماء وسفكها (١)

أما بالنسبة لمدائحه فى ابن وهاس فهى كثر ، وقد أطلق عليها اسم الوهاسيات ، وسبب كثرة هذه المدائح ، ان ابن وهاس شريف مكة قد عرف قدر الزمخشرى فى العلم فأجله وبجله ، ولقى الزمخشرى عنده من الحفاوة مالم يلقه فى بلد آخر أو عند حاكم آخر ، فأثر ذلك فى نفسه فجاءت مدحياته فيه صادقة العبارة تنم عن عاطفة صادقة لولا بعض المبالغات التى صدرت عن الزمخشرى فى كثير من مدائحه فيه .

وهو يمدحه فى أغلب الاحيان بناحيتين الاولى ، نسبه العريق فى بنى هاشم ـ لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فيقول :

ولا كابن وهاس فتى ضم برده | حساما وضرغاما وأخضر مزبدا
فتى هو حال بالمعالى بأسرها | وقد حليت منه المعالى بأوحدا
نجيب نمته من ذوابة هاشم | نقيات اعراق اطابته مولدا
ولو شاء لم يعتد محتد هاشم | نصابا كفاه بالنبوة محتدا
ومن يك ابنا للرسول وصنوه | وزهرائه لم يأل فخرا وسوددا (٢)

أما الناحية الثانية التى يمدحه بها ، هى اخلاقه وصفاته الحميدة وعلمه الواسع ، فيقول :

---

(١) نفس القصيدة ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) الديوان ٥/ ١١ـ١٦ .

اذا قال قولا فالغفارى لهجــة ... ولكنه يوم الندا طلحة يــــدا
ولم تتزيد قط فى قيله وان ... تذوكر أقوال الهداة تزيـــدا
وتقوا من سيماه فى قسماتـــه ... شهادة حق انه سهط أحمـــدا
وما العسل الماذى ممزوجة بــــه ... مشعشعة صهباء من راح صرخدا
الذ مساغا من سجاحة خلقـــه ... اذا ضح ذو الخلق الشحيح وعربدا (١)

ثم ينتقل الى تبيان فضل ابن وهاس عليه :

وما أجل الصنع فيه اناخـــتى ... بمكة مرضيا مرادا ومـــوردا
لولا ابن وهاس وسابغ فضلـــه ... رعيت هشيما واستقيت مصـــردا
ولى منه نصح الجيب والعقدة التى ... ابت ان يرى الراؤون اوثق معقدا
وان آته يوما بشأنى زبـــرة ... غدا فكسانيها لبوسا مســـردا
ومن لف مجدى نفسه ونصابـــه ... وذاك ابن وهاس فقد بلغ المدى (٢)

والملاحظ فى ديوان شاعرنا ان هناك بعض الظواهر طبعت مدحياتـــه نذكرها فيما يلى :

أ — لقد ادخل الشاعر فى مدائحه عنصر المبالغة فهو يضفى على ممدوحيه جملة من الصفات والاعمال المبالغ فيها ليستدر عطفهم .

ففى احدى قصائده التى يمدح بها صدر الملك يقول :

اراد عصاميا من الفخر فاحتـوى ... عليه ، ولم يقنعه فخر عظامـــه
اذا ما دارى الكواكب ابصـــرت ... مواكبه من خلفـــه وامامـــه
تمنت وما يغنى التمنى لو أنهـــا ... له خدم فى سيره ومقامـــه
ولو يستطيع التمشى نعل تقـرب ... لاصبح تحجيلا لطرف غلامـــه
ولو تقدر الجوزاء كانت نجومهـــا ... مركبة فى سرجـه ولجامـــه (٣)

---

(١) نفس القصيدة من ١٧ـ٢٣ .   (٢) نفس القصيدة من ٢٨ـ٣٢ .
(٣) الديوان ١٧

والمبالغة فى هذه الابيات واضحة لاتحتاج الى تعليق .

وفى مدحته للسلطان سنجر يقول :

سماه كل الناس كعبة سؤدد ... اهل الحوائج منهم حجاجها

وكأنما السلطان سنجر كعبة ... للملك منتجب الملوك رتاجها

ركب السياسة وهى أصعب مركب ... فتطامت لركوبه انتاجها

الفته دونهم فما الجامها ... الا على يده ولا اسراجها

لو انه ركب النجوم لما نبت ... افرادها عنه ولا أزواجها

لو ان عدلك شبته بمياهها ... لارتد كالعذب الفرات اجاجها (١)

والمبالغة هنا واضحة أيضا حتى انه ليغرق فيها فى مثل قوله :

لو انه ركب النجوم لما نبت ... افرادها عنه ولا أزواجها

أو فى مثل قوله :

لو ان عدلك شبته بمياهها ... لارتد كالعذب الفرات أجاجها

فمن هو الذى تتطامن له النجوم جميعها حتى يركبها واذا مزج عدله بمياه البحار المالحة لاصبح ماؤها عذبا فراتا .

ب — التكسب بالشعر :

ان المبالغات السابقة ومثيلاتها كان يقدم عليها الشاعر كما قلنا ليستدر عطف الممدوح فيغدق عليه العطاء والتكسب بالشعر يغرى الشاعر بأن يمدح الناس بما ليس فيهم لينال عطاءهم ، ولم يكتف الزمخشرى بذلك لادرار العطف ، بل لقد صرح فى كثير من مدائحه بطلب العطاء والنوال ، فهو يقول لنظام الملك فى احدى مدائحه :

---

(١) الديوان ٢٠٩/ ١٠ — ٣٢ .

وماحق مثلي ان يكون مضيعا ... وقد عظمت عند الوزير وسائلي
واعظمها انى نسيب نصابـه ... اذا عرضت انساب هذى القبائل
فلا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى ... اعالى قوم الحقوا بأسافل
فكل امرئ آماله عدد الحصى ... وهات نظيرى فى جميع المحافل
وكم قلت ألقى فى وزارتك المنى ... وادرك وحدى ما ارتجى كل آمل
ولم أدر ان الارذلين يرون ما ... تمنوا وانى لست أحظى بطائل
فوقع الى هذا الزمان فانـه ... غلامك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

ويقول لعبد الله :

وأبذل لاهل الفضل منك مودة ... فابن الفضائل لانبهن ودود
ومتى بذلت لهم ود اذا فليكن ... متخصصا بزيادة محمود (٢)

فهو حتى لايقبل ان يكون عطاؤه مثل غيره ، بل يريد زيادة .

ويستحث عبيد الله على العطاء بقولـه :

وقائل هذا الشعر فعلك انما ... يقول فصيح الشعر فعل الممدح
وتنضم اكمال الثناء فان تصب ... ندا من سماء المرتجى تتفتح
فدونك طوقا فاخرا قد نظمته ... يجزل من المعنى ولفظ منقح (٣)

وبنفس الطريقة يمدح هبة الله ويحثه على العطاء :

اوحشتنى بمطال طال مدتـه ... وكان يمكن بالتعجل ايناسى
انطق لسانى باحسان اقوم بـه ... خطيب شكر فقد طولت اخراسى
ان رمت سيفا على الاعداء منصلتا ... فرش نبالى وصل بالعرف امراسى
تجد لسانى عليهم صارما ذكرا ... كأنه سيف عباس بن مرداس
أرميهم بالقوافى النافذات كما ... ترمى الرمات بنبل غير انكاس

---

(١) الديوان : ٢٥/١٤–٢٣ .
(٢) الديوان :
(٣) الديوان : ٣١/٣٣–٣٥ .

أولى بمثلك ترشيحى وتربيتى — لو قست ذلك من عقل بمقياس
(من يفعل الخير لايعدم جوازيه — لايذهب العرف بين الله والناس) (١)

جـ ــ اعتزازه بشعره وادلاله به : لقد اعتز الزمخشرى بشعره كثيرا فهو يقول فى قصيدة يمدح بها فخر المعالى :

وأليك ذات متانة وسلاسة — كالعين خالط ماءها احجارها
عمرت ماعرت قصائدى التى — هى فيك فهى طويلة اعمارها (٢)

ويقول من قصيدة يمدح بها الوزير شمس الدين :

نطق الورى خرز الاماء ومنطقى — مكنون در اصطفيهن ثمين (٣)

وهو يجعل من شعره لباس زينة للممدوح ، فيقول لمؤيد الملك :

البس رعاك الله وشى قصيدة — قد فوقته روية من مفلق
ادنى فضائله القريض وشوطه — فيه كأشواط العتاق السبق (٤)

ويقول من قصيدة فى مدح نظام :

وطارت الى أقصى البلاد مدائحى — وسارت مسير النيرات رسائلى (٥)

ونرى مما سبق ان للمديح عند الزمخشرى اكثر من اتجاه ، فهو يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام والرسالة والصحابة رضوان الله عليهم نتيجة للشعور الدينى عنده ، ولكنه يقف حائرا أمام صفات هذا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولايستطيع أن يوفيه حقه من المديح فيعبر عن ذلك بقوله :

ومن فى كتاب الله أكمل مدحه — فكل مديح ماخلا ذاك باطل

وأما الاتجاه الثانى فهو مدحه للحكام والامراء والوزراء ، وكان فيه متزلفا ، يطلق عليهم من الصفات ماليس فيهم لينال عطاياهم ، وأما الاتجاه

---

(١) الديوان ١٧/١١٩ــ٢٣ . — (٢) الديوان : ٣٣/١٧٧ ، ٣٤ .
(٣) الديوان ٢٨/١٧٥ . — (٤) الديوان ٣٦/١٦٩ ، ٣٧ .
(٥) الديوان ٧/٢٥ .

الثالث فهو مدحه لاستاذه الضبي ولابن وهاس شريف مكة ، وهذا الاتجاه في مدائحه ، كان الزمخشري فيه صادقا معبرا عما في نفسه لفضل هذين الشخصين عليه .

والملاحظ أن هناك بعض الظواهر طبعت مدحياته مثل المبالغة والتكسب بالشعر ، والفخر بشعره .

الرثاء :

يعد الرثاء الغرض الثاني من حيث الكثرة في ديوان الزمخشري ، فهناك احدى وعشرون قصيدة وتسع مقطوعات في الرثاء ، تمداد أبياتها خمسة وسبعون وخمسمائة بيت . ويعد الرثاء من أكثر اغراض الشعر انسانية ، لأنه يصدر عن احساس الشاعر ومشاركته الوجدانية لأبناء جنسه دون أن يحدوه لذلك رهبة أو طمع ، فهو ينبع عن المحبة والاخلاص والوفاء ، من الجانب الانساني في نفس الشاعر بعيدا عن كل مؤثرات الحياة الاخرى ومطامعها ، لذلك نجد الشاعر يرثى أقرب الناس اليه وأحبهم الى نفسه ، أو يرثى من لهم عليه يد في حياته من حيث تربيتهم له أو صداقتهم أو معروفهم عليه .

الرثاء نوع من المديح

واذا نظرنا في ديوان الزمخشري نجد ان نفسه قد تأثرت بفقد من يحيطون به ، فهو يرى أن يد القدر تمتد الى هؤلاء الناس واحدا بعد الآخر ، فهي تحرمه من أبيه وأمه وخاليه ، ثم استاذه الذى رعاه بعلمه وماله ، ولاتكتفي بذلك بل تمتد الى أصدقائه والى الوزراء الذين أحاطوه ببعض الرعاية ، فيجد من الوفاء لكل هؤلاء أن يرثيهم بأبيات من شعره ليخلد ذكراهم الطيبة في نفسه وليذرف عليهم الدمع ، وهذا وذاك أقل مايقدمه الانسان الى من لهم فضل عليه وفاء لهم وتقديرا لجهودهم .

وأول مايطالعنا من رثاء الزمخشري ، رثاؤه لوالده ، الذي رباه ورعاه في صغره ، فهو يرثيه بقصيدة تعداد أبياتها ستة وثلاثون بيتا ، يقدم لها بمقدمة عن الموت وانه يحل بجميع الناس الشجاع منهم والجبان ولايمكن دفعه بأية وسيلة :

هل للذى أخذ الايام مرتجع ام هل لمرعى رعاه الدهر فتجع

شريعة الموت ورد ماله صدر والناس في حسو انفاس الورى شرع

لايدفع الموت رعديد ولابطل لابد منه الا ّس الناس او شجعوا

او كان يدفع انجى عنه مهجته في قلة لاترام الاعصم الصدع

أو طائر في قدامى ريشه طرف محلق في سكاك الجو مرتفع (١)

ولو أن باستطاعته لفدى والده بنفسه وماله ، أو على الاقل لشاركه في تجرع كأس الردى .

ولو فدت نفس حي مثلها لفدت نفسي ــ ابي البر ــ والمال الذي اسع

أو كنت نازعته كأسا تجرعها ولا كجرعة مسقى الردى جرع (٢)

ويذكر رعاية والده له ، وصفاته الخلقية ، وانه كان ورعا تقيا عالما ، وانه كان يصوم النهار ويقوم الليل من خشية الله ، ولو أنه فقير فهو عالي المروءة ، ولاينسى ان يذكر بعض صفاته الجسمية فهو لايزال شابا يزينه بلج حاجبيه وبعض الشيب في حافتي رأسه :

فقدت نصحا واشبالا ورفرفة من منعم كان يرعاني ويصطنع

فقدته فاضلا فاضت مآثره العلم والأدب المأثور والورع

صام النهار وقام الليل وهو شج من خشية الله كأبي اللون ممتقع

من المروءة في علياء متسع صدرا وان لم يكن في المال متسع

---

(١) الديوان : ١٢٤/١ــ٥ .

(٢) الديوان : ١٢٤/٦، ٧ .

قريب عهد يوحط الشيب عارضه ... اثر الشباب ووحف الليل متبع
يزينه بلج فى حاجبيه كما ... يزينه فى حفافى رأسه نزع
اى امرئ فوق مقرور القرى رفعوا ... واى حزم وحلم فى الثرى وضعوا (١)

ويختتم مرثيته بتجسيم المصاب الجلل الذى حل به وانه لن يستطيع الصبر عليه ، وان عينه لن تكتحل بالنوم ، والذى زاده حسرة وأسى انه فقد والده وهو بعيد عنه ، ولم يرو هذا الوالد غلته من ولده ، ولم يرو الولد كذلك غلته من أبيه ، وانه لن ينتفع من العيش بشئ بعد هذه الخسارة :

لو حل ماحل بى مافادح جلل ... بركن طود لكان الطود يتضع
باتت على كبدى نار مضرمة ... على فؤادى والاحشاء تطلع
ولامجال لداعى الصبر فى خلدى ... وقد تبسط فى أرجائه الجزع
وان مما قرانى حسرة واسى ... وضافنى الكرب من جراه والوجع
ان عاقنى شحط دار عن تفقده ... حتى قضى وهو من ذكراى ملتذع
ياحسرتى اننى لم أرو غلته ... وغلتى بزمان فيه نجتمع
أأرتجى بعده بالعيش منتفعا ... وكيف لى بعده بالعيش منتفع
قد كنت اطمع فى أشياء أدركها ... فاليوم لم يبق لى فى بعضها طمع (٢)

ونجد له فى رثاء امه قصيدة ومقطوعة ، أما المقطوعة فهو يبين فيهما ان أمه كانت أهم شئ عنده ، وهو لا يأسف على احد بعدها ، فروحه وأرواح جميع أفراد العشيرة هينة بعد فقد أمه ، ولو أن حوادث الدهر تفدى بالنفس أو بالمال لفداها بكليهما حتى تبتعد عن أمة وتتركها تنعم بحياتها :

ياحادثات الدهر أمى بعدما ... أدركت أمى بالردى من شئت
روحى وأرواح العشيرة بعدها ... حلل عذرتك ايهن غشيت

---

(١) نفس القصيدة . (٢) نفس القصيدة .

تالله لو أحسست اذنى خشيتى ... يوم استقل نعشها لخشيت
لو كان يرشى حادث بالنفس أو ... بالمال أو بكليهما لرشيت (١)

أما القصيدة فهى رثاء جديد فى بابه يخفف عن النفس أحزانها ، فقد طار بالزمخشرى خياله الى ماوراء الحياة الدنيا ليتسمع الى نداء أمه ، فهو يتصورها فى الجنة وأنها تناجيه من هناك وتطلب منه أن يخفف من حزنه بل يبتعد عنه وعن مظاهره ، لانها تنعم فى الجنة بين ظلالها الوارفة ومن كانت هذه حالتها فلا يجوز ان يحزن عليها وهى تخبره بأن لها كرامة عند الله حتى انه استجاب لدعائها بأن يرضى عن ولدها .

والقصيدة جميعها بلسان والدته ، فهى تناديه فى مطلع القصيدة وتصف حزنه العميق عليها وانه تجاوز الحد فى حزنه :

أأبا الوفا وفيت أى وفاء ... وقضيت فوق شرائط الانباء
ولبثت شهرا كاملا مستعبرا ... قرح المآقى خافق الأحشاء
ايها فقد حققت فى جميع ما ... يحكون فى صخر عن الخنساء
وتعز عنى واسل سلوة صابر ... وتخط قولك لات حين عزاء (٢)

ثم تأخذ والدته فى وصف حالتها فى الجنة والنعيم الذى تسرح فيه صباح مساء وانها فى غاية السعادة والسرور :

ابنى انى فى الجنان مقيمة ... اختال بين ظليلة الافياء
حر الجحيم رضا الرحيم اعاذنى ... منه وأنزلنى مع الصلحاء
حفت خيام الحور حولى قبتى ... فيزرن عوصتها صباح مساء (٣)

وبعد أن تنتهى من وصف حالتها لكى تطمئنه على نفسها ، تطلب منه أن يترك الأحزان وان يخلع ثوب الحداد ، وأن يلبس الثياب الزاهية :

---

(١) الديوان : ١٩٣/١ـ٤ .   (٢) الديوان ١٩٤/١ـ٤ .
(٣) نفس القصيدة .

من كان فى دار السلام حلوله انى يرى فى الضيق والظلماء
فاستبدلن بترحة فرحا ولا تؤثر على ضحك طويل بكاء
ودع الثياب السود وادع بغيرها بالحلة الحمراء والصفراء (١)

وتختتم القصيدة باخباره انها قد دعت الله ان يرضى عنه وقد استجاب الله دعاءها :

واعلم بأنى قد دعوت الله أن تمطى رضاه فاستجاب دعائى (٢)

وهذا أسلوب جديد فى الرثاء فبدل أن يتكلم الشاعر عن لوعته وحزنه ثم يعدد صفات الموتى فى الدنيا يجرى الكلام على لسان المتوفى لكى يتحدث عن لوعة الشاعر ، ثم يخبر بأنه يقيم فى الجنة لكى يخفف حزن المحزونين بفقده .

واما بالنسبة لبقية أفراد أسرته فلم نجد له رثاء خاصا فيهم ، الا ما كان من رثائه لخاله بقصيده بدأها بمقدمة فى الحكمة ثم عدد من تخطفهم الردى من أفراد أسرته ، فيقول عن يد المنون :

اودت بجدى وما أبقت أخي وطوت عمى وصادت بأسباب الردى خالى (٣)

وقد تخطفت يد المنون بالاضافة الى ماذكر من أقربائه الكثير من رجال الحى حتى ان الزمخشرى يصف نفسه وحيدا فى ذلك الحى لذهاب أهله وأصدقائه . وفى نهاية القصيدة يرثى خاله بأربعة أبيات لايتطرق فيها الى صفات خاله بل هى رثاء عام يصلح ان يرثى به كل ميت ، فمهجة خاله بعيدة عن ضوء الشمس ولاترى الإسحار ولا الآصال وقد سكن فى حفرة مظلمة بدون أهل ولا مال ، ولم يشاركه فيها الاثلاثة أثواب جديدة ثم يدعو للقبر بالسقيا على عادة الشعراء من قبله :

---

(١) نفس القصيدة . (٢) نفس القصيدة .

(٣) الديوان : ١٢٥ .

تباعدت عن ضياء الشمس مهجته   وفاتها روح اسحار وآصـــال
وحل فى حفرة غبراء مظلمـة   فردا وحيدا بلا أهل ولا مـال
الا ثلاثة أثـواب جديـدة   ورب ذى جدة شر من البـال
سقيا لقبر توارت فيه أعظمـه   بكل ذى هيدب بالويل هطـال (١)

ولا نحس فى هذه القصيدة بالعاطفة الجياشة التى أحسسنا بها فى مرثيته لوالده وفى مرثيته لوالدته .

وبعد أن عرضنا لرثائه لأفراد أسرته نريد ان ننتقل الى لون آخر من رثائه ، وهو رثاؤه أستاذه الضبى الذى رعاه بعلمه وماله ، فقد رثاه بقصيدتين ومقطوعتين ، أما القصيدة الاولى فتقع فى ستة وأربعين بيتا (٢) ، والثانية فى واحد وستين بيتا (٣) ، أما المقطوعتان فكل منهما فى بيتين (٤) .

ولولا خوف الاطالة لعرضنا كل ماقاله فى استاذه فهو يكشف عن عاطفة صادقة نحو هذا الاستاذ ، فقد اضفى على استاذه كل الصفات المستحبة ، ثم أظهر مدى لوعته وحزنه العميق على فقده ، وذكر كذلك استفادته العلم والأدب منه ، وانه بالاضافة الى ذلك كان يرعاه بماله وهذه المراثى خير ماعند الزمخشرى من رثاء .

أما القصيدة الاولى (٥) فقد بدأها بمقدمة غزلية ولكنه ابتدأها بالبكاء على فراق الاحباب ، وهذا من براعة الاستهلال :

سلام عليكم ادمعى قلما ترقى   اذا شمت من تلقاء ارضكم برقا
ومن عجب انى اذا لاح بـارق   بأرضكم استمطرت اجفانى الودقا

(١) الديوان : ٣٧ .   (٢) الديوان : ٣٧ .
(٣) الديوان : ٤٠ .   (٤) الديوان : ٤١ ، ٤٢ .
(٥) الديوان : ٣٧ .

كما انه كان بارعا فى تخلصه من هذه المقدمة ودخوله الى غرضه الاصلى :

والهفى على عصر تقضى مناسب ... سجايا فريد الدهر أو وجهه الطلقا
هو المرتضى وجها وخلقا وانـنى ... لاشتاق ذاك الوجه بل ذلك الخلقا

وبعد ان يضفى على استاذه من الصفات الحميدة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، يعرج على ذكر قبيلته وانه كان أفضلها فسلمت له القبيلة مجدها ، ويختتمها بذكر لوعته واساه على فقد هذا الاستاذ .

أما القصيدة الثانية فتقع فى واحد وستين بيتا (١) ، قدم لها بمقدمة فى الوعظ وضمنها بعض حكمه عن الحياة والموت ، وبعد مقدمته الرائعة والتى بلغت خمسة عشر بيتا ، انتقل الى الموضوع ببيت يدل على براعته فى الانتقال من غرض الى غرض ، وهو قوله :

مازال موت المرء يخرب داره ... وموت فريد العصر قد خرب المصرا

ثم يذكر الصفات التى تحلى بها فى حياته :

اغار اذا ماعرض البحر طاميا ... ولم ار الا ناضبا ذلك البحرا
ويسخن عينى ان ارى البدر طالعا ... وان الليالى غيبت ذلك البدرا
وتشخص بى زهر الكواكب غيرة ... اذا ذكرت نفسى مناقبه الزهرا
فان لاح لى بحر وبدر وكوكب ... تعاميت أو أوليته نظرا شزرا
وماكان حقى ان اشبهه بهـا ... فقد كان اعلا من ثلاثتها قدرا

ثم يبين مدى لوعته عليه ، فيقول :

وصك بمثل الصخر سمعى نعيه ... فشبهت بالخنساء اذ فقدت صخرا
ونهنهت عينى ان تضن بدرها ... على رجل مازال يمنحنى الدرا
وقلت لطبعى هات كل ذخيرة ... فمن أجله مازلت أدخر الذخرا

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

وابرز كريمات القوافي وغرها ... فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا
مضى الحبر والبحر الذي تصب له ... على الغوص والتطواف شطا ولا قعرا

وبعد أن يبين لهفته على غياب لسان استاذه الذي كان يقول الحق ، ولهفته على غياب ألفاظه العذبة ومعانيه التي تسحر العالم الفطن ، وكان ذلك مقدمة لمدح آل ضبة قبيلة استاذه ، ويكرر هنا ماذكره في قصيدته السابقة من ان استاذه كان اعلاهم كعبا وابسطهم يدا واقربهم خيرا وابعدهم ذكرا ، ثم يختتم القصيدة بالبكاء على استاذه مشركا معه الندى والعلم والحلم والحجا والهمة الكبرى :

لبيك الندى والعلم والحلم والحجا ... ابا مضر ولتبكه الهمة الكبرى
فهمته لو أن أكبر شاهق ... اضيف اليها خيل كالجمرة الصغرى
فمن لاصطناع الفاضلين ومن لهم ... اذا رهبوا نابا من الدهر أو ظفرا
بقوا ضيما ان كرروا الطرف لم يروا ... من الناس صدرا بعده يثلج الصدرا
فذاك فريد العصر حقا فلن ترى ... عيونهم من بعده مثله حرا

أما المقطوعتان فاحداهن كانت أكثر شعره شيوعا في الكتب التي تعرضت لذكر الزمخشري ، وهي تتألف من بيتين يظهر فيهما وفاؤه لاستاذه :

وقائله ماهذه الدرر التي ... تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هي الدرر اللواتي حشابها ... أو مضر اذني تساقط من عيني (١)

والمقطوعة الثانية في نفس المعنى أيضا . (٢)

فالقارئ لمراثيه لامه وابيه واستاذه ، يحس بوجود العاطفة واضحة في هذه المراثي ، مما يدل على أن الشاعر كان يحب هؤلاء الناس حقا وقد تأثر لموتهم ، واذا انتقلنا الى بقية المراثي نشعر بنضوب عاطفته ،

---

(١) الديوان : ٤١ .
(٢) الديوان : ٤٢ .

فهو رثاء تقليدي يقوم به الزمخشري تجاه المتوفى ، وكأنه يؤدي واجبا ملقى على عاتقه ، ففي مراثيه للنساء لايجد القارئ اي حزن أو تأثر أو مشاركة وجدانية من الشاعر في المصاب الذي حل بالمتوفاة ، بل ان رثاءه لها يتحول الى مدح زوجها ويطلب منه التأسي عنها والسلو بأبنائها ، ففي رثائه لزوجة شمس المعالي نراه يعمد الى المبالغة لنضوب عاطفته :

على تاج النساء الشمس تبكي ... توافق صنوعها شمس المعالي

وتندبها الليالي لابسات ... حدادا والنجوم مع الليالي (١)

وان الشاعر لايبالي بموتها أو موت غيرها من النساء اذا ماسلم الرجال :

لئن تاج النساء مضت وفاتت ... فقد ابقت لنا تاج الرجال

وأرباب الحجار ان يسلموا لم ... أبال بموت ربات الحجال (٢)

فأي رثاء في هذه الابيات لهذه المرأة أو غيرها من بنات جنسها وهو يكرر هذا المعنى في مرثية اخرى اذ يشبه الرجال بالسيوف والنساء بالاغماد ، فاذا سلم السيف فلا يخيف الانسان انقطاع الغمد :

اذا السيوف البواتك انفصمت ... فلا ترعك الغمود تنبتك (٣)

وفي البيت الذي يليه يشبه الرجال بالحصن المعدة للدفاع وحماية القبيلة لذلك فان النساء فداء لهم :

والحصن المقربات يوم وغى ... ويوم سبق فداؤها الرمك (٤)

فلا يرى القارئ في هذه المراثي للنساء الا الاستهانة بقيمتهن وعدم الاسف على موتهن فمراثيه في النساء عبارة عن دعوة للرجل الى الصبر والسلو فهو لم يفقد شيئا ذا قيمة .

---

(١) الديوان : ٢٢١/١٥٦ .
(٢) نفس القصيدة : ٣ ، ٤ .
(٣) الديوان : ١٥/٢٨٠ .
(٤) نفس القصيدة : ١٦ .

لم يفقد شيئا ذا قيمة .

وفى مرثيته الثانية فى زوجة شمس المعالى يطلب منه الصبر وعدم الجزع لانه من قوم أسود والاسد اذا ماتت له لبؤة لايبكى عليها ، ثم يطلب منه أن يسلوها ، وان يستغنى بأشبالها :

اصبر ولاتجزع فانت الذى | فى كل خطب نفسه صابره
أنت رعاك الله من معشر | كانوا ليوث الغيضة الخادرة
والليث ان ماتت له لبوة | لم تجر من أجفانه بادره
واسل بأشبالك عنها فهم | أغصان تلك الدوحة الناضره (١)

ونجده يكرر هذا المعنى فى مرثية أخرى فيقول :

مازلت يوم الوغى كليث شرى | مصطبرا والرماح تشتبك
فاصبر على لبوة تصيدها | قاهر له من صروفه شرك
واسل بأشبالها فسوف ترى | ضراغما فى الهياج تشترك (٢)

ويختتم مرثيته فى زوجة شمس المعالى بقوله :

وخذ مقالا ان يزر مأتما | فهو لعمرى عرس حاضرة
نادرة فى الشعر لكنها | من فهم مثلى ليست بالنادرة

وحتى وهو فى هذا المقام ، مقام الحزن ، لم يتورع عن الافتخار بشعره ، وكأنه نسى أنه فى مأتم فوردت كلمة عرس على لسانه ، ولو كان عند الشاعر ادنى مشاركة وجدانية أو احساس بالتوجع على الفقيدة لما وردت هذه الكلمة على خاطره .

ولقد رأينا انصراف الزمخشرى عن الزوجة والولد ، وهو يركز على هذا المعنى فى مرثيته لاحد ابنى عبيد الله ، فهو يرى ان اسعد الناس هم الذين لم يلدوا ولم يحصروا الأرض الخربة ، فلم يعرفوا طعما للثكل ، ولم

---

(١) الديوان : ٢٦٤/ ٢٠ــ٢٣ .
(٢) الديوان : ٢٨٠/ ١٢ــ١٤ .

يتأثروا لانهيار البيوت ، ويختتم قصيدته بالدعوة الى الزهد :

وأسعد الناس ناس قط ماولدوا ولاغدوا لخراب الأرض عمارا
فلم يذوقوا بأولاد اذا انقرضوا ثكلا ولاراعهم بيت اذا انهارا
عن طيب الزاد والوشى النفيس رضوا بأن ينالوا بها قوتا وأطمارا
ما استعبدت شهوة الدنيا نفوسهم حتى طوتهم يمين الموت احرارا (١)

فهو بدل أن يتفجع على الطفل الصغير الذى اختطفته يد المنون ، ويظهر ألمه وحزنه على هذه الزهرة التى ذبلت ، نجده يبين أن أسعد الناس من يبتعد عن الولد .

اما مراثيه فى علية القوم فهى أيضا خلو من العاطفة ، لذلك نجده يعمد الى المبالغة ليغطى نضوب عاطفته ، فيفيض على المتوفى من المهابة ما يجعل ظواهر الكون تتأثر لموته اذ يفتتح مرثيته لمجد الملك بقوله :

الشمس قد سدت مطالعها والشهب قد خفيت لوامعها
لفجيعة نسيت لشدتها فى كل ناحية فجائعها

ويقول فى مرثيته لابن سمعان :

ذابت صخور خراسان لحرقتها فالنار ساطعة من نحو منبعها
وزلزلت مروعن ارسى قواعدها فأبصرت قلقا فى غير موضعها
وكل مرتضع للثدى مطرح وكل مرضعة ترمى بمرضعها (٢)

فأى فرق بين موت هذا الامام ، وبين هول يوم القيامة !

ويقول فى مرثيته لمحمد بن ارسلان :

محمد بن ارسلان الذى رثيت معالم العلم والاسلام حين رثى
ماكنت الا جميع الناس منفردا فكيف حل جميع الناس فى جدث (٣)

---

(١) الديوان : ١٢٨/٢٩-٣٢ . (٢) الديوان : ١٢٣ .
(٣) الديوان : ١٣٤/٢٦١ .

ويقول فى مرثيتـه للشارعى :

توفى فالأرض المضيئـة اظلمـت   كان الضحى قطع من الليل غاسـق
وناح الحمام الورق شجوا وتحتهـا   من الوجد جف الايك والايك وارق (١)

ويكرر هذا المعنى فى مرثيته لعبيد اللـه :

ولم يبق فوق الأرض غاد ورائـح   سوى نائح حتى الحمام المطـوق
له فوق قضبان الاراك تنـاوح   تكاد قضب الاراك تشقـق (٢)

وخير مافى مراثيه المقدمات التى قدم بها الى هذه المراثى ، فمعظمهـا فى الحكمة والموعظة ، وضمنها كثيرا من الابيات التى تزهد الناس فـى هذه الدنيا وتجعلهم يعملون للآخرة ، فقد كان يستغل موقف المـوت الرهيب والذى يؤثر فى نفوس الناس فيجعلها تتذكر الاخرة ، وان الدنيـا فانية لاقيمة لها ، فيدخل لهم من هذا الباب ، فيقدم لهم حكمتـه وموعظته .

ونرى مما سبق أن للرثاء عند الزمخشرى اكثر من اتجاه ، فهو يرثـى أمه وأباه وأستاذه الضبى بشعر معبر عن عاطفة جياشة نابعة من حـزن عميق مؤثر فى نفس السامع ، أما الاتجاه الثانى فهو رثاؤه لعلية القـوم وهنا يظهر نضوب عاطفته ، فيلجأ الى المبالغة فى الاوصاف التقليديـة يلقيها على المتوفى ، وأما الاتجاه الثالث فهو رثاؤه للنساء والاطفـال ، وقد كان موقفه فى هذا غريبا فهو يستهين بموت النساء ولايرى فى ذلـك مايحزن ، وبالنسبة للأبناء فعلى الرجال أن يتجنبوا الزواج والانجاب حتى لايصابوا بمثل هذا الثكل ، فهو فى هذا الاتجاه يبتعد عن المشاعـر الانسانية ويظهر مافى دخيلة نفسه من كره للنساء والأولاد .

(١) الديوان : ٦٣/٤٦ ، ٩ .
(٢) الديوان : ٦٣/٧٣ ، ٤ .

الحنين الى مكـة

لقد مر معنا فى حياة الشاعر انه بعد ان عافاه الله من مرضه ، توجه الى العراق فى طلب العلم ، ثم واصل سيره الى مكه لمدة سنتين ، متفرغا للعبادة ، فاشبع الناحية الروحية عنده ، كما انه لقى من الحفاوه والتكريم من ابن وهاس ما لم يلقه فى بلدة اخرى ، فطابت نفسه وارتاح للاقامة فى البلد الحرام ، ولكن الشوق الى الوطن ظل يماوده بين الحين والاخر ، ولقد طغى هذا الشوق على نفسه فأنساه ما لاقاه فى ذلك الوطن من مر العيش ، فقرر السفر ، ولما تحركت به الركائب عائدا الى وطنه ، تدفق فى نفسه الحنين الى مكه ، البلدة التى وجد فيها راحة نفسه وطمئنينتها ، فأخذ يذرف الدمع مدرارا ، وكلما ابتعد عنها زاد شوقه وحنينه اليها ، واخذ ينفث انفاسه الحاره ، التى تصدر عن قلب يحترق شوقا وحنينا ، الى ان عاد الى مكه مرة ثانيه ليجاور بها جواره الثانى ، فى هذه الفترة قال الزمخشرى الكثير من الشعر يعبر به عن هذا الحنين وهذا الشوق ، وسوف نحاول ان نعرض لهذا الشعر بشىء من الايجاز .

اننا نستطيع ان نقسم شعر الزمخشرى فى الحنين الى مكة الى قسمين :
الاول جاء على شكل مقدمات لمدائحه لابن وهاس شريف مكة الذى عرف قدر الزمخشرى فأكرمه واجلسه ، فهو اذا تذكر مكة يتذكر معها هذا الشريف ، والثانى جاء على شكل قصائد ومقطوعات كلها حنين الى مكة . وسوف نعرض الافكار التى اوردها فى شعره هذا ، فالقارىء لهذه المقدمات او القصائد او المقطوعات يجد ان معانيها مكرره ، فهى تبين مدى شوق الزمخشرى

وحنينه الى مكه والى ايامه فيها ، فهو يقول ان قلبه يحترق بنـــــار الشوق فتخرج انفاسه كلهيب النار ، وتنسكب دموعه فتحرق وجنتيـــــه وتعمل فيهما انهارا ، نجد هذه الفكره فى كثير من المواضع ، وهـذه امثله على ذلك .

يقول فى احدى مدائحه لابن وهاس :

فؤادى من الشوق المبرح ريـــان الـى حرم الله المعظم ظمـــآن
يروح ويغدو ما تغب ســـواده تباريح ينهبن العزاء واشـــجان
اذا جال فيه هاجس من تذكرى بمكة طعس التظت فيه نــــيران (١)

ويقــول فى موضع آخـــر :

ولى نفس شبه اللهيب تصعـــدت به زفـرة كالنار ذاكية الجمــــر
يذيب مضامين الشؤون بحـــــره فتجرى شـآبيب الشؤون على نحـرى (٢)

ويكرر ذلك فى مطلع قصيدة اخرى فيقول :

حرم الله لى اليك اشـــــتياق دون ادناه تقـــريح الامـــاق
نفس واقـد مـــتى يتصــاعـد ينحـدر دمعى المهـــــراق
ما ذكرت السكنى بمكـــــة الا قدحت فى فؤادى الاشــــواق (٣)

ثم يبين لنا ان هذا النفس الحار الذى صدر عن كبد يتحرق شــوقا لن يهدأ الا اذا رأى مكة مرة ثانية :

---

(١) الديــوان ١/٦ ــ ٣ .
(٢) الديــوان ١/٩ ، ٢ .
(٣) الديــوان ١/٨٢ــ٣ .

هـو النفس الصـاد عن كبد حرى ... الى ان ارى ام القرى مرة اخـرى (١)

وفى نفس هذه القصيدة يبين لنا بكاءه كلما مر بخياله طيف مكه ،وطلبـه من قلبه السلو والصبر ، الا ان جواب هذا القلب انسكاب الدموع من العـين :

اذا خطرت بالبال ذكرى اناخـتى ... على حرم الله اسـتفزتنى الذكرى
اكابد ليلا كالليالى وحـسرة ... ودمعا غزير المستقى غائر المجرى
وادعو الى السلوان قلبا جوابـه ... لداعيه مهو اق من المقلة العبرى (٢)

و يبـين مدى حزنه وحنينه بتشبيهه نفسه بالمرأة الواله التى فقدت ابنهـا ، فهى طائرة الفؤاد لفقـدها فلذة من فلذات كبدها ، فهى تكاد تجـن من شـدة الحزن ، فيقول فى مقدمة قصيدة يمدح بها ابن وهاس :

الا ابلغا ام القـرى وقطينهـا ... تحية نفس ما تغـب حنينهـا
تحن الى البطحاء حنة والـه ... بنات الليالى اثكلتهـا قرينهـا (٣)

و يعود فيكرر هذا المعنى فى قصيدة اخرى :

يطـير الى المعلاة لى قلب شيق ... ولكن جناح لا ينوء مهيـض
اضج كما ضجت من الوجد والـه ... على نحدها ماء الشؤوه يفيـض
غزا مع ابناء المقارعه ابنهـا ... كميش بما لا يسـتطاع نهـوض
اخو غزوات لم يزل فى غمارهـا ... يخوض على علاته ويخـوض
كمى اصابته من الحرب عضـة ... وما الحرب الا للكماة عضـوض

---

(١) الديـوان ١٠/١ .
(٢) الديـوان ١٠/١٠-١٢ .
(٣) الديـوان ١/٧ ، ٢ .

نحوه اليها فهي طائـــرة الحجـــا   لاضلاعها مما تجن نقيـــض (١)

وفي موضع آخر يشبه حنينه بحنين الناقه التي فقدت البكر :

بكاء على ايام مكة ان بـــــى   اليها حنين الناب فاقدة البكر (٢)

لقـــد حزنت الخنســاء على اخيها صخر عندمـا قتل — حزنا شـــديدا وبكت بكاء مرا ، حتى اشتهر ذلك عنها واخذ يضرب به المثل ، ولا يفـــوت الزمخشـــري ذلك ، فهو يشبه حزنه لفراق مكـة وبكاءه عليها ببكاء الخنســاء علـــى صخـــر :

تذكـــرت ايامي بهـــا فكأنـــني   قد اختلفت زرق الاسنة في صدري

ابيت على الصخـــر المبارك باكيـــا   كما كانت الخنساء تبكي على صخر (٣)

ويخبرنا عن نفسه بأنه جار الله ، ولكن الذي ابعده عنها هو شـــوقه الى وطنه ، فلما قضى لبانة نفسه ، كر الى مكة ليواصل جواره ، ويشـــبه عودته اليها بعودة الاسدة الـــذي يعود الى غابه :

انا الجار جار الله مكـة مركـــزي   ومضرب اوتادي ومعقد اطنابـــي

وما كان الازورة نهضتني البـــــى   بلاد بها اوطان رهطـي واحبابي

فلما قضت نفسي وللــــه درهـــــا   لبانة دار زندهـا غير خيـــاب

كررت الى بطحاء مكـــة راجعـــــا   كأني ابو شبلين كرالى الغـاب (٤)

---

(١) الديـوان ٣/٨ — ١٠ .
(٢) الديوان ٣/٩ .
(٣) الديوان ٤/٩ ، ٥ .
(٤) الديوان ١/١٣ — ٤ .

وما ذلك الا لان مكة اصبحت من بين سائر القرى — مسكنه ومكان اقامتـــه ، وان البيت الحرام هو محرابه من بين جميع المحاريب :

فمن يلق فى بعض القريات رحلة　　فام القرى ملقى رحالى ومتابـــى
ومن كان فى بعض المحاريب راكعا　　فللكعبه البيت المحرم محرابـــى (١)

وهو اثناء اقامته فى مكة لا يضيع وقته عبثا ، بل يقضى وقته جالســـا قرب باب الكعبة او عند المستجار ، ويسكب الدمع مدرارا على الحجر المبارك ، وهو فى عمله هذا يفضل نفسه على ملوك الارض فى لهوهم وتلعابهم ، لان هـذه الاعمال المباركه هى لهوه وتلعابه :

اذا التصقت فى آخر الليل لبـــتى　　بملتزم الابرار من ايمن البـــاب
او التصقت بالمـــتجار او التقت　　على الركن اجفانى بسح وتسكابى
فقل لملوك الارض يلهوا ويلعبـــوا　　فذلك لهوى ما حييت وتلعابـــى (٢)

لذلك فهو يطلب من لياليه فى مكة ان تعود ، واذا حدثته نفســــــه بالسفره عنها مرة ثانية ، فلن يطيعها ، بل يدعو عليها بأن لا تـــرزق اليســر ولا تعطى البشـــر :

ليالى فى بطحاء مكـــة صافحى　　يمينى تصب نفسى غنيمتها الكبرى
فان حدثتنى بعد باليسر معرقـا　　فلا رزقت يسرا ولا لقيت بشرى (٣)

ثـم يتساءل ما عذر الانسان الذى يلقى رحلة بمكة ويضمن له عيشه وملبســـه ثم يسافر عنها يطلب بلدا غيرها ؟ ثم يجيب على سؤاله بالقسم مرتـــين

---

(١) الديوان ١٣/٥ ، ٦ .
(٢) الديوان ١٣/٧ — ٩ .
(٣) الديوان ١٠/٧ ، ٨ .

ان مثل هذا الانسان لا عذر له ، وقد قصد بذلك نفسه :

وما عذر مطروح بمكة رحلة | على غير بؤس لا يجوع ولا يعرى
فسافر عنها يبتغى بدلا بها | وربك لا عذرى وربك لا عذرى (١)

ونتيجة حتمية لهذا الشوق ان يعود الى مكة ، فيصمم على العودة السريعة ، فيتخذ راحلة له قدمى السليك بين السلكة ليقطع بهما المسافة بين بلاده ومكة فى اسرع وقت :

مكة نفسى اسفا عليك | طائرها محلق حوليك
انى وان طال المدى اليك | سالكه بقدمى سليك (٢)

مما اسلفنا يتبين لنا مدى حب الزمخشرى لمكة ، وكم كان مشتاقا الى الاقامة بها ، فتظهر الابيات السابقة عاطفته الجياشة الى هذا البلد الحرام والى الاماكن المقدسة فيه ، والحنين الى البيت الحرام طبيعى فى نفس المؤمن ، تحقيقا لدعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام : " ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك الحرام ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ... " (ابراهيم — ٣٧) .

---

(١) الديوان ١٣/١٠ ، ١٤ .
(٢) الديوان ٢٤٠/ ١ ، ٢ .

الغـــزل :

لقد رأينا فى دراستنا لحياة الزمخشرى انه كان عزهاة عن النســاء ، وانه ابتعد عن الزوجه والولد طوال حياته ، ومن كانت هذه سيرته فلا نطمع ان نجد له غزلا حقيقيا نابعا من القلب ، لانه لم يكتو بنار الحــب ، ولم يتيمه الهوى ، ومع كل هذا نجد له الابيات الكثيرة فى الغـــزل ، بل نجد له القصائد الكاملة فيه ، فكيف يعلل هذا ؟

لقد احب شاعرنا العرب وعشق حياتهم الاولى ، حتى انــه جاب الجزيرة العربية بأسرها ، وقد بانت علامات هذا العشق فى شعره الذى صور فيه تلك الحياة بكل ما يتعلق بها من الاماكن والالفاظ المتداولة ومقتضيات المعيشة ، فصرنا نجد فى غزله مستلزمات الحياة البدوية من الترحل والفراق والتحمل وشيم البرق وقطع الفيافى والقفار ، ولقد كثر فى شعره ايضا ذكر اماكن بأعينهـا مثل : وجرة والعقيق واللوى والعذيب وراكس ونعمان وحزوى ... كما انه تطرب بذكر اسماء نسائهم وترديد هذه الاسماء فطالعتنا ، امامة وسعدى وسعاد وسلمى وسليمى ونوار ..

وما اعتقد ان شاعرنا الذى افنى عمره فى طلب العلم والتصدى للتأليف والتدريس والعبادة ، ان يكون فى وقته متسع من الوقت لكى يحب هـذا الرهط من النســاء ، وانما اورد هذه الاسماء على عادة شعراء العرب من الوقوف على الاطلال ومن مخاطبة الحبيبه ومناجاتها والشوق اليها ، ووصفهـا بأحب الصفات الى النفس كما وانه من العبث ان نبحث عن صواحب هـذه الاسماء فهن عرائس الشعر ليس غير .

وان شعر الغزل فى ديوان الزمخشرى يقسم الى نوعين : الاول عبارة عن مقدمات غزلية لقصائد المديح ، وقد بلغت هذه المقدمات خمسا وعشرين مقدمة ، وعدد ابياتها مائتان وثلاثة وثمانون بيتا ، اما النوع الثانى فهو عبارة عن مقطوعات وقصائد كلها فى الغزل ، فله خمس قصائد عدد ابياتها ستة وسبعون بيتا ، وثلاث مقطوعات تعداد ابياتها سبعة وعشرين بيتا ،

والناظر فى هذين النوعين من الشعر ، يجده غزلا تقليديا لا حرارة فيه ولا عاطفة ، فهو فى مقدماته وقصائده ومقطوعاته ، يقلد الشعراء السابقين فى معانيهم وتشبيهاتهم ، وهذه بعض الامثله من تشبيهاته وصوره ،

فهو فى كثير من المواطن يشبه حبيبته بالغزال فيقول :

استغيث الله من ترك الظباء كل شر جاءنى من هؤلاء (١)

ويقول فى موضع آخر :

انصفونى من غزال يلفتى جوره مشتهر غير خفى (٢)

ويقول ايضا :

بلى رب ليل قد طرقت خباءها فبت تناغى بعض غزلان ابطح (٣)

وتارة اخرى يشبهها بالحمامة المطوقة :

ياقلب ذات الطوق ويحك رق لى ام انت اقسى من حجارة تدمر

---

(١) ٢٤١ / ١ الديوان ،
(٢) ٢٤٢ / ١ الديوان ،
(٣) الديوان ٣١/ ٤ ،

واحيانا يشـبـهها بالروض ، فثغرها يشبه الاقحوان ، وخدها كالـورد ،
واذا ما هزت قدهـا فهو مثل البانة الرطبة اللينـة .

اذا ما الروض عــــن رآوا مشابه فيه من ســــعدى
حكت بالثغــر والخد الـــ أقاحــى منه والـــوردا
وتحكى بانة لدنــــــا اذا ماهــزت القـــدا (١)

وهو لا ينسى حالات المحبين وما يكون من احوالهم فى حلهم وترحالهـــم ولقاءاتهم ، فهو يذكر تصدى الحبيبة عن السير ولومها على الرحيل ووداعهـا لمن تحب بغزير دموعها ، فهى تتصدى له عند عزمه على السير وتلومــــه على تركه ديارها الى ديار اخرى ، واصفة ديارها بأجمل الصفات ، ملقيـــة على غيرها من ديار ، الصفات المنفرة لنفســه محاولة بذلك ردعه ، كل هذا ودموعها قد خضلت خديها ، وشكواها لشدة حرارتها لو مررت بها على شجر الخابور ، فانه لن يورق حزنا عليها ، فيقــول :

تصدت لنا تثنى ازقتنا ســعدى غداة انتوينا عن مغانى اللوى بعدا
وأخضـل خديها دموع تتابعــــت تتابع در خانه سلكه المقـدا
وجاءت بشـكوى لو تمر ببعضهــــا على شجر الخابور ما اورقت وجدا
وقالت اعن نجد ورو حاتـه الــــى تهامة ، حييت من تارك نجــدا
اعن ظل أيك وارف متفــــــيىء الى حر بيداء يذيب الصفا الصلدا
اسار الى أرض القتاد فهاجــــر اليها المرار الطيب النشر والرندا (٢)

---

(١) الـديوان ١٥٥ / ٦ — ٨ .
(٢) الديوان ٣٦ / ١ — ٧ .

وعلى عادته فى تكرير معانيه ، يعيد لنا هذا المشهد فى قصيدة اخرى ، عندما لاذت به حبيبته يوم عزم على الرحيل ، وقد جرت دموعها وتصاعدت انفاسها خوفا من تفرق الشمل ، ثم يصف محاولتها فى اقناعه بالبقاء ، فهى تغريه باللهو تحت الظلال فى ايلة كثيفة الاغصان لا تستطيع اشعة شمس الضحى اختراقها ، مع حبيبة مشرقة الوجه ، عذبة المراشف ، كأن ريقها خمرة معتقة ، وهى تقدم له كل هذه المغريات لتثنى عزمه عن الرحيل ، ولكنه ماض الى وجهته :

لاذت بحقوى يوم زم الاينق	وجرت سوابق دمعها المترقرق
وتصاعدت انفاسها مذعورة	من ان يراعى شملنا بتفرق
قالت وقد ملأ الفراق فؤادها	وجدا فهم شغافه بشق
هلا اقمت ضجيع لهو تنثنى	نشوان تحت ظلال عيش غيدق
فى ايكة حجب التفاف غصونها	شمس الاضحى ، فكأنها لم تشرق
وكأنما غاظ الحمائم نورها	فمتى تضاحك ناح كل مطوق
غزل الاصيل مع الاحبة والضحى	مع كل مغنوج رخيم المنطق
متألق الخدين يهتف وجهه	بالشمس فى غنى فلا تتألق
عذب مراشفه كأن رضابه	نطف الحيا ممزوجة بمروق (١)

وقد ذكر احوالا اخرى من مثل المغازلة وطرق الخباء والخلو بالحبيب والمضاجعه والتقبيل .

---

(١) الديوان ١٦٩/١ ـ ٩ .

ففى طرق الخباء والمضاجعة يقـــول :

بلى رب ليل قد طرقت خباءهـا ... فبت تناجى بعض غزلان ابطـــح

وبات سدول الليل ترخى عليكما ... وتحجب عين الكاشــح المتصفح

فاقدح احشـاء الضجيعين منكمـا ... تفرى الدجى عن مثل جبهة اقــرح (١)

وفى الخلو بالحبيب وتقبيله يقـــول :

ياحبذا ليلـــة خلوت بهـــا ... تلثمـنى تارة والثمهـــــــــــا

ما زلت سكران لا افاقة بـــى ... منذ سلـقانى عقــاره فمهـــــا (٢)

وفى موضع آخر لا يرى العيش الا فى تقبيل فم الحبيب ويتمنى ان يقـــــى فمه على فم حبيبته دائما ٠ فذلك عن الطعام والشـراب :

وأبى مقبله اللذيــــذ جنــاه ... ما العيش الا ان اقبل فــــاه

ياليت فاه على فمى ابـــدا ولا ... اسقى الشراب ولا الطعـــام آراه (٣)

اما فى المغازلة فيقول :

ولم انس اذ غازلته قـــرب روض ... الى جنب حـــوض فيه للماء منحدر (٤)

وهو لا ينسى من اطوار المحبين الفراق والوصل والبخل وخلف الوعد وظـــلم الحبيب ٠ ففى الفراق يقول :

يالهف نفسى ساعة الافـــتراق ... تفرق الاحبـاب مـــر المــذاق

وليس ذا اول عهدى بـــــــه ... لى كل يوم منه كأس وهــــاق (٥)

---

(١) الديوان ٤/٣١ ـ ٦ ٠

(٢) الديوان ٢٧٧ / ١ ، ٢ ٠

(٣) الديوان ٢١٦ / ١ ، ٢٦ ٠

(٤) الديوان ٣٣ / ١٥ ٠

(٥) الديوان ١/٢٥٨ ـ ٢ ٠

اما في الوصل فيقول :

فسقى الاله ليالي الوصل التي وصلت بطيب اصائل اسحارها
قد بتها في غلة فكانني ذو نشوة قد اثلته عقارها (١)

وكثيرا ما تحدث المحبون عن بخل الحبيبة وخلفها للوعد ، وعدوا ذلك من الاشياء التي تزيدهم شغفا وهياما بها ، فماذا يقول شاعرنا في هذا المجال ؟

فهو يخبرنا في احدى قصائده ان سعاد تنسى المواثيق التي بينهما مع انه لا ينسى هذه المواثيق ، وان مواعيدها تشبه مواعيد عرقوب ، حتى ييأس الانسان من كثرة المطل ، ومع ذلك فهو يحبها ويعشقها :

نساءة لمواثيقي سعاد على اني لميثاق سعدى لست بالناسي
تحكي مواعيد عرقوب مواعدها حتى تمتع بعد المطل باليأس (٢)
لكن على ذاك نهواها ونعشقها وما على احد في العشق من باس

وفي موضع آخر يشبه خلف موعدها بالبرق الذي يلمع دون ان يكون معه مطر : (٣)

وعدت زيارتها وموعد مثلها ايماض برق كاذب اللألاء .

وعن بخلها يقول :

وهيهات الذي يرجو له طالب حاجة اكدى (٤)
عقدت الكف بالتسعين بعد ثلاثة عقدا

---

(١) الديوان ١٧٧/١٥ ، ١١٦ .
(٢) الديوان ١١٩ /٢ ، ٤٦ ، ٥٦ .
(٣) الديوان ١٨١ / ٦ .
(٤) الديوان ١٥٥ / ١٣ ـ ١٤ .

واكثر ما كان يؤلم العشاق وجود العذال والحراس الذين يحولون بين لقاء الاحبة وتمتعهم بحياتهم على منوال ما يتمنون ، وبالشكل الذي يرتضون ، فشاعرنا يطلب من عاذله ان يكف عن نصحه ، فان قلبه يزداد فى صبابته كلما ازداد فى نصحه هذا .

يا عاذلى اعفنى من العذل ومت فراقى فزدت فى شغلى
بقولك ازداد فى صبابته قلبى فاسكت ولا تقل
اياك ان تكثر النصيحة لى فما اتباع النصيحه من على (١)

وعن وجود الحراس الذين يمنعونه من الوصول الى من يحب يقول :

هيهات دون مزارها شرف تناطح هامة الجوزاء
مرخى الحجاب مغلق الابواب لا يمشى حواليه سوى الرقباء
من كل اشقر ان طرقت رايته يدنو اليك بمقلة زرقاء
متشزر يسعى اليك مهمها ويشير بالسكية المجراء
وعوت اليك كلابه ، وكلامه مستنكر ينسيك كل عواء (٢)

فهو يصور ان حبيبته فى قصر عالى الشرف ، مغلقة الابواب ومرخوة الستور ، ولا يسير حولها الا الحراس ، وقد صورهم فى اقسى صوره فهم شقر وعيونهم زرقاء ويتكلمون لغة لا يفهمها ، وكل منهم يحمل عصاء سميكه ولا يكفيه هذا بل يصطحب معه كلبه ، وكل هذا ليبين لنا الصعوبات التى تحول بينه وبين هذا الحبيب .

---

(١) الديوان ٢٧١ / ١ — ٣ .

(٢) الديوان ١٨١ / ١ — ٥ .

وفى صورة اخرى يعمد الى المبالغة ليدلك على صعوبة الوصول الى هذا الحبيب ، الذي لا يستطيع احد الوصول اليه حتى الفكر نفسه لايمكنه ان يرقى الى مكانه :

ومن لى بسعدى ومن دونها فياف يقول المهارى سراها
ومن حولها رقباء لها يزوون اعينهم والحياها
عصابة سوء اطافوا بها فليس يطول خيال حراها
ممنعة من نبات الملوك تحمى الاسود الضوارى مماها
كعصماء تنزل فى قلة مكللة بغمام ذراها
اذا طلب الفكر ان يرتقى اليها تعاظمه مرتقاها (١)

وينتقل المحب فى هواه من درجة الى اخرى اشد من سابقتها ، ففى اول مراحله يكون اسيرا للهوى ، ثم الجنون من الحب ثم الهوى القاتل وقد يبين الزمخشري هذه المراحل الثلاث فى شعره .

يوجى فداء رجال بعد اسرهم غيرى ، وهل الاسير الحب من فاد
هيهات ان اسير الحب ليس له فاد ، وما القتيل الحب من واد (٢)

وفى موضوع آخر يقول :

يفك اسراه اخوها وما ينفك اسراها بلا فك
يسفك بعض الدم لكنها عمت جميع الدم بالسفك (٣)

---

(١) الديوان ٢٩٨/ ١ ـ ٦ .
(٢) الديوان ١٠٨ / ١١ ، ١٢ .
(٣) الديوان ٢٦٣ / ٤ ، ٥ .

وليست بعيدة عن اذهاننا صورة مجنون بنى عامر ، الذى كان يمزق شبابه ويعيش مع الوحوش ، وشاعرنا ينقلنا الى صورة مماثلة لها فى قوله :

فاليوم آخرج صاغرا عن قشرتى واحط عن عطفى رداء تسترى
واهيم فى برية مستأنسا بالمشبهات لها الظباء النضر (١)

لقد درج الشعراء على تشبيهات مألوفة بالنسبة لاعضاء الحبيبة وهيئتها ورائحتها وصوتها ، وبعد التتبع لشعر الزمخشرى وجدته لم يخرج فى تشبيهاته عن المألوف المعتاد ، فالوجه كالبدر ، والجبين كضوء الشمس ، والخد كالورد الأحمر ، والعين والجيد من المهاة ، والمبسم كالاقاحى ، والريق خمرة ، والخصر نحيف ، والساعد والساق خدلتان ، والردف مثل كثيب الرمل ، والرائحة تفوق رائحة المسك ، والقامة هيفاء تحكى غصن البان .

وان كان لابد من الاستشهاد من شعر شاعرنا ، فقد أخذت اربع لوحات مما رسم شاعرنا لحبيبته ، وحاولت ان تكون هذه اللوحات شاملة لكل التشبيهات السابقة ، ففى الصورة الاولى يتحدث عن سعدى التى مرت بوادى منبج فعطرته كأنما فتقت فيه اوعية المسك وان وجهها يضيء فوق ضوء الشمس ، وفى وشاحها عطش لنحافة خصرها مع ان ساعدها جزل يملأ سوارها ، فيقول :

---

(٢) الديوان ٢٠٦/١١ ، ١٢

سعدى المليحة أين عنك مزارهـا ... شطت برغم الواقعين ديارهـا

مرت هوادجها بوادى فنبـج ... فأطاب وادى منبج آثارهـا

مرت عليه فمطرته كأنمـا ... فتقت صوار المسك فيه صوارها

لوكان اقمار السماء وجوههـا ... لاضاء فوق شموسهـا اقمارهـا

من كل مشوقة الجبـين كأنمـا ... بالشمس طالعه يلاث قمارهـا

بوشاحها عطش لدقة خصرهـا ... لكن بساعدها يغص سـوارهـا

سفرت عشاء فالبسيطة اشـرقت ... حتى تساوى ليلها ونهارهـا (١)

وفى الصورة الثانية نرى الخيزران وقد اصفر لونه حياء عندما انثنى متنا تلك الحبيبة ، ونرى كثيب الرمح كيف انثال عند رؤيته ارتجاج ردفاها وشقائق النعمان كيف اكتست باللون الاحمر خجلا عند رؤية خديها ،ويظهر وجه سعدى منير يفوق نور البدر ، وان رائحتهـا لتعبق فوق رائحة المسك ، ثم يعمد الى الاغراق فى المبالغة عندمـا يقول بأن خيالها اذا مر ببلدته فسوف تعبق برائحة العنبر على مر الزمان .

يصفر من فرط الحياء اذا انثنى ... متناك خوط الخيزران الاخضـر

وكذاك ينهال الكثيب تشـورا ... ان تنهصنى فارتج ما فى المئزر

لو ان عود الاقحوان بدت لـه ... منك المضاحك لم يكن بمنـورا

وشقائق النعمان احسبهـا رأت ... خديك تلك حمرة خجـلة وتشـور

ابصرت سعدى عند حط نقابهـا ... فعلمت ان البدر ليس بنـير

وشممت من ارد ان سعدى نفحـة ... فعلمت ان المسك ليس بأذخـر

---

(١) الديوان ٤٧٧/١ — ٧ .

لو جاز بلدتنا خيالك مـــرة　　لتضوعت ابـدا بريـح العنـــبر (١)

وفى قصيدة اخرى يتعرض للحظ العين ويشبهـه بالسيف الذى اذا رآه الغازى سقط سيفه من يده ، لانه رأى منيته فى ذلك اللحظ فاستسلم ، ثم يشبهها بالظبى فى هيفه وعينه وجيده ، الا انها خدلة الساق ، وان الحاظها سيوف قواطع مسلولة ، وانها اذا ضحكت ، فان ضحكها يغمد هذه السيوف فى قلب المحب .

له مهند لحـظ ما يجـرده　　الا هوى من يد الغازى مهنده
رآى منيته فى سيف مقلتـه　　فما درى كيف خلت سيفه يـده
وما تكلف صب عنـده جلـدا　　الا انثنى ضائعا عنه تجلـده
ظبى من الالسن خدل الساق × فى هيف فى العين والجيد ظبى الوحش يحسده
بعينه عينه الكحلاء هازئـة　　وجيده ساخرة منـه مقلـده
يسل باللحظ سيفا باتكا فاذا　　اراد ضاحكا فان الضحك يغمده
لو انصفت دولة الحسن التى ظلمت　　لقام كل مـلاح الارض تعبـده (٢)

اما بالنسبة للريق فهو خمرة ، وعندما تسائله الحبيبة عن ارتشافه للسلافه من فيها ، وهو رجل تقى ورع ، يخبرها بأن انفاسه الحارة التى تصدع عن كبده الجرى قد طبخت هذه السلافه فهى غير مسكرة :

وقد رشفت سحيرا خمر ريقتهـا　　فافتر مبسمها عن ضوء مقبـاس
قالت اترشف من ريقى سلافتـه　　وانت ذو ورع عف عن الكـاس
فقلت ويحك انى لست راشـفهـا　　الا وقد طبختها نار انفاســى (٣)

---

(١) الديوان : ١٨٣ / ٣ — ١٠ .
(٢) الديوان : ١١٤ / ١ — ٩ .
(٣) الديوان : ١١٩ / ٨ — ١٠ .

وان اجود شعر قاله شاعرنا فى الغزل قصيدته التى يغازل فيها احدى الجوارى فى روضة بجانب غدير ماء ، ولما طلب منها ان تحضر له وردا ـ واراد بذلك ورد خدودها ـ فتطلب منه مهلة حتى تتمكن من حسب الورد الذى طلب ، فيخبرها بأن لا صبر عنده ، فتدرك مرماه ، وتقول له : لا يجود ورد حاضر سوى ورد الخدود ، فيقنع بالموجود ، وجودتها جاءت من كونها قصيدة واقعية وتجربه مر بها الشاعر ، فهى مع الوصيفه التركية التى اهديت اليه ، فهو يبدأ القصيدة فى تبيان عدم رغبته فى سعدى ، وهذا دليل آخر على ان سعدى حبيبه تقليدية ، وان العيون النجل لا تؤثر عليه ويقصد بذلك عيون الفتيان العربيات ، لان تعلقه بالعيون الضيقه وهى عيون الفتيات التركيات ، :

الا قل لسعدى ما لنا فيك من وطـر وما تطبينا النجل من اعين البقـر

فان العيون الضيقات واهلهـا بهم علقت منا الضمائر الفكـر (١)

ثم يتطرق الى وصف صور الترك ، وبعدها يبدأ فى وصف حبيبته بالاوصاف التقليديه ، فلحظها فاتر ، واللحظ اقوى ما يكون عند فتوره ، ومع ان عيون هذه الحبيبة ضيقه ، الا ان جراحاتها واسعه فى قلب المحب فهى تقتله بجفنها الضعيف ، ومع ان ساقيها قصيران الا ان متنها طويل ، لذلك جاءت قامتها متناسبه فلا هى بالطويله ولا بالقصيره ، ثم يتطرق الى الخصر والأرداف ، فالخصر نحيب والردف كبير ، اما شعرها فهو يغطى جسمها اذا ما اسدلت ذوائبها :

---

(١) الديوان ٣٣ / ١ ، ٢ .

بنفسي قوي لحظة وهو فاتر ... كذا اللحظ اقوى ما يكون اذا فتر
تضايقت العينان منه وانه ... يوسع في القلب الجراح اذا نظر
ويقتل بالجفن الضعيف ولم أزل ... اعوذ بربي من ضعيف اذا قدر
تقاصر ساقاه ، ولكن متنه ... طويل فما في القد طول ولا قصر
وقد جمع الضدان فيه فردفه ... على غاية الاطناب ، والخصر مختصر
متى ما يتجرد من شعار وآرخيت ... غدائره ، يلبس شعارا من الشعر (١)

وبعد هذه الاوصاف يصل الى غرض ، وهو مغازلة هذا المحبوب في الروض ، ويصفها على شكل محاورة فيقول :

ولم آنس اذ غازلته قرب روضة ... الى جنب حوض فيه للماء منحدر
وقلت له : جئني بورد وانما ... اردت به ورد الخدود وما شعر
فقال : انتظرني رجع طرف أجيء به ... فقلت له : هيهات مالي منتظر
فقال : فلا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له : اني قنعت بما حضر
ايا حبذا تقبيل فيه ورشفة ... وبرد ثناياه اذا برد السحر (٢)
و ياحبذا وقت اراني معانقا ... لقد كخوط الخيزران اذا خطر

فالقارئ لهذه الابيات يحس بنفس الشاعر منطلقة على سجيتها تعبر عما تحس به دون روابط او قيود ، فجاء شعره قريبا من النفس محببا اليها .

---

(١) الديوان ٣٣ / ٨ ـ ١٤ .
(٢) الديوان ٣٣ / ١٥ ـ ٢٠ .

الفخر :

ان الفخر من اهم الاغراض الشعرية ومن اكثرها طروقا عند الشعراء ، فالشاعر يفخر بآبائه وأجداده ويعدد مكارمهم ، وهو يفخر بقبيلته وأمجادها وحروبها وثاراتها ، ويفخر بقومه على سائر الاقوام .

ولكننا اذا بحثنا خلال ديوان شاعرنا ، فلن نجد له من هذا الفخر شيئا ، لأنه استمد اصالته فى هذا الفن من مطامحه البعيدة وهمته العاليه ، فهو يعتد بنفسه وبعلمه ويطمع فى ان يوصله هذا العلم الى ما يريد من جاه ومنصب ، لذا فهو يفخر بعلو همته ، فهى ـ فى نظره ـ اعلى من السماء السابعه ، وان المكارم والعلا قد اصبحت جميعا خدما لـه :

خلق الطباق السبع عاليـــة   لكن علت من فوقها هممى

خدم الرجال المكرمات وقـد   غرت المكارم والعلا خدمى (١)

وهو يرى ان آهل زمانه ما حسدوه ورمقوه بأعينهم ، الا لأنه آداب منهم ، ولانه بذهم فى جميع الفنون .

تراشقنى اهل الزمان بأعين   لو انى صفاة خفت ان اتصدعا

وذنبى انى كنت آداب منهم   وابرع منهم فى الفنون وابدعا (٢)

ويتطرق شاعرنا الى هذه الفنون فيعددها لنا ، مبينا ما قدمه فى كل فن ، وانه بذ اقرانه فيه وجاء بما لم يستطع احد ان يأتى بمثله ، وسوف نحاول

---

(١) الديوان ١٩٥ / ١ ، ٢ .
(٢) الديوان ٢٦ / ١ ، ٢ .

تتبع الشاعر فى بعض مافخر به من علوم لنرى كيف كان يفاخر الآخرين بتفوقه فيها ، فهو عالم بالتفسير ورواية الحديث فيقول فى ذلك :

ترانى فى علم المنزل فارسا   وما أنا فى علم الأحاديث راسفا
وما أنا من علم الديانات عاطلا   باحسن حلى لم يزل لى شانفا
فكم قد وحت يمناى منه دفاترا   وكم وعت اذناى منه وظائفا (١)

وفى مجال التفسير يفخر بكشافه فى أكثر من موضع :

وناهيك بالكشاف كنزا نضاره   يعلم تمييز الجياد الصيارفا
وتخفق أوراق المصاحف هزة   لزهر معان يزدهين المصاحفا
فما فى بلاد الشرق والغرب ناقد   يقلبها ودهرا فيخرق زائفا
وليتهم بالغوص بعد اطالة   لفكرهم يدرون تلك اللطائفا
الى صاحب الكشاف الا اصابة   لما ارتد عنه صائب النهل صائفا (٢)

وفى قصيدة أخرى يفخر بأن الكشاف واحد فى فنه ولا يوجد فى التفاسير مايكافئه ، وان أخباره قد طارت فى جميع الآفاق :

تالله ما الكشاف الا واحد   فى فنه انى له بمكافى
أوصافه فى كل قطر شاسع   طارت بأبى قوادم وخوافى (٣)

وفى نفس القصيدة يعود فيقسم مرة اخرى بأن الأشياء الخفية قد أصبحت واضحة وجلية فى الكشاف ، ولو انه كتب فى أول الزمان لاصبح عمدة للسلف ، ويشير الى المعارضين للكشاف وانهم على غير حق ، وانهم لو انصفوا لجعلوا الكشاف تميمة وعلقوه فى صدورهم :

تالله ما الكشاف الا آخذ   صفة الجلى به الدقيق الخافى
نكت الى نكت ترصف نظمها   بمنكت لحليها وصاف

---

(١) الديوان ٩٣/٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ . (٢) الديوان : ٩٣/٦٦-٧٠ .
(٣) الديوان : ٢٢٧/٣٧ ، ٣٨ .

لو كان فى أولى الزمان مصنفا ماكان الا عمدة الاسلاف
فيه اشاف للذى يبغى الهدى فيه لأكباد البغاة اشاف
لو انصفوا لتعلقوه تميمة لكن أبوا من قلة الانصاف
وطووا على حسد قلوبا دينها للدين والحق المنير مناف
والحق طود لايخلخل ركنه ومكابرات المبطلين سوافى (١)

وأما بالنسبة للغات العرب ، فلا يوجد من يثقفها مثله ، فقد شبه نفسه فى تثقيفها بسمهر فى تثقيفه للرماح ، أو كعمرو فى الرماية :

وما للغات العرب مثلى مثقف ابى كل ندب متقن ان يخالف
وليس لتثقيف الرماح كسمهر وليس كعمرو فى الرماية حاذقا
اقيد عندى سوها وصميمها وانقى اشابات سدا ولفائفا (٢)

وهو يفخر بمقدرته فى النحو وانه شرح كتاب سيبويه ويكفيه ذلك فخرا :

وبى يستميد النحو من ان يسوسه نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
فقل اين خلى سيبويه كتابه يقل حجر جار الله مأواه حالفا
وما فى رواة الكتب راوية له سوى واحد فانظر فلست مصادفا
ولو لم تكن لى غير هذى فضيلة لبرزت سباق الاضاميم راعفا (٣)

كما انه افتخر بباعه الطويل فى علم المعانى والبيان ، فهو يشبه بنات أفكاره فيهما بالفتيات الجميلات الشريفات اللواتى يسلبن لب صاحب العقل حتى ولو كان عزهاة مبتعد عن اللهو وأسبابه :

وعلما المعانى والبيان كلاهما ازف الى الخطاب منه وصائفا
وصائف زينات يتيمن ذا الحجا وان كان عزهاة عن اللهو عازفا

(١) الديوان ٢٢٧/٢ ٤٢ـ٤٩ .
(٢) الديوان : ٩٣/٣ ٤٣ـ٤٥ .
(٣) الديوان : ٩٣/٤٦ ـ٤٩ .

اذا ماأجتلاهن الحليم أزدهينه ... فرقص فوديه وهز المعاطفا
بنات لى استولدتهن قريحتى ... فجئن هشاميات صدق شرائفا
نجائب قد نازعن نسبة مقرم ... نجيب لانجاب ، وعفن المقارفا (١)

ثم يواصل افتخاره ببقية معارفه ومؤلفاته ، فيذكر ديوان شعره ، وديوان نثره ، ومعرفته بعلم العروض .

وبما أنه قد بلغ من المعرفة هذا المبلغ ، فقد أصبح مقصدا لطلاب العلم من كل البلاد شرقيها وغربيها ، فهو يشبه نفسه بالكعبة وطلاب العلم بالطائفين الذين حضروا من جميع البلاد ليطوفوا بها .

وسميت بين العرب والعجم رحلة ... الى يزجون المطى عواسفا
يؤمون قذافا بأشياء لم تكن ... بأمثالها خضر البحور قواذفا
الم تر انى حيثما كنت كعبة ... يحفون بى كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوى الى النور قابسا ... وغربيهم يسعى الى النور غارفا (٢)

---

(١) الديوان : ٩٣/٥٠ـ٥٤ .

(٢) الديوان : ٩٣/٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

الشـــــكوى :

ان الشكوى ظاهرة بارزة فى الشعر ، وذلك لرقة شعور الشعراء وزيادة حساسيتهم فهم دائما ينشدون المثل العليا لانفسهم وللمجتمع الذى يعيشون فيه ، ولان الواقع بعيد عن المثالية ، ويصل فيه المتزلفون الى المناصب العالية ، فيؤثر ذلك فى نفوس المخلصين من ابناء الامة ، واكثر الناس احساسا بذلك الشعراء والادباء لما ذكرنا من حساسيتهم ورقة شعورهم ، فيقارنون بين ماهم فيه وبين ماتسلم غيرهم ، فيوصلهم ذلك الى الحزن والكمد والثورة على الناس والحياة .

والزمخشرى فى بداية حياته ينهض بهمة عالية لتلقى العلم وتحصيله حتى يوصله ذلك لما يريد ، ولكن يخيب فأله ، ويجد من هم دونه همة وعلما يتسلمون المناصب العالية ويتمتعون بالمال والمنصب والجاه ، فيؤثر ذلك فى نفسه ، فيأخذ فى التململ والتذمر من هذا الوضع ، فنراه فى مطلع حياته يبث شكواه الى نظام الملك ، يشكو اليه حوادث الزمن التى تصيبه صباح مساء ، ولولا مساعدة استاذه الضبى لبالغت هذه الخطوب فى ايذائه ، وكان يأمل من نظام الملك ان يمد له يد العون ليخفف من بلوائه ، فهو يقول :

اليك نظام الملك شكواى فاستمع الى بث مجدود المعايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنوبـــه بوائقة تنحى عليه ببركهـــا
ولو لم يلى الضبى عنى عراكها لغالت يد الهلوى اديمى بعركها
رجوت سطاء منك ارتجى وبلهـــا فان لم يكن وبل فتنضاح ركهـــا (١)

---

(١) الديوان ١٨/٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ .

ولكن شكواه هذه لم تفده شيئا ، فيعود الى الشكوى مرة اخرى ، فيوجه الى نظام الملك قصيدة يبين فيها فضله ومقداره وعلمه ، ويجعل من كل ذلك وشائج قربى الى هذا الوزير ولكننا نشتم فى هذه القصيدة عزة نفسه وهمته العالية ، فهو لايلجأ الى الاستعطاف كما فى قصيدته السابقة بل يلجأ بالتهديد بالرحيل عن البلاد .

بدأ الزمخشرى قصيدته بمساءلة خليليه عن فائدة فضله الذى بلغه اذا هو لم يرفع على كل جاهل ، فهو يرى من الغبن والجهالة ان يصيب اصحاب النقص المناصب التى يستحقها اصحاب الفضل ، وهو يستبعد ان ينال حقه فى مثل هذا العصر :

خليلى هل تجدى علىّ فضائلى   اذا انا لم ارفع على كل جاهل ؟
من الغبن ذو نقص يصيب منازلا   اخو الفضل محقوق بتلك الفضائل
كفى حزنا ان يرغم الحلم والحجا   تصدر باد طيشه غير عاقل
ومن لى بحق بعدما وفرت على   اراذلها الدنيا حقوق الاوائل
كذا الدهر كم شوهاء فى الحلى جيدها   وكم جيد حسناء المقلد عاطل (١)

والذى يحزنه ويؤلمه هو شيوع صفاته ، حتى ان الركبان يتغنون بها فى اسفارهم ، اما قصائده فقد انتشرت فى طول البلاد وعرضها ، هذا بالاضافة الى مصنفاته التى لم تبق قولا لقائل ، ولكن مع كل هذا ، فهو يعيش فى فقر مدقع ، فاذا نظر الى كفه لايجد فيها سوى انامله .

ومما شجانى ان غر مناقبى   تغنى بها الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدى   وسارت مسير النيرات رسائلى
وكم من آمال لى وكم من مصنف   اصاب بها ذهنى مَحز المفاصل

---

(١) الديوان : ٢٥/١ ـــ ٥ .

ولى فى دقيق النحو والنقد منطق اذا قلته لم ابق قولا لقائل
غنى من الاداب لكننى اذا نظرت فما فى الكف غير الانامل (١)

لهذا نجده يتمنى ان يصبح غنيا ، فيرضى صديقه ويسخط عدوه ، وان يكون فى غباء باقل — الذى يضرب به المثل فى الغباء — لان الزمخشرى يرى انه من يبلغ بفضله وعلمه شيئا ، ولو اصبح مثل قس اياد ، او سحبان وائل :—

فيا ليتنى اصبحت مستغنيا ولم اكن فخر خوارزم رئيس الافاضل
ويا ليتنى مرضى صديقى ومسخط عدوى وانى فى فهاهة باقل
فلست بفضلى بالغا ولو اننى كقس اياد او كسحبان وائل (٢)

ولما كان الوزير عالما ويحب العلماء ، فلقد اعتبر الزمخشرى ان هذه العلوم والفضائل هى وشائج قربى تربطه بهذا الوزير ، فمن المفروض ان لايضيع حقه ، لان له آمال تكاثر الحصى ، ولايوجد له نظير فى جميع البلاد فيقول :

وما حق مثلى ان يكون مضيما وقد عظمت عند الوزير وسائلى
واعظمها انى نسيب نصابه اذا عرضت انساب هذى القبائل
وقد كان يرعى حقى الناس قبله على عدم القربى وبعد الوصائل
فلا ترضى يا صدر الكفاة بان ترى اعالى قوم الحقوا بأسافل
ولاتجعلونى مثل همزة واصل فيسقطنى حذف ولا راء واصل
فكل امرئ آماله عدد الحصى وهات نظيرى فى جميع المحافل (٣)

ويختتم شكواه بألمه من الواقع الذى يعيش فيه فهو يصمم على ترك وطنه ساخرا من كل الاوضاع التى تحيط به ، فهو يطلب من الوزير ان يجعله

---

(١) الديوان : ٦/٢٥ — ١٠ .
(٢) الديوان : ١١/٢٥ — ١٣ .
(٣) الديوان : ١٤/٢٥ — ٢٠ .

مثل الارذال حتى ينال نصيبا من العيش فلا يترك ديا و المعززة عليه

لان كان امرى فى خوارزم ما أرى   فان رحالى فى ظهور الرواحل
وكم قلت القى فى وزارتك المنى   وادرك وحدى ما ارتجى كل آمل
ولم ادر أن الارذلين يرون ما   تمنوا وانى لست احظى بطائل
فوقع الى هذا الزمان فانه   غلامك يجعلنى كبعض الاراذل (١)

والمتتبع لشعر الشكوى عند شاعرنا يستطيع ان يقسمه الى ثلاثة اقسام :ــ

١ ــ الشكوى من الزمان ونوائبه :

لقد اكثر الزمخشرى من ترديد شكواه من الزمان الذى يرفع الاراذل ويضع الفضلاء ، فكل شكواه من الزمان تدور حول هذه الفكرة ، فالزمان فى نظره ظالم اعطى الحقوق الى غير اصحابها ، فيقول :

وديدن هذا العصر رفع مناسم   موقعة فوق الكواهل والذرى
فذو النقص لماق من الارى محقدا   وذو النقص مضاغ من الشرى مخفوا (٢)

ويكرر هذا المعنى فى قصيدة اخرى فيقول :

عفاء على الدنيا طويل لرفعها   مناسمها السفلى على اسنماتها
قضية جور قد جرت بين اهلها   تذوب لها الاكباد من حسراتها
فياليت شعرى هل ارى انسها كما   ارى طيرها الغربان تحت بزاتها
وهل للامور المستقيمات فيئة   تسوى من الدنيا الصفا فى قنواتها (٣)

ولكن الى من يرفع الزمخشرى شكواه ؟

لقد رفع شاعرنا الى الوزراء الذين كانت بيدهم السلطة لعلهم يساعدونه على مواجهة نوائب الزمان ، فهو يستعين بعميد الله على ذلك ، لانه المتصرف فى الامور ولا يستطيع احد رد امره او رغبته فيقول :

---

(١) الديوان : ٢١/٢٥ ــ ٢٤ (٢) الديوان : ٥٨/٩٢ ــ ٥٩ .
(٣) الديوان : ١٤/٤٣ ــ ١٧ .

اليك عميد الله انهى شكايتى نكاية دهر ينتحى بصياله
بحقك فازجره ومره لينتهى فامرك امضى من مواضى نصاله
وقل يازمان السوء ملك قاصدا لمن عرف الناس اهتمامى بحاله
فأنت الذى الديوان طوع لحكمه وذلك طوق رفى رقاب رجاله
وانت الذى ان قال شيئا يريده فما فيهم من ينثنى عن مقاله (١)

وعندما رأى ان شكواه الى العميد لن تفيده شيئا ، فقد توجه بشكواه الى الله جل جلاله ، فيقول :

اشكو الى الله جفوة الزمن ودولة ماتزال تظلمنى
تؤثر جهالها بنعمتها وتقصد الفاضلين بالمحن
قلبى لايعرف السرور وما اعرف قلبى بشدة الحزن (٢)

ويقول فى قصيدة أخرى :

أشكو الزمان وما أرى لى مشكيا ممن يرى شمتى ورقة حالى
ياحسرتا من لى بصفقة رابح فى متجر والفضل رأس المال
ياويح اهل العلم كيف تأخروا والسبق كل السبق للجهال
فى ذمة الايام لى دين متى استقضه لاقيت طول مطال
فالى الهى المشتكى ومصنعه دون الانام منوطة آمالى (٣)

٢ — الشكوى من الناس :

وكما شكا الزمخشرى من الزمان وظلمه له ، فقد اخذ يشكو من الناس الذين يعيشون فى ذلك العصر ، لانهم لايقلون ظلما عن عصرهم فهم بعيدون عن كل مكرمة ، ظاهرى اللؤم ، ولايفرقون بين الجاهل والفاضل ، وهم وان اتصفت اجسامهم بالحسن فعالمهم كلها قبيحة ، فهو يقول :

---

(١) الديوان : ١/٥٠ — ٥ . (٢) الديوان : ١/٢٧٤ — ٣ .
(٣) الديوان : ١٠/١٧١ — ١٤ .

واهل زمان قد تقضى صريحهم ... فلم يبق فى اهل الزمان صريح
اولئك اما المكرمات لديهم ... فمرضى واما لؤمهم فصحيح
ومثلا ن ذو نقص لديهم وفاضل ... وسيان فيهم مفحم وفصيح
وكائن ترى من ذى محاسن وجهه ... صبيح ووجه الفعل منه قبيح
فياليت القبح كان بوجههم ... وياليت وجه الفعل كان صبيح (١)

ومن شدة تألمه من اهل عصره ، وخاصة اهل بلاده — خوارزم — الذين لم يقدروه حق قدره ، مما دفعه الى السير الى بلد آخر — لذلك نجده يصفهم بأقبح الصفات ، فلم يترك رذيلة الا وألصقها بهم ، فقد كان قاسيا عليهم فى قوله ، وما ذلك الا ردة فعل صدرت منه نتيجة ضياعه بينهم فهو يقول :—

فما بك غير عصرك من مصاب ... وذلك لايرد بها المتاع
رزقت بنى زمان لم يصابوا ... ثديا للكرام بها الصهاع
سقطت على نويس صغرتهم ... طغام اراذل بئس الطهاع
هم شر السباع فلا ذئاب ... مكلحة الوجوه ولا ضباع
وما فوق الثرى سجن عظيم ... كجو حوله قوم رعاع (٢)

٣ — معاندة الحظ :

لقد شكا الزمخشرى من سوء حظه فى هذه الحياة وان لانصيب له فيها ، لان اسهمه فيها هن وغد وسفيح ومنيح ، وكلنا يعلم ان هذه الاسهم لانصيب لها ، انما وضعها العرب لتكثير الاسهم فقط عند قسمة لحم الجزور ، فهو يقول :

لى فى الدنيا سهام ... ليس فيهن ربيح
فأساميهن وغد ... وسفيح ومنيح (٣)

(١) الديوان : ١٠/٢٤ — ١٥ . (٢) الديوان : ١٣٨/٣٠ — ٤٦
(٣) الديوان : ١٣٨/٣٠ — ٤٦ .

الحكمـــــــة :

لقد عاش الزمخشري نيفا وسبعين سنة ، ذاق خلالها حلو العيش ومره ، وعاشر الفئات المختلفة في مجتمعه ، ورحل من بلد الى آخـــر وأحس بآلام المجتمعات التي مر بها ، واطلع على الكثير من مشاكلهــم فأثر كل هذا في شعره فصاغ الكثير منه على شكل حكم يسديها الى هذه الشعوب ، ولكن حكمه لم ترق الى مستوى حكم المتنبي وابي العلاء فهي لم تضع الحلول الشافية لما تعانيه هذه المجتمعات من مشاكـل وما يعترضها من صعاب ، بل جاءت على شكل مواعظ يسديها الـــى سامعيه من مثل قوله :

ليس السيادة اكماما مطــرزة ولا مراكب يجري فوقها الذهب
وانما هي افعال مهذبـــة ومكرمات يليها العقل والادب
وما اخو المجد الا من نمى شرفا يوما فهان عليه النفس النشـب
وافضل الناس حر ليس يغلبـه على الحجا شهوة ولا غضـــب (١)

وقد جاءت معظمها في مطالع قصائد الرثاء ، لان معانيها تدور حول الموت ومساواته بين بني البشر ، فهو يقول :

قضاء ربك حد غير مسبـــوق باب يساق اليه كل مخلـوق
سيان من ليس مرموق المحل وذا جاه بابصار كل الخلق مرموق
ورب تاج وديباج يجـــرره كذي كساء رقيع الجيب مفتـوق (٢)

وكثيرا ما قارب بين الفقر والغنى وبين ذي الجاه والوضع وذكر القـــدر ونفوذه الى اي مكان محصنا (٣) . والناظر لهذه الحكم يجد ان ثقافـــة الزمخشري الاسلامية قد اثرت عليه كثيرا ، فمعظم معانيه مستمد مـــن التعاليم الاسلامية عن الموت والحياة وغيرها .

---

(١) الديوان : ١/١٠٥ ـ ٤ . (٢) الديوان : ١/١٢٩ ـ ٣ .
(٣) الديوان : ٤/١٢٩ ـ ٩ ، ١/١٣٠ ـ ٤ ، ١/١٣٣ ـ ٤ ، ١/١٣٣ ـ ٧ ، ٤٦/٨٧ ـ ٥٢ .

كما دون الزمخشرى قصيدة كاملة فى الحكمة وقد سماها الحكمـــة (١) وهى تقع فى واحد وخمسين بيتا ، ومعظمها فى الحكمة ، وهذه بعـض حكمه فيها :

لقد شبه العيش بالشجرة الكبيرة التى استراح الناس تحتهـــــا فى وقت القيلولة ، ولكنهم سوف يطردون عنها مهما حاولوا البقاء .

وما العيش الا سرحة قيل تحتها سيطرد عنها القائلون وان لجوا (٢)

ومن الناس من يتخبط فى غوايته وضلاله ويدعى انه يهدى الـى الله بالطريق الصحيح والحجج الواضحة .

وكم من خابط فى شبهة وهو قائل الى الحق بالبرهان اهدى واحتج (٣)

ويقول ان الرأى السريع لافائدة منه ، وانما النفع والفائدة فى الـــرأى الناتج عن امعان الفكر والتروى فى الامور ، ويشبه ذلك بمن يأكل الثمر قبل نضوجه فتؤلمه بطنه :

ولا خير فى الرأى الطهوج انما يفىء بخير حين خالطه النضج
ولم ينتفع الا برأى محنـــــك ويورث مغص الاكل الثمر الفـــج (٤)

وصاحب الفضل عند الزمخشرى من لايسيطر عليه الهوى ولايؤثر عليه دل الغانيـات .

فذو اللب من لم تغذه رضحة الهوى
ولم يصبه دل ولم يلهه غنج (٥)

ويختتم هذه العقيدة بنصيحة الى السلاطين واصحاب النفوذ ليعتبروا فى هذه الحياة ، ويطيعوا الملك الواحد القهار :

اما يشعر السلطان عزة ربـــه وذلته ان مس امعـــــاءه سحج
فملطة ظهوا لبطن فلم يــــال ان يبذل الدنيا لنفعة يج
هو الملك الحق الذى الملك ملكه وما ملك عبد همه البطن والفرج (٦)

---

(١) الديوان : ١٤ . (٢) الديوان ١٤ : ١٨ (٣) الديوان ١٤/٢١
(٤) الديوان ١٤/٢٥ (٥) الديوان ١٤/٤٢
(٦) الديوان ١٤/٤٩ - ٥٠ .

الهجـــاء :

لقد نظم شاعرنا فى معظم اغراض الشعر التى سادت فى عصـــره وقبل عصره باستثناء الهجاء ، فلا يوجد له فيه سوى هجائه لأهــــل خوارزم وبيتـين فى هجاء أهل السنة مع شكا فى نسبتهما اليه ، ومـــع اعتقادى الجازم بأنه كان قادرا على الهجاء كما كان قـادرا على المديــح الا اننى لاأستغرب غياب الهجاء من ديوانه ، لأن الشعراء كانوا يضطرون الى الهجاء للوصول الى مطالبهم ، فهو سلاح الارهاب ، يلوحون به فـى وجوه البخلاء والمانعين للعطاء ، ويستخدمونه فى التشهير بالمخالفين لهـم فى العصبية أو المذهب السياسى أو المعتقد الدينى .

أما بالنسبة لشاعرنا فقد سلك طريقا غير هذا ، فهو فى مطلع حياتــه يطمح للمنصب والجاه ، وان ينال من العطاء مانالـه من هم دونه همـــة وعلما ، وعندما كان يفشل فى هذا عن سلطان أو وزير ، يلجأ الى التهديد بالرحيل ، فهو يعتز بعلمه ، ويعتبر رحيله عن ذلك الممدوح خسارة لـــه ولبلده ، ويكفيه ذلك ، فهو يبتعد عن الهجاء ، مكتفيا بالتهديد والرحيل وأما فى القسم الثانى من حياته فهو رجل قانع بعيد عن كل الأطمـــاع فلا حاجة به الى الهجاء .

أما بالنسبة لمخالفيه فى معتقده الاعتزالى ، فقد رد عليهم فى تفسيره فمجال النثر مجال رحب للمجادلة والنقاش والتفنيد والمنطق ، حــتى أن بيتيـه فى هجاء أهل السنة وردا فى الكشاف ولم يردا فى ديوانه ، وقــد كتبا فى هامش نسخة الاصل بخط يغاير خط الناسخ ، وقد نسبهما الكاتب الى الكشاف والزمخشرى فى الكشاف يترفع عن نسبتهما الى نفسه فهو يقــول " والقول ماقال بعض الموحديــن :

لجماعة سموا هواهم سنـــة ... وجماعة حمر لعمرى موكفـــه
قد شبهوه بخلقة فتخوفـــوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفـه (١)

على كل حال فيهما من الهجاء المقذع مايجعلنا ننضم الى اللائمين عليه لايراده هما فى تفسيره ، وخاصة وهما فى هجاء أهل السنة وخاصة وهم السواد الأعظم بين المسلمين ، ويكفيه مانال من هجاء من ردوا على هذين البيتين .

وأما هجاؤه لاهل خوارزم فقد ورد ضمن قصيدة يحن فيها الى مكة وأيامه فيها ، ويشكو أهل زمانه الذين لم يعرفوا قدره كما عرفه ابن وهاس شريف مكة ، فهو يصب عليهم جام غضبه ، ويصفهم بأرذل الصفات فأصلهم غير كريم لذلك تطبعوا بطباع الاراذل ، فهم لايعرفون طريقا للخير أو المعروف ، بل هم عبيد للبخل والحرمان .

رزقت بنى زمان لم يمصـــوا ... ثديا للكرام بها ارتضـــاع
سقطت على نويس صغرتهـــم ... طباع اراذل بئس الطبــــاع
فلا بسطوا الى المعروف كفـــا ... ولا طالت لهم فى الخير بـــاع
نويس فيهم النكد المكـــنى ... ابا الحرمان والشح المطـــاع (٢)

ويقول انه فى عصر يقدم الصناع على العلماء وأهل الفضـــل :

ترى ملكا اشم ولا افتقـــاد ... لاهل الفضل منه ولا اصطنـــاع
ترى الصناع تنفعه يـــداه ... وليس لعالم بهما انتفـــاع (٣)

فهم أكثر شرا من الذئاب والضباع ، فلا يأمل الانسان منهم الا الضرر :

---

(١) الكشاف ـ الزمخشرى ـ المطبعة التجارية الكبرى بمصر ط أولى سنة ١٣٥٤ هـ جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) الديوان : ١٣٨/٣١ـ٣٤ .

(٣) الديوان ١٣٨/٣٦ـ٣٧ .

هم شر السباع فلا ذئاب مكلحة الوجوه ولا ضباع
هم ضرر اتاك بغير نفع عليك وربما نفع السهام (١)

وكما لمنا الزمخشري على بيتيه السابقين فاننا نقف ايضا امام هذه الأبيات موقف الاستهجان والاستغراب ، فأهل خوارزم الذين دافعوا عن ثغور الدولة الاسلامية وخرج من بينهم عشرات العلماء والأدباء ، لا يمكن أن يكونوا على هذه الصفات ، انما هي نفثة مصدور ، من انسان وجد حقه مضاعا ، وعلى كل فقد كان في هجائه متحاملا مقذعا فيه ، وان دل هذا على شيء فهو يدل على نفس الزمخشري الحاقدة على أبناء وطنه الذين لم يقدروه حق قدره ، وهو في هذه الأبيات يعود بنا الى حياته الاولى والى طموحه ، وهذا يدل على أن جواره الاول في مكة لم يصقل نفسه ويخلصها من كل اطماعها ، لذلك نجده ينزعج من اقامته في خوارزم ويكرر العودة الى مكة مرة ثانية .

---

(١) الديوان : ١٣٨/٣٨ـ٣٩ .

الفصـل الثالث

الخصائص الفنية لشعر الزمخشرى

- المبحث الاول : بنـاء القيـدة .
- المبحث الثانى : المضمـون .
- المبحث الثالث : الاسلـوب .

===========

ـ ١٥٤ ـ

المبحث الاول

بنـــــاء القصيـــــدة

1 ـ المقدمـــــــــــــــــــة .
2 ـ مطلـــع القصيـــــــدة .
3 ـ حســـن التخلـــــص .
4 ـ حســـن المقطـــــع .
5 ـ وحدة البيت والتضمـــين .
6 ـ وحـــدة القصيـــــده .
7 ـ الاوزان .
8 ـ القافيـــــــــــــــــة .

٥٥

بعد أن فرغنا من الحديث عن موضوعات شعر الزمخشري في الفصل الثاني ، نفرد هذا الفصل للكلام على خصائص شعره الفنية ، والتي نعرف عن طريقها مدى اصالة شاعرنا ، وهذا يقتضي منا دراسة دقيقة لشعره الذي وجدناه في مخطوطات ديوانه أو في غيرها من المراجع ، دراسة تستوعب الشكل والمضمون معا ، وهذا يضطرنا الى دراسة قصائده من حيث المبنى والمعنى والاسلوب ، وبذلك نستطيع الحكم على شعره من خلال المعايشة الفعلية والتي تجعل حكمنا قريبا من الصواب .

المبحث الاول : بناء القصيدة

من المعروف ان القصيدة الجاهلية استقرت قبل الاسلام على نظام معين ، فاصبح لها تقاليدها التي تعارف عليها الشعراء ، ثم جاء من بعدهم النقاد فقرروها في مدوناتهم ، واول ما لاحظه النقاد ان القصيدة العربية عند شعراء الجاهلية مقسمة اقساما ، وان كل قسم منها يؤدي الى ما بعده ويكون مقدمة له ، " فان مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين عنها ... ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد ، وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل ، والف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب ، وضاربا فيه بسهم ، حلالا أو حرام ، فاذا

علم انه استوثق من الاصغاء اليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل فى شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعير ، فاذا علم انه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره فى المسير ، بدأ فى المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح، وفضله على الاشباه ، وصغر فى قدره الجزيل ". (١)

فمن كلام ابن قتيبه هذا والذى يرويه عن بعض أهل الادب ، نلاحظ ان نظام القصيدة كان يبدأ بذكر الاطلال ، ثم النسيب وبعده الرحلة ثم يدخل الى الغرض .

وهذه الاقسام غالبا ما التزم بها الشعراء الاقدمون ، وألزم النقاد بها الشعراء المتأخرين ، على ان يعدلوا بينها ولا يخرجوا عليها : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدل بين هذه الاقسام ، فلم يجعل واحدا منها اغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد ". (٢)

ويستشهدون على ذلك بقول نصر بن يسار والى خرسان لبنى امية ، عندما اتاه احد الرجاز ، مدحه بقصيدة تشبيهها مائة بيت ومديحها عشرة ابيات ، فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مديحى بتشبيهك ، فان اردت مديحى فاقتصد فى النسيب ، فأتاه فأنشده :

---

(١) الشعر والشعراء — ابن قتيبة — تحقيق احمد محمد شاكر — دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ، ج ١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

هل تعرف الدار لام الغمر   دع ذا وخبر مدحة فى نصر .

فقال نصر : "لا ذلك ، ولا هذا ، ولكن بين الامرين ". (١)

كما وانه ليس لمتأخر الشعراء ، ان يخرج على مذهب المتقدمين فى هذه الاقسام فيقف على منزل عامر ، او يبكى عند مشيد البنيان ، لان المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافى ، او يرحل على حمار او بغل ويصفهما ، لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير ، او يرد على المياه العذاب الجوارى ، لان المتقدمين وردوا على الدواجن الطوامى ، او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والاس والورد لان المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوة القرارة ". (٢)

هذا عن بناء القصيدة بشكل عام ، ولكنا نريد أن نتحدث عن كل جزء منها منفردا ، وما جرى عليه الشعراء وما قرره النقاد فى ذلك .

١ — المقدمة :

لم يقتصر شعراء الجاهلية على نوع واحد من المقدمات بل كانوا يستهلون قصائدهم اما بالمقدمة الطللية ، وهى الغالب ، أو المقدمة الغزلية ، او مقدمة وصف الظعن ، أو مقدمة الشباب والشيب ، او مقدمة وصف الطيف ، او مقدمة الفروسية . (٣)

وقد استمر هذا الوضع طيلة العصر الجاهلى وصدر الاسلام والعصر الاموى ، لان الحياة لم تختلف اختلافا واسعا عنها فى الجاهلية ،

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ، ص ٧٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول — حسين عطوان — دار المعارف بمصر ، ص ٢٥٦ .

الا مـا رأيناه مـن ابتداع الاخطل للمقدمة الخمرية وافتتاحه بعض قصائده بهـا .(١)

ولمـا جاء العصر العباسي واختلفت الحياة عن سابقتهـا فـي عاداتها ومثلها ونظام الاجتماع فيها ، وجدنا الشعراء العباسيين ينقسمون الى فريقين ، الفريق الاول يحافظ على التقاليد القديمة ، يدفعهم الى ذلك انكبابهم على التراث القديم وتمسك اللغويين بالنماذج الجاهليـة ، الا انهم حافظوا على الشكل الخارجي لهذه المقدمـات وجددوا فـي تفاصيلها وأجزائها ، والفـريق الثاني تأثر على هذه التقاليـد يدعو الى التخلص منها وعلى رأسهم ابو نواس ، فهـو تارة يدعو الى نبذ افتتـاح القصائد بوصف الدمن والرسوم ، ويسخر من اولئك الذين يتمسكـون بهذا التقليد ويحضهم على وصف الخمر ومجالسها ، على ما يتضح في قوله :

قل لمن يبكي على رسـم درس   واقفا ما ضر لو كان جلـس

اترك الربع وسلمى جانبـــا   واصطبح كرخية مثل القبـس (٢)

ثم يدعو الى ترك ذكر الاطلال فيقـــول :

اترك الاطلال لا تعبـأ بهـا   انها من كل بؤس دانيـة .(٣)

وأخـذ يدعو شعراء عصره الى التلاؤم مع بيئتهم كما تلاءم شعراء الجاهليه مع بيئتهم ، فكيف يصف الشعراء العباسيون الاطـلال ومشاهد الصحراء وهـم يعيدون عنها ، ويتركون ذكر صـور الحياة الـتي

---

(١) ديوان الاخطل - الطبعة الثانية - دار المشرق - ص ٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ .

(٢) مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الاول - حسين عطوان - دار المعارف بمصر ، ص ١٠٥ .

(٣) ديوان ابي نواس - تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي - طبع بيروت ص ٦١٩ .

تقع تحت سمعهم وبصرهم ، ويقول ان الانسان اذا قلد غيره لابد وان يقع في الخطأ :

صفة الطلول بلاغة القدم فأجعل صفاتك لابنة الكرم
فعلام تذهل عن مشعشعة وتهيم في طلل وفي رسم
تصف الطلول على السماع بها أذو العيان كأنت في الحلم
واذا وصفت الشيء متبعا لم تخل من زلل ومن وهم . (١)

اذا لابد في القصيدة العربية الكاملة من مقدمة تبدأ بها ، وهي مقدمة طللية في اكثر الاحيان ، فهل ابتدأت قصائد الزمخشري بالوقوف على الاطلال ؟ .

ان شعر الزمخشري الذي بين ايدينا يمكن ان نقسمه الى ثلاثة اقسام ، قصائد قدم لها بمقدمات طللية ، وقصائد بدأها بمقدمات أخرى مثل المقدمة الغزلية ، ومقدمة شكوى الهموم ، وقصائد ومقطوعات بدأها بدون مقدمات .

وبما ان المقدمة الطللية هي التي تستأثر بالاهتمام من بين كل المقدمات وينصرف اليها الذهن عندما يطلق لفظ المقدمة في مجال القصيدة العربية ، اذ انها اكثر المقدمات التزاما ودورانا ، فبها تفتتح القصائد في الاعم الاغلب ، تبدأ بذكرها والوقوف على تقاليدها ، ومن أهم هذه التقاليد تعيين مكان الاطلال ثم ذكر ما بقي من آثار المنازل وما انطمس من رسومها ، مع ذكر ما فعلته الرياح والامطار فيها ، وكيف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٥ .

كثبها الوحش ، مما يستدعي التصريح عليها والوقوف بساحاتها ، وذرف الدموع في ربعها لذكرى الاحباب ، وقد يكون الشاعر وحيدا في وقفته أو مع اصحابه ، وربما يصف الشاعر هذه الديار فحسب أو يصفها مع ظعن المحبوب التي غادرتها ، فهل التزم الزمخشري بكل هذا ؟ .

لقد قدم الزمخشري لكثير من قصائده بالمقدمة الطللية ، وخاصة مطولاته ، ومدائحه للرسول عليه الصلاة والسلام ومدائحه لابن وهاس شريف مكة ، ولكنه لم يلتزم بما التزم به شعراء الجاهلية ، بل سار على درب الشعراء العباسيين في الابقاء على الاطار الخارجي لهذه المقدمة مع التغيير في كثير من اجزائها ، وهذه شواهد من مقدماته الطللية ، فهذه مقدمة قصيدته العربية :

أيا عرصات الحي اين الاوانس ؟ — رحلن وحلتك الظباء الكوانس

أما مرة بالامس تهتز نضـــرة — مغانيك وهي اليوم قفر بسابس

بليت بشيء لم أزل مبتلى بـه — فرسمك منه مثل رسمي دارس

جفتك وكانت من مها الانس ربربهـا — تواشيء في برد الشباب مواشس

مها لفتات المسك في كل ملعب — بتجرير اذيال المراط كوانس

فعوضت من تلك الكوانس غيرهـا — كوانس ما قالت لهن ملابس

وما اركس القلب المعذب بعدمـا — سلا سلوة الا العذيب وراكس

محلان للحي الجميع كلاهمـا — محيق كما يمحو الصفيحة طامس

توالى بكاء فيهما وتنفسا — رواجس يخضلن الربى ورواس (١)

(١) الديوان : ٣/١ ـ ٩ .

فهو يتطرق فيها الى مساءلة الاطلال عن الاوانس اللواتي ارتحلن وأخلين المكان للظباء الكوانس ، ثم يقارن بين الديار عندما كانت عامرة بأصحابها بالامس ، وكيف اصبحت اليوم قفرا ، ويشبه حالتها في دروسها بحالته ، ثم يعود الى ذكر الاوانس وتجريرها الاذيال ، وكيف أن المذيب وراكس قد اعادوا له ذكرياته بعد ان تسلى عنها بعض الوقت ، وإن ذكر الديار في هذه المقدمة ولم يذكر اسم صاحبتها فهو في مقدماته الاخرى يصرح باسم صاحبة الاطلال على عادة شعراء الجاهلية من تعيين اسماء محبوباتهم اللواتي ترتبط هذه الاطلال بهن ، ولولاهن لما كان لهذه الاطلال الدائرة اى اثر في النفس ، والفرق ان الشاعر الجاهلي كان يصدر في ذلك عن صدق حس ، اما الزمخشري مقلد في ذلك ، لذا كانت العاطفة عند الجاهلي ظاهرة واضحة وعبراته متساقطة لهذه الذكرى ، اما العاطفة عند الزمخشري فناضبة لا تثير في النفس شجونها ولواعجها ، فهو يقول في مقدمة قصيدته له :

حييا ارسم المحل البالي ... وقفا في معارف الاطلال

وسلاها عن القطين عسى ان ... تجدا عندها جواب السؤال

اين سعدى ؟ واين اترابها الهيف الخصور الرواجح الاكفال

اللواتي اذا برزن هززن الـ ... ـبان ما بين اشمس ورمال

واذا ما اجلن اعين آجال ... رمين النفوس بالاجال .

فهو يطلب من صاحبيه أن يقفا في الاطلال البالية وان يسألاها عن سعدى وعن اترابها ، ثم يأخذ في وصف تلك الاتراب اللواتي غادرت هذه الاطلال .

وان كان ذكر اسماء الاماكن يصدر عن شعراء الجاهلية عن حس صادق كما قلنا ، لما كان لهذه الديار من اثر في نفوسهم اثناء وجود الاحباب بها ، اما صدورها من الزمخشري فهو بدافع التقليد ليس غير ، وليس ادل على هذا القول من مقدمته الطللية هذه :

تعالوا الى اطلال ميه نبكها ... وسيره غيلان بن عقبه نحكها

تعالوا اليها ربما تنشقون في ... ملاعبها ريا مساقط مسكها

فديرى من حكم الغراب بفرقته ... عيسى على شوك القتاد لوشكها . (١)

وفي مقدمة طلليه أخرى يأخذنا الزمخشري الى ديار العامريه ليقف مثل وقفه مجنون بني عامر :

بحزوى ديار العامريه فأتها ... وقف وقفه المجنون في عرصاتها

وحزوى الى ذخر الشؤون فقيره ... فأنعم بسقيا ءان تقل لك هاتها

مساحب اذيال الرياح وكم مشت ... بها ساحبات الذيل من خفراتها

تهادى بها وحش الفلا ولربما ... تهادت بها الحسناء بين لداتها . (٢)

فالزمخشري في مقدماته الطلليه هذه يذهب مذهب التقليد ، ولا يطلق شاعريته على سجيتها ءلانه لو فعل ذلك لما وردت الاطلال بخاطره ، لعدم وجود ذكريات له في هذه الاطلال ، ولنستمع اليه في هذه المقدمه التي تعبر عن دخيله نفسه اصدق تعبير ءفهو يقول :

---

(١) الديوان ١٨/١ — ٣ .
(٢) الديوان ٤٣/١ — ٤ .

لا يسكب الدمع فى ربع ولا دمنه ولا الوقوف على الاطلال من شجنه
ولا يرقص فودى رأسه طربا سجع الحمام اذا ما ناح فى فننه
ولا يبكى على آثار مرتحل من الاحبه قتل النفس فى طعنه
وليس يفتنه ذو ناظر حسن كأنه رشاء قد هب من وسنه
ظبى يميس فتحكى البان قامته لدنا أمال نسيم الريح من غصنه
وانما الادب الموروث فتنته ومدح اروع حسب الفضل من فتنه • (١)

فهو يخبرنا انه لا يسكب الدمع عند الاطلال ، بل لا يقف بهذه الاطلال البته ، كما وان سجع الحمام لا يطربه ، ولا يبكى خلف ظعن الاحبه عند ارتحالها ، كما وان الفتاه صاحبه النظر والتى تشبه الغزال الذى هب من نومه وتميس بقدها فتحكى قامتها غصن البان عندما تحركه النسيم ، فلا تثير هذه الاشياء فى نفسه شيئا ، انما الذى يفتنه هو حب الادب •

ونعود الان الى انواع المقدمات الاخرى عند الزمخشرى فنتحدث عن ثلاث منها ، وهى المقدمه الغزاليه ، والمقدمه الخمريه ، والمقدمه الحكميه ••

اما المقدمه الغزاليه فكانت فى العصر الجاهلى تأتى بعد المقدمه الطلليه ، فاذا ابتدأت بها القصيده دون المقدمه الطلليه فعلى غير العاده ، ومع ذلك تعتبر فيما بعد مقدمه تجوزا ، واما اذا اتت وحدها لا قبلها ولا بعدها فلا تعتبر مقدمه انما هى ابيات فى الغزل •

---

(١) الديوان ١/١٠١ — ٦ •

اما بالنسبة لمقدمة الزمخشري الغزلية فقد جاءت على لونين ، اللون الاول تابعة للمقدمة الطللية كما لاحظنا عند حديثنا عن المقدمة الطللية ، فهو يبدأ بذكر الاطلال جاعلا ذلك سببا لذكر الحبيبة . اما اللون الثاني فقد كان شاعرنا يبدأ في الغزل ثم ينتقل الى الغرض الذي يريده ، وغالبا ما يكون المدح ، وهذه امثلة من هذا اللون .

يقدم الزمخشري لقصيدته التي يهنئ فيها احد الوزراء بمولود ذكر ، وقد كانت ام هذا الطفل تركية ، فيقول :

ألا قل لسعدى مالنا فيك من وطر ... وما تطبينا النجل من اعين البقر
فان العيون الضيقات وأهلها ... بهم علقت منا الضمائر والفكر
اذا نظروا لم يبد الا احورارها ... وان ضحكوا ضموا الجفوف على الحور
بنفسي قوى لحظة وهو فاتر ... كذا اللحظ اقوى ما يكون اذا فتر
تضايقت العينان منه وانه ... يوسع في القلب الجراح اذا نظر
ويقتل بالجفن الضعيف ولم أزل ... أعوذ بربي من ضعيف اذا قدر
تقاصر ساقاه ولكن متنه ... طويل فما في القدر طول ولا قصر (١)

وبعد عدة ابيات اخرى من الاوصاف الحسية التي صدد بها هذه الفتاه ينتقل الى مغازلتها :

ولم انس اذ غازلته قرب روضة ... الى جنب حوض فيه للماء منحدر
وقلت له : جئني بورد وانما ... أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال : انتظرني رجع طرف اجئ به ... فقلت له : هيهات ! مالي منتظر
فقال : فلا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له : اني قنعت بما حضر

---

(١) الديوان ١/٣٣ — ٧ .

ايا جبذا تقبيل فيه وشفة — وبرد ثناياه اذا برد السحر
ويا حبذا وقت اراني معانقا — لقد كخوط الخيزران اذا خطر
ويا حبذا باب الوزير فانه — هو الوزر الحامى والا فلاوزر (١)

فهو بعد ان ينتهى من مغازلة حبيبته ومعانقتها ، يدخل الى الغرض من القصيدة كما لاحظنا .

وفى قصيدة اخرى يمدح فيها مؤيد الملك يبدأ بقوله :

له مهند لحظها يجرده — الا هوى عن يد الغازى مهنده
راى منيته فى سيف مقلته — فما درى كيف خلت سيفه يده
وما تكلف صب عنده جلدا — الا انثنى ضائعا عنه تجلده
ظبى من الانس خدل الساق فى هيف — فى العين والجيد ظبى الوحش يحسده
يمينه عينه الكحلاء هارئة — وجيده ساخر منه مقلده
تضايقت عينه لكن جراحتها — نجلاء فى قلبى الذاكى توقده (٢)

وهى تقع فى عشرة أبيات ، انتقل بعدها الى غرضه وهو مدح مؤيد الملك .

اما المقدمة الخمرية فهى شبه معدومة بالنسبة لقصائد الزمخشرى ، فرجل يقسم انه لم يذق الخمر وكذلك لم يذقها احد من افراد اسرته كما ذكرنا عند التحدث عن اسرته ، فهل نتوقع منه أن يستخدمها فى مقدمات قصائده فاذا كان الزمخشرى صادقا مع نفسه لا نجد للخمر ذكرا فى شعره ، وأما

---

(١) الديوان نفس القصيدة .
(٢) الديوان ١/١١٤ — ٦ .

اذا كان مقلدا لغيره فسوف تجد الكثير من وصف الخمر بين سطور هـذا الديوان ، والحقيقة انني لم اجـد له في الخمر الا ابياتا بسيطة وذلـك عند تشبيهه رضاب الحبيبة بهـا ، ومقدمة قصيدته التي يمدح بها ابـن اسحاق ، فيقـول :

كرر على كؤوس الراح ياساقـــي حتى ترى الميل في عطفي وفي ساقي
ثم فارقني ان صل الهم يلسعنـي والرقية الراح ،والراقي هو الساقـي
قالوا : المدامـة ترياق لشاربهـا فهات يا أملح الساقين ترياقـي
مالي ابقي من اللذات باقيـة وان شرخ شبابي ليس بالباقـي
هات التي شبهت ظلما بشمس ضحى لو عارضتها لغطتها باشـراق
نارية النعت الا انها عدلـت نار الخليل فلم تهمم باحـراق (١)

ولكنـه مع ذلك يختتم هذه المقدمة بالاستغفار عن النسيب في الخمـر فيقـول :

استغفر الله اني قد نسبت بهـا ولم اكن لحمياهـا بـذواق (٢)
ولم يذقها ابي كلا ولا أحـد عن اسرتي واتفاق الناس مصداقي

ولكنـه يرى ان مدحـه لابن اسحاق كفارة لهذا الاثم الذي وقع فيه بسبب نسيبه في الخمـر :

وفي نسيبي بها اثم تمحصـه كفارة وهي مدحي لابن اسحاق

وشاعر رأيه في وصف الخمر انه اثم ، لا نتوقع أن نجد عـنـده المزيـد من ذكرها وهكذا كـان .

---

(١) الديوان ١/١٠٤ ـ ٦ .
(٢) الديوان/ نفس القصيدة .

ونوع آخر من مقدمات ، وهى المقدمة الحكمية ، وقد وردت بكثرة فى مطالع قصائد الرثاء ، وهى عبارة عن مواعظ ونصائح يوجهها ، تدور حول الموت وتساوى الناس امامه ، وان لا عاصم منه ، وعن الحياة الاخره وان على الانسان ان يعمل لها خير من عمله للدنيا ، لان الدنيا فانيه والاخره باقيه ، فهو يقول فى مطلع مرثيته لفريد المصر :

ايا طالب الدنيا ويا تارك الاخرى ستعلم بعد الموت ايهما احرى

ألم يقرعوا بالحق سمعك قل بلى وذكرت بالايات لو تنفع الذكرى

اما وقر الطيفى الذى فيك واعظه كأنك فى اذنيك وقر ولا وقرا

ولابد للانسان من سكرة الردى ومن ساعة لا صحو فيها ولا سكرى

فذو اللب من لم يطعم النوم جفنه ولم يغتمض خوف التلقى بلا بشرى

وأيقن ان الموت فى كل ساعة طلائعه تسرى فقد أخذ الحذرا

وما الذى يغنى عن المرء عزة ولو ملك الدنيا اذا دخل القبرا

ايا عامر القصر المشيد رافعا علاليه قل لى من يعمر العمرا (١)

وقد بلغت هذه القصيدة خمسة عشر بيتا ، انتقل بعدها الى غرضه وهو رثاء فريد العصر .

ويقدم لمرثيته فى خاله بمقدمة بلغت عشرة ابيات ، يتحدث فيها عن الدهر واخذه للناس ، وعن مرور الليالى وفى مرها مرور الاعمار ، ويشبه الناس بالظعن التى يحدوها الحادى ، ويشبه الموت بالمورد وكل الناس امامه سواسية ، ثم يسخر من الفال والزجر والتنجيم ، ثم يطلب من الناس التقوى والعمل للاخرة :

---

(١) الديوان ١/٤٠ — ٨ .

الدهر انكد لا يبقى على حـال ... ما زال يلحق ادبارا باقبـال
ايامه ولياليه موكلـة ... بالناس فى قطع آجال وآمـال
يمر مر الليالى من تمر بـه ... وفى مرور الليالى مر آجـال
الناس فى هذه الدنيا كأنهـم ... ظعن بواكر تحدى وهى كـالال
وللردى مشرع ورادة شـرع ... لافضل فيه على ذئب لرئبـال
فى الغيب ما يوجع الاوهام ناكبه ... والمرء مختدع بالزجر والفـال
يخال بالفال باب الغيب منفتحـا ... والغيب مستوثق منه باقفـال
صنعوا سرابيل اعجبتم بلبستهـا ... ان التقى لو علمت خير سربـال
اماكم ابعد الاسفار فاحتقبـوا ... زادا ولا زاد الاحسن اعمـال (١)

وهـو يكرر المعانى السابقة فى مقدماته الاخرى ، فيقـول :

قضاء ربك حد غير مسبـوق ... باب يساق اليه كـل مخلـوق
سيان مرموق المحـل بذا ... جاه بابصار كل الخلق مرمـوق
ورب تاج وديباج يجـرره ... كذى كساء رقيع الجيب مفتـوق
حجب الملوك يد المقدار تخرقها ... كم من حجاب بكف الدهر مخروق
ولا ترد الردى بيض السيوف ولا ... سمر الرماح ولا زرق المزاريـق
ولا قلاع منيفات محصنـة ... بذادة ورماة بالمجانيـق (٢)

ويقـول فى مقدمة مرثيته لسراج الدولـة :

ذو التاج يجمع عدة وعديـدا ... والموت يبطش بالالوف وحيـدا
يسطو على الملك العظيم الشان لا ... يخشى جنودا حوله وبنـودا
فاعقد على التقوى فؤادك واطـوه ... لا تنشرن لواءك المعقـود
واطلب من الله السعادة فى التقى ... ترجو وخل الكوكب المسعـودا

---

(١) الديوان ١٢٥/١ ـ ٩ .
(٢) الديوان ١٢٩/١ ـ ٦ .

ان الكواكب فوق عجزك عجزهـــا فمن اين تمنح غيرهن جـــدودا
اعلمت ان قضاء ربك غالـــب يمضى وليس بحيلـــة مـــردودا (١)

وانطلاقا مما تقدم نرى ان الزمخشرى كان يفتتح بعض قصائده بمقدمات منها الطللية ، وغالبا ما تكون قصيرة ، لا يكاد يبدأ بها حتى ينتقل الى المقدمة الغزلية ، او غرضه الاصلى ، وغالبا ما يكون المدح . امـا المقدمة الغزلية فقد جاءت على نوعين كما رأينا ، تابعة للمقدمـة الطللية على حسب نهج القصيدة العربية ، او مقدمة قائمة بذاتهـا ، واما المقدمة الخمرية ، فلم تعثر الا على مقدمة واحدة له ، واما المقدمة الحكمية ، فقد افتتح بها مراثيه ، لان الموقف يتطلب ذلك ، وقد جاءت معظم معانيها مكررة — كما رأينا — على شكل مواعظ ونصائح عن الموت والحياة وموقف الانسان منهما .

ومع هذا فقد خرج الزمخشرى على نظام القصيدة العربية بمقدمتها الطللية وغيرها من مقدمات ، فقد كان يبدأ قصائده او مقطوعاته بالدخول فى الغرض مباشرة دون مقدمه ، وهذه بعض الامثلة من شعره على ذلك .

يبدأ قصيدته فى مدح رضى الملوك بقولــه :

(٢)
رضى الملوك المجد يشهد ان فى مماليك اسرارا بها المجد جاهل

ويبدأ احدى مدائحه لعبدالله بقولـــه :

(٣)
محلك عبدالله ليس ينــال ابى ذاك عز شامخ وجـلال

ويبدأ كذلك مدحته فى سراج الدين فيقول :

---

(١) الديوان ١/١٨٨ — ٦ . (٢) الديوان ١/٢١ .
(٣) الديوان ١/٣٢ .

تمتع سراج الدين بالشرف الذى   أجل بنى الدنيا يود اكلــــه (١)

وغيرها كثـــير .

وهـــذا يجعلنا نجزم بأن شاعرنا كان يقف بين تيارين او دافعـين يتنازعانه ، الاول جبه فى ان يكون شعره علـى طريقة سابقته ، فجـاء بالمقدمة الطللية وغيرها ، دون ان يكون لــه ارتباط بالديار وساكنيهــا ، والثانى جبــه للتحرر والانطلاق على سجيته وخاصة وان اغلب الذين يمدحهم ليســوا بعرب ، فلا مانع من ان ينطلق عن قيـد القصيدة العربية ويبدأ بالغرض مباشرة ، وهكذا عمـــل .

٢ ـــ مطلـــع القصيـــــدة :

لقـد اهتم نقاد العرب بمطلع القصيدة ، وطالبوا الشعـــراء بأن يبذلوا غاية جهدهم فى اتقانه ، لانه اول ما يقع فى نفس السامــع ، فيدفعه الى الاصغاء ان كان جيـدا والى الانصراف ان كان فاترا أو مما يتطير منه ، فابن طباطبا العلوى يقـول : " ينبغى للشاعر ان يحــترز فى اشعاره ومفتتح اقواله ، ممــا يتطير منه او يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف الخطوب الحادثه ، فان الكلام اذا كان مؤسسا علــى هذا المثل تطير منه سامعه ، وان كان يعلم ان الشاعر انما يخاطـــب نفسه دون الممدوح ، فيتجنب مثل ابتداء الاعشى بقوله : " ما بكـــاء الكبير بالاطـــلال " .

---

(١) الديـــوان ١/٥٤ .

ومثل قول ذى الرمة : " ما بال عينك منها الماء ينسكب "(١).

ومن شروط جودة المطلع ان يتناسب شطرا البيت تناسبا تاما ، فيقول ابن حجة الحموى : وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب تسميه بحيث لا يكون شطره الاول اجنبيا من شطره الثانى "(٢). وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء ، وأورد فى هذا الباب قول النابغة :

كليني لهم يا اميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب (٣)

ومعنى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه ، مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح ، بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ، ويستدل بها على قصده من عتب ، أو عذر ، أو فصل ، أو تهنئة ، أو مدح أو هجاء.(٤)

وبعد أن عرفنا المقصود بمطلع القصيدة او ما سماه النقاد بحسن الابتداء او براعة الاستهلال ، وما يجوز فيهما وما لا يجوز ، علينا أن نعرف مطالع شاعرنا وفى اى موضع تقع ، والى اى حد طبق هذه الاراء.

لقد كان شاعرنا حريصا الحرص كله على مطالع قصائده ، لكى تكون طيبة الوقع فى الاسماع ، بعيدة عن التجافى والتنافر فى قسميها ، مشعرة بالغرض من القصيدة ، ولنر امثلة من مطالعه ومدى اجادته فيها ،

---

(١) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء — تأليف ابى عبيد الله المرزبانى — المطبعة السلفية بمصر — ١٣٤٣ﻫ ، ص ٢٣٧.
(٢) خزانة الادب وغاية الارب — ابن حجة الحموى — المطبعة المصريه ببولاق ، ص ٣.
(٣) المرجع السابق ، ص ٣.
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠.

فهـو يفتتح مرثيته لفريد العصر بقولـــه :

آيا طالب الدنيا ويا تارك الاخرى ستعلم بعد الموت ايهما احرى (١)

فهو يبدأ البيت بالنداء ، ويوجهه الى المنصرفين فى طلب ملذات الدنيا غافلين عن العمل للاخرة ، ثم ينهبهم ان الموت سوف يدركهم ، وسوف يعلمون عندها ان العمل للاخرة أجدر من العمل لمتاع الدنيا الزائل ، ومع هذا فالبيت مشعر بأن القصيدة سوف تكون فى الرثـــاء .

وكذلك يفتتح قصيدته فى رثاء سراج الدولة بقولـــه :

ذو التاج يجمع عدة وعديـــدا والموت يحطش بالالوف وحيدا . (٢)

فهـو ينبه السامعين الى ان الملك يجمع العدد والعدة لملاقاة اعدائه ولدفع الشر عن نفسه ، ولكن ليس ذلك بنافعه ، فالموت يستطيع ان يحطش بألوف الناس وحيدا ، فما دام ان الملك بعدته وجنوده لا يستطيع ان يقف فى طريقه ، فما احرانا نحن ان نتنبه له وان نستعد لهذا اليوم لانه لابد وان يدركنا ، فهو ينبههم الى نهايتهم المحتومة ، حتى لا ينفروا وينخدعوا بهذه الدنيا الفانيه ، وما احسن هذا التنبيه فى هذا الموقف ، بالاضافة الى انه مشعر بأن القصيدة فى الرثـــاء .

ويفتتح احد مراثيه بقولـــه :

يا كوكبا فى سماء المجد قد غارا ويا هلالا مضى لم يلق ابدارا . (٣)

---

(١) الديوان ١/٤٠ .
(٢) الديوان ١/١٨٨ .
(٣) الديوان ١/١٢٨ .

فبالاضافة الى تساوى شطرى البيت فى الجودة ، يدرك السامع أن هذه القصيدة فى رثاء طفل ، وبالفعل كانت قصيدته هذه فى رثاء طفل لعبيد الله بن نظام الملك .

ويبدأ احدى مقطوعاته بقوله :

فؤادى من الشوق المبرح ريان الى حرم الله المعظم ظمآن (١)

فهذا المطلع يدل على مدى شوق الشاعر الى مكة ، والى الكعبة المشرقة .

ويفتتح احدى مدائحه لابن وهاس بقوله :

معاليك والسبع الطباق سواء معالى الورى أرض وسلك سماء (٢)

ويبدأ مدحته للرسول عليه الصلاة والسلام ، والتى يعارض بها قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) ، بقوله :

اضاء لى باللوى والقلب متبول نجدى برق بنار الحب موصول (٣)

والزمخشرى يسير على هذا المنوال فى معظم قصائده ، وعلى المستزيد ان ينظر فى الملحق الثالث من ديوان الزمخشرى .

٣ ـ حسن التخلص :

وهو الانتقال من جزء فى القصيدة الى جزء آخر ، وذلك بأن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسب مثلا الى المدح او غيره ، ويقول عنه ابن حجة الحموى فى خزانة الادب : حسن التخلص : هو

---

(١) الديوان ١/٦ .
(٢) الديوان ١/٤٧ .
(٣) الديوان ١/٩٩ .

ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع فى الثانى لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما افرغا فى قالب واحد ولا يشترط ان يتعين المتخلص منه بل يجرى ذلك فى اى معنى كان ، فان الشاعر قد يتخلص من نسيب او غزل او فخر او وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال او معنى من المعانى يؤدى الى مدح او هجو او وصف فى حرب او غير ذلك ، ولكن الاحسن ان يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح ، وهذا النوع اعنى حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم ، فانهم اوردوا لزهير فى هذا الباب قوله :

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الكريم — على علاته — هرم

انظر الى هذا العربى القديم كيف احسن التخلص من غير اعتناء فى بيت واحد ، وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به.(١)

ولقد كان العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين يتخلصون بقولهم (دع ذا) او (عد عن ذا) ، اما الزمخشرى فقد اعتنى بما اعتنى به المتأخرون وجاء بما اعتبروه الغاية القصوى فى التخلص ، فقد احسن فى تخلصه من غرض الى غرض ، وكثيرا ما كان يأتى تخلصه فى بيت واحد على غرار بيت زهير ، فيكون شطره الاول فى النسيب

---

(١) خزانة الادب — ابن حجة الحموى — ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

مثلا وشطره الثانى فى المديح ، وما يشاكل ذلك ، ومما انه لا يمكن تقصى هذا النوع فى جميع شعر الزمخشرى لكثرته ، فاننا نكتفى بضرب هذه الامثلة :

يقول فى قصيدة يمدح فيها نظام الملك :ـ

ومن اجله يطفى النهار سراجه | غنى بالذى يجلوه حط لثامه
يزين شعرى نظم اوصاف حسنه | كما زين الاسلام عدل نظامه (١)

فالبيت الاول تابع لما قبله من النسيب ، والهاء من أجله تعود على الحبيبة فى الابيات السابقة ، ثم اتبع ذلك الشطر الاول من البيت الثانى والذى يتبع ما قبله أيضا وجر لما بعده ، ثم جاء بالشطر الثانى فى المديح مباشرة ، دون ان يشعر السامع بانه انتقل من غرض الى غرض .

ومثال هذا ايضا قوله فى قصيدة يمدح بها عبيد الله :

الفضل من حساد تمييله | والورد من اعداد توريده
ليس له فى الحسن مثلا ولا | مثل عبيد الله فى جوده (٢)

فبينما هو آخذ فى ذكر محاسن حبيبه جاء بالبيت الثانى ، شطره الاول فى النسيب وشطره الثانى فى المديح ، وانتقل الى غرضه بكل سهولة ويسر .

---

(١) الديوان ١٧/١٢ ، ١٣ .
(٢) الديوان ٢٥٢/١٣ ، ١٤ .

ومثال آخر على هذا يظهر فى مدحته لمؤيد الملك ، فيقول :

اذا تمدد فوق المتن فاحمه   رد الفراء الى قصر تمدده
وليس لى غير طول الصبر مستند   كالملك ليس له الا مؤيده
مؤيد الملك صدر ما جرى قدر   الا بان يعمر السادات سؤدده (١)

هذه الامثلة من حسن تخلصه من النسيب الى المديح ، اما حسن تخلصه من الحكمة الى الرثاء ، فهذه امثلة عليه .

يقول الزمخشرى فى قصيدته التى يرثى بها استاذه فريد العصر :

وكم رب قصر بات يؤنس اهله   وفى غده قد اوحش الاهل والقصرا
ومازال موت المرء يخرب داره   وموت فريد العصر قد خرب العصرا (٢)

فالبيت الثانى شطره الاول تابع لما قبله ، الا ان الزمخشرى اعتبره كجسر يعبر عليه الى غرضه وهو الرثاء ، وقد احسن فى ذلك ، فجاء انتقاله جيدا ، حيث ان السامع لا يشعر بأنه انتقل من جزء الى جزء لحسن الانتقال وبراعة الزمخشرى فيه .

وهذا مثل آخر من تخلصه من الشكوى الى المديح :

يقول فى قصيدة يمدح بها مجير الدولة :

واصبحت كالمقصوص ريش جناحه   انوء بركن كلما قمت جانح
فعند مجير الدولة المستجار لى   مداواة ادوائى وأسو جرائح (٣)

فبينما هو آخذ فى وصف حالته ، وانه اصبح مثل الطير الذى قصت جناحه ، فلا يستطيع النهوض ، ولكن له ملجأ ومستجار عند مجير

---

(١) الديوان ١١٤/١٠ - ١٢ .
(٢) الديوان ٤٠/١٥ ، ١٦ .
(٣) الديوان ٢٠/١٠ ، ١١ .

الدولة ، فهو الذى سوف يداويه ويأسو جراحه ، فهو يستغل اسم مجير الدولة فيجعل من نفسه فى حاجة الى الاجارة حتى يدخل الى مدح مجير الدولة دون أن يشعر السامع أن الزمخشرى انتقل من غرض الى آخر ، ولقد اختلف تخلصه هذا عن سابقته ، لانه جاء فى بيتين.

وهذه الامثلة التى ضربناها قليل من كثير.

٤ ــ حسن المقطع :

والمراد به حسن الخاتمة ، وقد اهتم به الشعراء والنقاد عناية كبرى لانه آخر ما يبقى فى الاسماع ، وربما حفظ من بين سائر الكلام لقرب العهد به ، وأن يكون مؤذنا بالانتهاء بحيث لا يبقى تشوقا لسماع شئ بعده . ويقول ابن حجة الحموى : " وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر أن يجعلاه خاتمة لكلامهما مع انهما لابد أن يحسنا فيه غاية الاحسان ، فانه آخر ما يبقى فى الاسماع ، وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره ". (١)

ويقول ابو هلال العسكرى : وكلما رأينا بليغا الا وهو يقطع كلامه على معنى بديع ، او لفظ حسن رشيق . (٢) وفى موضع آخر يقول : " ينبغى ان يكون آخر بيت فى قصيدتك اجود بيت فيها ، وأدخل فى المعنى الذى قصدت له فى نظمها ، كما فعل ابن الزبعرى فى آخر

---

(١) خزانة الادب ــ ابن حجة الحموى ــ ص ٥٦٢ .
(٢) كتاب الصناعتين ــ العسكرى ــ ص ٤٦٣ .

قصيدة يعتذر فيها الى النبى صلى الله عليه وسلم ويستعطفه :

فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت   واقبل تضرع مستضيف تائب

فجعل نفسه مستضيفا ، ومن حق المستضيف ان يضاف ، واذا أضيف فمن حقه ان يصان ، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف ، وجعل العفو عنه مع هذه الاحوال فضيلة ، فجمع فى هذا البيت جميع ما يحتاج اليه فى طلب العفو.(١)

ومن امثلة المقطع الحسن فى الشعر ، قول لقيط فى آخر قصيدة :(٢)

لقد محضت لكم ودى بلا دخل   فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا

لانه قطع قصيدته على حكمة عظيمة الموقع.

وبما ان الشعراء والنقاد قد اهتموا به ، فما موقف شاعرنا منه ؟

وهل أجاد فيه ، ام جانبه التوفيق ؟.

لقد اعتنى شاعرنا بمقاطع قصائده كما اعتنى بمطالعها ، وحسن الانتقال فيها من غرض الى غرض ، فمن امثلة المقطع الحسن عند الزمخشرى ، قوله فى آخر قصيدة يمدح بها الرسول عليه الصلاة والسلام :(٣)

ومن فى كتاب الله اكمل مدحه   فكل مديح ما خلا ذاك ناقص .

فما دام ان الله سبحانه وتعالى قد اكمل مدح رسوله فى كتابه العزيز بقوله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم)(٤) ، فمهما مدحه البشر فلن يوفوه حقه ، وقد ختم الزمخشرى قصيدته بهذا المعنى الرائع ،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦٤ والدخل : الفساد
(٣) الديوان ٢/٦٠ .
(٤) سورة القلم آية ٤ .

واعتقد جازما بأن كل من يسمع هذا البيت يعلم بأن القصيدة قد انتهت ، ولن يطلب السامع مزيدا من القـــول .

وفـى قصيدته التى يهنئ مؤيد الملك بالوزارة ، يختتمها بقولـــه :

(١)

دعاك ربك واسترعاك امتــــه فأنت احوط مسترعى وممتلـــك .

فبعـــد ان جعله بمرتبة الانبياء حـــتى ان الله دعـاه لكى يسترعيه الامـه ، وان الممدوح هـــو خير من يقوم بهذا العمل ، لم يتعب هـــذا القول قـــولا لقائـــل .

وفـى مدح مجير الدولة يختتم قصيدته بقولـــه :

(٢)

وخـير لباس شرف المرء لبســـه لباس ثناء طيب الذكر صالـــح .

فبعـــد ان جاء بخير لباس ، وألبسه للممدوح ، وهو لباس الذكــــر الطيب ، فلـــن يستطيع ان يأتى بشئ بعـــد هذا .

واما فى مرثيته لنجاح فيقطعها بقولـــه :

(٣)

ومـا حى على الحدثان بـــاق وكل حمى منيع مســتباح .

ختمها بهذه الحكمة التى يدركها كل صاحب عقـــل .

ويقطع احدى مراثيه بحكمة رائعة لانها موافقة للواقع ، فيقـــول :

(٤)

والمرء بين شريحى فرحة واســـى وواقف بين ارزاء واعواســـى .

من كل ما سبق نرى ان الزمخشرى قـــد أجاد فى اختيار مقاطـــع قصائده وهذه الامثلة بعض ما عنـــده .

---

(١) الديوان ١١٥/٦ .
(٢) الديوان ٤٧/٢٠ .
(٣) الديوان ١٤/١٤٦ .
(٤) الديوان ١٤/١٢٧ .

٥ ـ وحدة البيت والتضمين :

ان معظم نقاد العرب يتفقون على استقلال البيت الواحد بمعناه ، وهم فى هذا يستجيبون للطبيعة العربية التى تؤثر الايجاز ، وترى أن البيت الواحد ايسر على الالسنة ، وتفضل لذلك ان يكون البيت الذى يدور على السنتها تام المعنى غير محتاج الى سواه ، وفى هذا يكمن سر اعجابهم بالحكمة الرضية والمثل السائر كل الاعجاب . وعد النقاد من العيوب فى الشعر أن يحتاج البيت الى غيره ليتم معناه ، وسمى المرزبانى ـ صاحب الموشح ـ البيت المحتاج فى اكمال معناه الى غيره مبتورا ، فهو يقول : " ومن عيوب الشعر (المبتور) وهو ان يطول المعنى عن ان يحتمل العروض تمامه فى بيت واحد فيقطعه بالقافية ، ويتمه فى البيت الثانى ، مثال ذلك قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان على امرى ومن لك بالتدبر فى الامور

فهذا البيت ليس قائما بنفسه فى المعنى ولكنه اتى فى البيت الثانى بتمامه فقال :

اذا لملكت عصمة أم وهب على ما كان من حسك الصدور (١)

وفى موضع آخر يميز صاحب الموشح بين البيت المتعلق بقافية سابقة ويسميه التضمين ، اما اذا كان التعلق مما يقتضيه المعنى مع صحة الوقوف على البيت الاول ، فيسميه بالاقتضاء ، فهو يقول : " حدثنى على بن هارون قال : التضمين احد عيوب القوافى الخمسة وليس يكون فيه اقبح من قول النابغة الذبيانى :

---

(١) الموشح ـ المرزبانى ـ ص ٨٦ .

وهم وردوا الجفار على تميم وهم اصحاب يوم عكاظ انى
شهدت لهم مواطن صالحات اتينهم بحسن الود منى

أما قول امرىء القيس :

وتعرف فيه من ابيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فليس ذا بمعيب عندهم وان كان مضمنا لان التضمين لم يحلل قافية البيت الاول مثل قوله (انى شهدت لهم) ، وقد يجوز ان يوقف على البيت الاول من بيتى امرىء القيس ، وهذا يسمى عند نقاد الشعر الاقتضاء ، ان يكون فى الاول اقتضاء للثانى ، وفى الثانى افتقار الى الاول ". (١)

اما صاحب العمدة فيقول : " والتضمين : ان تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة : وهم وردوا ... (٢) اى انه اعتبر التضمين شامل لكل الانواع .

اما القاضى ابو يعلى فقد عرف التضمين بقوله : " هو تمام وزن البيت قبل تمام معناه " (٣) ، واطلق على بيتى النابغة الاغرام ، وجعل التضمين مثل قول الشاعر :

اما وى ان يصبح صداى بقفرة من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى ان ما املت لم يك ضرنى وان يدى مما علقت به صفر . (٤)

---

(١) الموشح ـ المرزبانى ـ ص ٤١ .
(٢) العمدة ـ ابن رشيق ـ ج ١ ص ١٧١ .
(٣) كتاب القوافى ـ ابو يعلى ـ ص ١٦٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

بغض النظر عن الخلافات السابقة فى التسمية فقد اشتهر اسم تعلق البيت الاول بالثانى ، بالتضمين ، ولكن الذى علينا أن نعرفه ، انه اذا كان التعلق للقافية فهو العيب ، وهو ما اطلق عليه البلاغيون التضمين ، واعتبروه من عيوب القافية ، وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثانى بعيدة من القافية كان اسهل عيبا من التضمين •

اما شاعرنا فالبيت الشعرى عنده مستقل بمعناه بشكل عام ، لذلك كثرت الحكم فى شعره ، ومع ذلك فقد كثر الاقتضاء فى شعره أيضا كثرة ملحوظة ، وما ان الشواهد على وحدة البيت فى شعره عديدة وهى الاكثر بالنسبة للشواهد المتعلقة بالاقتضاء والتى تعد خروجا على القاعدة وشذوذا عن الاصل •

ومن الجدير بالذكر ان التضمين الوارد فى شعر الزمخشرى انما هو من النوع المسمى بالاقتضاء ، اذ ليس التعلق للقافية ، انما هو لاتمام المعنى فى البيت الاول •

وهذه امثلة على ذلك :

يقول الزمخشرى فى قصيدة رقم (٥) :

وما العسل الماذى ممزوجة به مشعشعة صهباء من راح صرخدا

ألذ مساغا من سجاحة خلقه اذا ضج ذو الخلق الشيخ وعربدا • (١)

---

(١) الديوان ٥/٢٢ ، ٢٣ •

وفي قصيدة رقم (٧) يقـــول :

ولو كنت نظاراً بعين بصـــيرة تأمل ذات الحق كي يستبينهـا
اذا كنت مختاراً خشونة عيشـتي هناك ولم اختر خوارزم لينها (١)

وفي قصيدة رقم (١٣) يقـــول :

فلمـا قضت نفسي — ولله درها — لبانة دار زندها غير خيـاب
كررت الى بطحاء مكة راجعـــا كأني ابو شبلين كر الى الغـاب (٢)

وفي نفس القصيدة أيضا يقـــول :

اذا التصقت في آخر الليل لبـــتي بملتزم الابرار من ايمن البـاب
او التصقت بالمستجار او التقـت على الركن اجفاني بسح وتسكاب (٣)
فقل ملوك الارض يلهوا ويلعبـوا فذلك لهوى ما حييت وتلعابي .

واكثر التعلق كان عند الزمخشري في الشرط حيث ان فعل الشـرط يأتي في بيت وجوابه في بيت آخر ، لعدم اتساع الوزن لجملتي الشرط. وكما لاحظنا في الاراء السابقة ان معظم النقاد لا يعدونه عيبـا .

٦ — وحـدة القصيـــدة :

ان اهتمام الشعراء والنقاد بوحدة البيت لم يصرفهم عن العنايـــة بوحدة القصيدة ، ويعنون بوحدة القصيدة : تلاحم اجزائها وانسجـــام اقسامها ، فكأنها جسم واحد متناسق الاعضاء ، متحد التركيب ، وقـــد رأينا كيف حرص الشعراء المتأخرون على حسن التخلص من الغزل الـــى

(١) الديوان ٧/٩ ، ١٠ .
(٢) الديوان ١٣/٣ ، ٤ .
(٣) الديوان ١٣/٧ ، ٨ ، ٩ .

غيره من الاغراض ، ليظهروا ان علمهم متناسق وغير مقسم الى اشلاء متناثرة ، ويمكن أن تحقق القصيدة هذه السمة بأساليب منها وحدة الموضوع ، وتقارب اوصالها بحسن التخلص من فكرة الى فكرة ، وبناء الخواتيم على المقدمات بحيث يستدعى كل معنى مابعده ، فلا يبدو النشاز بين نقرها ولا يظهر التفكك فى فكرها .

ولقد حاول النقاد ان يقرروا هذه القواعد لتكون اساسا يبنى عليه الشاعر قصيده ، فيروى صاحب الموشح عن ابن طباطا العلوى قوله : " ينبغى للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق ابياته ويقف على حسن تجاورها او قبحه ، فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها " (١).

ويقول الجاحظ : " والقصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ، ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شئ الى شئ لم يكن لذلك عنده موضع " . (٢)

حتى أن التضمين والذى اعتبره الكثير من النقاد عيبا فى القصيدة العربية ، يعتبره ابن الاثير نوعا من التلاحم والترابط ، واستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم (٣) ، مع الفارق فى القياس ، وقد كفانا النقاد النقاش حول موضوع التضمين اهو عيب أم لا ؟ ، بان اجمعوا او كادوا على عيبه .

---

(١) الموشح — المرزبانى — ص ٢٣٧ .
(٢) البيان والتبيين — الجاحظ — تحقيق عبدالسلام هارون — ط ٣ ج١/ ٢٠٦ .
(٣) المثل السائر — ابن الاثير — ص ٢٩٤ .

مما تقدم نرى ان الشعراء والنقاد العرب تمسكوا بوحدة القصيدة ، ومع هذا فقد تعرضت وحدة القصيدة العربية الى هجمات كاسحة ، فكثيرا ما اتهمت القصيدة العربية بأنها مفتقدة الى هذه الوحدة ، والحقيقة ان هذه تهمة تحتاج الى دليل ودعوى تفتقر الى برهان ، ذلك لان الشعر العربي القديم اكثره ذاتي ينطق بلسان صاحبه ويعبر عن خلجات نفسه ونوازعها ، فمعظم الشعر العربي القديم غنائي ، والقليل منه موضوعي . والقصيدة العربية وان كانت في كثير من الاحيان تتكون من اغراض عدة كالغزل والمدح والحكمة والوصف ، فليس ذلك بموجب ان تتفكك الوحدة او تصبح القصيدة اخلاطا ، فقد جعل مقصد القصيد كل غرض من هذه الاغراض مقدمة لما بعده ، كما هو معنا في رأي ابن قتيبة في بناء القصيدة العربية ، فالشاعر كان يتصور عمله وحدة متصلة الاجزاء يسلم الواحد منها الى صاحبه .

ولعل من اقوى النصوص التي وردت عن نقاد العرب في وحدة القصيدة هو ما رواه ابن رشيق اذ يقول : " ان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد من الاخر ، وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله . ووجدت حذاق الشعراء وارباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراسا يحميهم من شوائب النقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان " .(١)

---

(١) اسس النقد العربي — احمد احمد بدوي — ص ٣٢٦ .

وهـذا رد واضح على من ينكرون الوحدة فى القصيدة العربيـة ، فالقصيدة وان اختلفت اجزاؤها تكون وحدة مترابطة منسجمة كاملة الاتصال، مثلها فى ذلك مثل خلق الانسـان.

ولكـن علينا ان لا نطلب من شعرنا الغنائى او ننتظر منـه وحـدة مثل الوحدة التى نلاحظها فى الشعر العربى الحديث وخاصة الوضعـى منـه ، كمـا هو عند خليل مطران مثلا ، لان هذا الشعر الموضوعـى يعبر فيه الشاعر عن ذوات الاخرين بشكل قصصى تاريخى يسوق فيـه الوقائع الواحدة تلـو الاخرى ، انما نلتمس الوحدة فى شعرنا القديـم يربط معانيه كيفما تشعبت بشخصية الشاعر وذاته ، اذ هـو المحور الـذى تدور عليه هذه المعانـى.

وبالنسبة لشعر الزمخشرى ينطبق عليه ما ينطبق على الشعر العربى القـديم ، ومع ذلك فان اشعاره تتميز على هذا الشعـر بأنها أكثـر ذاتيـة واكثر وحدة فـى قصائدها ، وخاصة المقطوعات ، فالزمخشرى كـان شاعرا فرديا بالدرجة الاولى ، فهو لم يتكلم باسم قبيلة ولا باسم حـزب سياسـى.

والامثلة على ذلك من الكثرة بحيث لا تحصى ، فمعظم قصائده التى لا تبدأ بمقدمات ، والمقطوعات ، فى موضوع واحد ، يبـدأ الشاعر بـه وينتهى فيـه لا يحيـد عنـه. (١)

---

(١) انظر نماذج من ذلك / الديوان ١٠، ١٣، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٣٩، ٤٧.

بعد هذا الحديث عن وحدة البيت والقصيدة فى شعر الزمخشرى نأتى الى موضوع آخر لا يتعلق بهيكل القصيدة وأجزائها بقدر ما يتعلق بموسيقاها وانغامها ، واعنى وزنها وقافيتها .

٧ - الاوزان :

حصر الخليل بن احمد (١٠٠ - ١٧٥ هـ) اوزان الشعر التى نظم عليها العرب فى خمسة عشر بحرا ، واجهد تلميذه الاخفش (ت٢٢١) نفسه ان يجد غيرها فلم يظفر الا ببحر واحد سماه المتدارك ، لانه تدارك به على الخليل .

والملاحظ ان كل ما قيل من شعر جاهلى وحتى آخر العهد الاموى لا يخرج بحال عن هذه البحور الستة عشر ، ومع ان معظم الشعراء فى العصر العباسى وبعده ظلوا ينظمون عليها ، الا ان بعض المولدين قد نظموا على اوزان غيرها ، وقد جاء هذا الجديد على نوعين ، الاول : مأخوذ من البحور الجاهلية بالقلب او التحريف ، فالمستطيل مثلا مقلوب الطويل واجزاؤه (مفاعيلن فعولن) اربع مرات وما جاء بالتحريف مثلا المتوافر فهو محرف الرمل ، فقد ابدلت النون الساكنة فى فاعلاتن بكاف متحركة ، وحذف السبب من تفعيلتى الضرب والعروض فصارت فاعلاتن ، فاعلن ، واصبح وزن المتوافر (فاعلاتك ، فاعلاتك ، فاعلن) مرتين ، والثانى : ما جاء على اوزان غير اوزان البحور وهو فنون سبعة ، ثلاثة لا يجوز فيها اللحن مطلقا وهى الدوبيت ، والسلسلة ، والموشح ، وثلاثة ملحونة دائما وهى الزجل والكان كان والقوما ، وواحد

كالبرزخ بين هذه وتلك ، يكون معربا وملحونا ، على الا يجتمع الاعراب واللحن فى دور واحد وهو المواليـــا .(١)

ويقـدم لنا الزمخشرى رأيه فى الاوزان فى مقدمة كتابه (القسطـاس المستقيم فى علم العروض ، تحت عنوان : " بناء الشعر العربى على الوزن المخترع الخارج عن بحور شعر العرب " . بقوله : " لا يقدح كونه شعرا عند بعضهم ، وبعضهم أبى ذلك وزعم انه لا يكون شعرا حتى يقتصر فيه على وزن من اوزانهم ، والذى ينصر المذهب الاول أن حد الشعر : (لفظ موزون مقفى يدل على معنى) فهذه اربعة اشـياء : اللفظ ، والمعنى ، والوزن ، والقافيـة .

فاللفظ وحده وهو الذى يقع فيه الاختلاف بين العرب والعجم ، فان العربى يأتى بـه عربيا والعجمى عجميا . فأما الثلاثة الاخـر : فالامر فيهـا على التساوى بين الامم قاطبة . الا ترى انا لو عملنا قصيدة على قافية لم يقف بها احد من شعراء العرب ، ساغ ذلك مساغا لا مقال فيه . وكذلك لو اخترعنا معانى لم يسبقوا اليها ، لم يكن بنا بأس ، بل يعد ذلك من جملة المزايا ، وذلك لان الامم عن آخرها متساوقة الى المعانى والقوافى والافتنان فيها لا اختصاص لها بأمة دون امة ، فكذلك الوزن يتساوى الناس فى معرفته ، والاحاطة به ، فان الشيئين اذا توازنا وليس لأحدهما رجحان على الاخر فقد عادل هذا ذاك ككفتى الميزان .(٢)

(١) انظر تاريخ الادب العربى — السباعى — ص٣١٦ ، ٣١٧ .
(٢) هذا الرأى يماثل رأى ابن خلدون فى مقدمة الفصل الخامس والخمسين : (فى صناعة الشعر ووجه تعلمه) . (القسطاس — الزمخشرى تحقيق د . بهيجة الحسينى — هامش ص ٥٦ .

ثم ان من تعاطى التصنيف فى العروض من اهل هذا المذهب فليس غرضه الذى يؤمه ان يحصر الاوزان التى اذا بنى الشعر على غيرها لم يكن شعرا عربيا ، وان ما يرجع الى حديث الوزن مقصور على هذه البحور الستة عشر لا يتجاوزها ، وانما الغرض حصر الاوزان التى قالت عليها العرب اشعارها ، وليس تجاوز مقولاتها بمحظور فى القياس على ما ذكرت .(١)

فالحاصل ان الشعر العربى - من حيث هو عربى - ما يفتقر قائله فيه الى أن يطأ اعقاب العرب فيه الا فيما يصير به عربيا ، وهو اللفظ فقط . لانهم هم المختصون به ، فوجب تلقيه من قبلهم ، فأما اخواته البواقى فلا اختصاص لهم بها البتة لتشارك العجم والعرب فيها والله اعلم .(٢)

ومع رأى الزمخشرى هذا فى الاوزان الا انه لم يخرج فى نظمه على الاوزان العربية المعروفة ، بل انه لم ينظم عليها جميعها ، فقد جاء شعره فى الديوان على ثلاثة عشر بحرا .

وهذا جدول يبين البحور الشعرية التى نظم عليها الزمخشرى شعره وبجانب كل بحر القصائد والمقطوعات وعدد الابيات التى نظمت فيه :

---

(١) يناصره فى هذا الرأى السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فى كتابه (مفتاح العلوم) . (القسطاس - الزمخشرى - تحقيق د . بهيجة باقر الحسينى - هامش ص٥٧) .

(٢) القسطاس - الزمخشرى - تحقيق د بهيجة باقر الحسينى ص٥٦ - ٥٧ .

الرقم	البحر	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١	الطويل	٥٠	٤٦	١٩١٨
٢	المديد	١	١	٢٨
٣	البسيط	٢٢	١٥	٥٨٣
٤	الوافر	١١	١٢	٣٩٧
٥	الكامل	٣٢	٣٩	١٢١٤
٦	الرجز	٣	٧	١٠٦
٧	الرمل	٣	٨	١٢٥
٨	السريع	٥	٦	[illegible]
٩	المنسرح	٥	٦	١٧٦
١٠	الخفيف	٨	٥	٢١٨
١١	المضارع	—	١	٤
١٢	المجتث	١	—	٥٠
١٣	المتقارب	٧	٩	١٩٨

من الجدول السابق نلاحظ كثرة نظم الزمخشري على البحر الطويل ، واذا ما ذهبنا نعلل هذه الكثرة ، وجدنا ذلك يعود الى ان هذا البحر طويل التفعيلات مديدها ، تام الاجزاء عديدها ، يعطي الناظم فيه قدرة كافية للتعبير عن افكاره ، ومعانيه بكل حرية فهو يستوعب الانفعالات الطويلة التي تخرج من نفس متأججة .

وقريب من هذا البحر في خصائصه بحور البسيط والوافر والمتقارب والكامل ، مع شيء من التقارب بينهما .

" فالبسيط يقرب من الطويل ، وان كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ، ولكنه يفوقه رقة ، والوافر ألين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته ، واكثر ما يجود به النظم في الفخر وتجود به المراثي ، والكامل اتم البحور السباعية يصلح لاكثر الموضوعات ، وهو في الخبر اجود منه في الانشاء واقرب الى الشدة منه الى الرقة ، والمتقارب بحر فيه رنة ، ونغمة مطربة ، وهو أصلح للعنف والسير السريع ."(١)

فكما لاحظنا كل بحر له خصائصه التي تميزه عن غيره ، وبذلك يكثر نظم الشاعر على البحر او يقل حسب خصائص هذا البحر واتساعه للمعاني التي يريدها الشاعر .

٨ - القافيــة :

لقد التزم العرب القافية في القصيدة الواحدة ، كما التزموا فيها الوزن ، فلم يغيروا حرف القافية في قصيدة مهما طالت ، بل لم

---

(١) اسس النقد الادبي - احمد احمد البدوي ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

يحيدوا عن نظم راعواها فى مجموع الحروف التى تشملها القافية فى نهاية البيت ، وقد اختلفت الاقوال فى معانى القافية (١) ، ونأخذ من بينهما أحد قوليين للخليل بن احمد وهو ان القافية الساكنان الاخران من البيت وما بينهما مع حركة ما قبل الساكن الاول منهما ، وعلى هذا القول تكون القافية فى قول الشاعر :

اذا ما أتت من صاحب لك زلة   فكن انت محتالا لزلته عذرا

تكون القافية حركة العين والذال والراء والالف . (٢)

وقد استمر هذا الالتزام بالقافية عند الشعراء الى نهاية العصر الاموى ، كما كانت الحال فى الاوزان ، ثم افلت الشعراء بعده من القافية كما افلتوا من الوزن ، وقد انحصر خروجهم عنها فى ثلاثة ألوان : المزدوج ، والمشطر ، والمسمط .

ولكن شاعرنا التزم القافية فى جميع شعره ولم يخرج عنها فى اى بيت منه ، ولم يستعمل هذه الالوان .

ومن الملاحظ ان الزمخشرى لم يستغرق احرف الهجاء فى النظم – بالنسبة للروى – ومن هنا كثرت بعض قصائده على روى معين ، وقلت على روى ، وانعدمت على روى آخر ، وهذا جدول حروف الروى والقصائد والمقطوعات المنظومة عليه ، وعدد الابيات على كل حرف :

---

(١) انظر كتاب القوافى لابى يعلى التنوخى ص ٢٩ ومابعدها .
(٢) كتاب القوافى لابى يعلى التنوخى ص ٣٧ .

الرقم	حرف الروى	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١	الهمزة	٣	٥	٩٠
٢	الباء	١٣	١٥	٤١٤
٣	التاء	٥	٤	١٤٠
٤	الثاء	٢	١	٤٨
٥	الجيم	٤	٥	٢٠٠
٦	الحاء	٦	٤	٢٣٤
٧	الخاء	ـ	ـ	ـ
٨	الدال	١٦	١٤	٥٩٥
٩	الذال	ـ	٢	٥
١٠	الراء	٢٦	٢٢	٨٦٣
١١	السين	٦	٥	١٦١
١٢	الشين	١		٤٧
١٣	الصاد	١	١	٦٢
١٤	الضاد	٢	٤	٥٥
١٥	الطاء	١	ـ	٢٢
١٦	العين	٨	٤	٢٧٤
١٧	الغين	ـ	١	٨
١٨	الفاء	٤	٧	٢٨١

الرقم	حرف الروي	عدد القصائد	عدد المقطوعات	مجموع الابيات
١٩	القاف	١٢	٦	٣٦٥
٢٠	الكاف	٦	٦	٢٠٠
٢١	اللام	١٤	١٠	٣٦٥
٢٢	الميم	٦	١٢	٢٢٣
٢٣	النون	٥	١٧	١٧٦
٢٤	الهاء	٤	٨	١٤٩
٢٥	الواو	—	٤	٨
٢٦	اللام ألف	—	٢	٩
٢٧	الياء	٤	٤	١٣٧
٢٨	الالف	١	—	٣٨

اما من حيث الاطلاق والتقييد فى قوافى شاعرنا فقد استخدم النوعين ، ونظرة سريعة الى الملحق الثالث تريك القوافى المطلقة والقوافى المقيدة .

وللقافية موضعان احدهما يستعمل فيه على سبيل الاستحباب والاخر يستعمل فيه على سبيل اللزوم ، فالذى يستحب فيه عروض البيت ، والذى يلزم فيه ضربه ، ومن الامور التى تتعلق بهذين الموضعين ، التقفيه والتصريع والتخميع .

اما التقفية فهى ان يأتى الشاعر فى عروض البيت بما يلزمه فى ضربه من غير ان يحرف العروض الى صيغة الضرب ، ومثال ذلك قول الشاعر :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالتقفيه ايتاؤه فى قافية النصف باللام التى هى الروى والياء هى الوصل ، وهذان الحرفان هما اللذان لزماه فى القافية ومع ذلك فلم يغير صيغة العروض لان العروض مفاعلن والضرب مفاعلن.(١)

اما التصريع فهو ان يغير صيغة العروض فيجعلها مثل صيغة الضرب ، ويستصحب اللوازم فى الموضعين (٢) . ومثل هذا تعريف صاحب العمدة : (التصريع : ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس فى الزيادة :

قفانبك من ذكرى حبيب وعرفان   ورسم عفت آياته منذ أزمان

فالعروض هنا مفاعيلن وهى فى سائر الابيات مفاعلن.(٣)

واما التخميع فهو أن يخلى الشاعر عروض البيت من التصريع والتقفيه ويدرج الكلام فيكون وقوفه على القافية.(٤)

واذا ما تصفحنا اشعار الزمخشري وجدناه قد استخدم التقفيه فى كثير من قصائده ، فنظرة سريعة الى الملحق الثالث ترينا ان

---

(١) القوافى ـ ابو يعلى التنوخى ص ٤٥ ، ٤٦ ، والعمدة ج ١ ص ١٧٣.
(٢) القوافى ـ ابو يعلى التنوخى ـ ص ٤٦.
(٣) العمده ـ ابن رشيق ـ ج ١ ص ١٧٣.
(٤) القوافى ـ ابو يعلى التنوخى ـ ص ٥٢.

اكثر من مائة وستين قصيدة ومقطوعة مقفـــاة .

وكان الزمخشرى يكرر التقفيــة فى نفس القصيدة الواحدة كمــا فـــى قصيدة رقم (٢) ، فهـــو يقول فى مطلعهـــــا :

ايا عرصات الحى اين الاوانس؟ رحلن وحلتك الظباء الكوانس

ثـم يعود فى البيت الثامن عشر فيقـــــول :

اباء اباء الخيل وهى شوامـــس وصبر كصبر البهم وهى خوامس

ومثـــل هذا ايضا ما جاء فى قصيدة رقم (٣٣) فيقول فى مطلعها :

الا قل لسعدى مالنا فيك من وطر وما تطبينا النجل من اعين البقر

ثـم يعود فى بيت ٢٨ فيقـــــول :

ايا دوحة المليا‌ء طاب لك الثمر فانت سقاك الله من اطيب الشجر

كمــا وان الزمخشرى قـــد استخدم التصريع بكثرة وخاصة فى البحـــر الطويل ، حيث لا تأتى العروض تامة مفاعيلن ، بل تأتى مفاعلن ، الا انــه استعملها تامـــة فى كثير من مطالع قصائده ، وهـــو جائز من اجـــــــل التصريع ، ففـــى مطلع القصيدة رقم (٦) يقـــــول :

فؤادى من الشوق المبرح ريــان الى حرم الله المعظم ظمــآن

فالعروض هنا مفاعيلن ، مع انها فى سائر الابيات مفاعلـــــن .

وكذلك يفتتح قصيدة رقم (١٠) بقولـــه :

هو النفس الصعاد عن كبد حرى الى ان ارى ام القرى مرة اخـرى

فالعروض مفاعيلن ، وفى سائر الابيات مفاعلـــــن .

ومثـــل هذا ايضا قصيدة رقم (١١) ، وقصيدة رقـــم (٤٧) .

ومع ذلك فقد جاء التخميع فى كثير من شعره ، وهو ليس بعيبه فقد أتى فى اشعار كبار الشعراء العرب ، ومن التخميع قولـه :

عراقية سارت بنا وكأ ــنى   بها بعد ايام حجازية السـير

وقولـه :

رضى الملوك المجد يشهد ان فى   مماليك اسرار بها المجد جاهـل

وعلى المتزيد ان ينظر الملحق الثالـث .

ومن الملاحظ ان التخميع جاء معظمه فى المجموعات الشعرية ذات العدد القليل ، ولكن التصريع والتقفيه يعوان فى معظم القصائد الطويلـة نسبيـا .

اما بالنسبة للعيوب التى تلحق القافية فأهمها الاقواء والاكفـاء والسناد والايطاء والتضمين . وقد لاحظنا ان التضمين على كثرته فى شعره قد جاء تعلقه ليس للقافية فحسب بغيرها من كلمات البيت ، ومما اننا مثلنا عليه بشواهد كافية فلننصرف الى معرفة العيوب الاخرى وهل وجدت فى شعره ام استطاع التخلص منهـا .

اما الاقواء وهواهم عيوب القافية فقد جاء بكثرة فى شعر العرب الاقدمين ، وخاصة عرب الجاهلية ، ومن اشهر من كان يقوى آنئـذ ، النابغة الذبيانى وبشر بن ابى خازم الاسدى ،والاقواء هو اختـلاف حركات الروى لاختلاف الاعراب ، وقد استطاع الزمخشرى ان يجنـب قوافيـه هذا العيب الا فى النادر ، وحتى هذا النادر يمكن التخلـص منه بتسكين القافيـة .

والاكفاء (١) : هو تغيير حرف الروى ، ولو كان الحرفان متقاربين ، وقد تخلص الزمخشري منه ولم يرد في شعره.

والسناد (٢) : هو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات وقد ابتعد عنه الزمخشري أيضا.

وأما الايطاء فهو اعادة القافية في الشعر ، واقبح الشعر ما تقارب فيه القافيتان ، مثل ان يكون البيتان متجاورين ، او بينهما بيت او اثنان او ثلاثة ، وقد ورد الايطاء في شعر الزمخشري في ابيات له رواهن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، وهن غير موجودات في الديوان ، وهي قوله :

اقول لظبي مربي وهو رائع ... أأنت أخو ليلى ؟ فقال : يقال.
فقلت وفي حكم الصبابة والهوى ... يقال اخو ليلى ، فقال : يقال.
وفي ظل الاراكة والحمى ... يقال ويستسقى ، فقال : يقال. (٣)

اما اذا كانت الكلمتان متفقتين لفظا مختلفتين معنى فلا ضير في ذلك ولا يعد عيبا ، وقد ورد هذا في شعره مثل قوله :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي (٤)

---

(١) كتاب القوافي — ابو يعلى التنوخي ص١٣٩.
(٢) المرجع السابق ، ص١٥٤.
(٣) شذرات الذهب — العماد الحنبلي — المكتبة التجارية ج٤ ، ص ١٢١.
(٤) مفتاح السعادة — طاش كبرى زاده — دار الكتب الحديثة — ج٢ ص٩٠ ، معجم الادباء — ياقوت — دار المأمون — الاخيرة ج١٩ ص١٢٩ ، ازهار الرياض — ج٣ /٢٩٦.

فكشاف في البيت الاول يقصد بها ، كتابة في التفسير ، وكالشافي في البيت الثاني مكونة من كاف التشبيه ، والشافي اى الذى يشفى من الامراض ، لانه شبه الجهل بالداء ، وشبه الكشاف بالبلسم الذى يشفى هذا الداء .

وقوله في برد خوارزم :

برد خوارزم لعمرى عجب   هد من شدته او صاليا
لا ترى في الناس الا رجلا   داخلا حمامه او صاليا
رحم الله امرءً أمات بالفحم   من ميراثه او صاليا (١)

فأوصاليا في البيت الاول بمعنى اطراف الانسان ، وفي البيت الثاني مركبة من (او) العاطفة و (صاليا) اى مصليا بالنار ، وفي البيت الثالث مركبة من اوص ، من الوصية ، و (لى) اى لام الملك وياء المتكلم .

وفي بيتين آخرين يقول :

ومن يحنو على جار اذا ما   على جار فنحن عليه نحنو
ومن يحنو على جارا ذا ما   وها الحدثان ان لم نحن نحن (٢)

فنحنو في البيت الاول بمعنى نرحم ، وفي البيت الثاني ضمير المتكلمين .

ومما تقدم نرى ان الزمخشرى كما استطاع ان يحسن في شعره بحسن المطلع وحسن التخلص وحسن الخاتمه ، فقد استطاع ان يجنب شعره عيوب القافية .

---

(١) الديوان ١/٢٤٨ ـ ٣ .
(٢) الديوان ١٤٨/ ٢٢١ .

المبحث الثانى / المضمون

- محدودية المضامين - التكرار .
- المعانى القديمة والمبتكرة .
- السرقات الشعرية .
- التضمين والاقتباس من القرآن والسنة والامثال والاشعار والقصص .
- الغموض والوضوح .
- الصدق .
- الجمال المعنوى والمادى .
- الوفاء بالمعنى .
- العواطف .

٭ ٭

٭

المبحث الثاني

المضمون

اننا لانقصد بالمضمون هنا ان نثير قضية الشكل والمضمون او اللفظ والمعنى ، فقد كفانا النقاد قديما وحديثا مؤنة ذلك ، واننا لانريد ان نقف الى جانب مؤيدى اللفظ ، او الى جانب مؤيدى المعنى ، بل نحن نسوى بينهما من حيث قيمتهما فى العمل الادبى ، ونأخذ برأى ابن رشيق حيث يقول : اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ... (١) ثم يأخذ فى تفصيل هذا القول واثر كل من اللفظ والمعنى فى العمل الادبى مطبقا ذلك على الجسم والروح .

وانما نقصد بالمضمون هنا الاغراض والمعانى التى نظم الزمخشرى فيها اشعاره ، والسمات الاساسية لهذه الاغراض وتلك المعانى من حيث الاتساع والضيق ومن حيث الابتكار والتقليد ، ومن حيث الوضوح والغموض والصدق والاخلاق والمادية والمعنوية فى شعره .

اما الاغراض فقد افردنا لها فصلا خاصا بها ، ورأينا أغلبية ديوانه فى المديح ، وهو مديح تزلف وطلب عطاء فى القسم الاول من حياته ومديح شكر وعرفان بالجميل ومديح للرسول عليه الصلاة والسلام فى القسم الثانى من حياته ، وقد اتبع فى مديحه المعانى المتعارف عليهما فى عصره ، ويتبع المديح الرثاء ، ثم الحنين الى مكة ، وبعد ذلك غزله التقليدى واكثره مقدمات للمديح ، ورأينا قلة الهجاء عنده ، وبما

---

(١) العمدة — ابن رشيق — جـ ١ ص ١٢٤ .

أننا اعطينا هذه الاغراض حقها ، فسوف نتركها جانبا لنتفرغ لبحث سمات المعاني عنده .

وأول سمة تطالعنا ان اشعاره كانت ضيقة المحتوى محدودة المضامين ، مما ادى الى ظهور الكثير من التكرار والاعادة في معانيه من مثل قوله :

تسل باللحظ سيفا باتكا فاذا همت بضحك تولته باغماد (١)

وقوله :

يسل باللحظ سيفا باتكا فاذا اراد ضحكا فان الضحك يغمده (٢)

وقد لاحظنا تكرار معانية عند حديثنا على الغزل ، وعلى مقدماته الحكمية فلا نطيل بذكره مرة اخرى .

واذا ماتقدمنا خطوة لنبحث في المعاني التي طرحها الزمخشري في شعره وفي خصائصها وقديمها ومبتكرها ، وجدنا ان معاني شاعرنا من النوع الذي كان شائعا في عصره ، لانه يعبر عن انواع من السلوك والاخلاق والعادات والتقاليد كان متعارفا عليها في تلك البيئة ، وان اهم المعاني التي دار حولها شعر الزمخشري هي الشجاعة والكرم وربوبية السيف والقلم ، وحسن الرأي والتدبير ، ولكن ليس هذا هو المهم بالدرجة الاولى ، وخاصة عند الزمخشري ، فان ميزته بين شعراء عصره ليست بالمبتكر من معانيه ، لان المعاني التي طرقها كانت متعارفة بين الجميع وانما هي بشيء آخر ، وهو اخلاقه الممتازة ، وعلمه الواسع وطريقته في

(١) الديوان : ١٠٨ .
(٢) الديوان : ١١٤/٥ .

التمييز عن هذه الاخلاق وتلك المعانى . وهذا ما سنتعرض للحديث عنه فى الاسلوب الذى ستفرد له بحثا خاصا به ، بعد الانتهاء من الحديث على المضمون .

ومن الجدير بالذكر ان هناك معانى فى الادب العربى تداورها الشعراء والادباء ، فاصبحت معانى عامة مشتركة بين الجميع لاتخضع لحكم التقليد والتجديد ، مثل تشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالاسد ، والوجه الحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضى فى الامور بالسيف والعالى المنزلة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والامانى الكاذبة بالاحلام ، والاسنان بالبرد واللؤلؤ ، واللئيم بالثعلب .

وكذلك اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها اعلاما ، فجرى التشبيه بهم ، فيشبه الوفى بالسموأل والكريم بحاتم ، والعادل بعمر بن الخطاب ، والحليم بالاحنف ، والفصيح بسحبان وائل والخطيب بقس بن ساعدة ، والشجاع بعمرو بن معد يكرب ، والحكيم بلقمان ، والذكى باياس .

واشتهر آخرون بصفات ذميمة فجرى التشبيه بهم ايضا ، فيشبه العى بباقل ، والنادم بالكسعى

والناظر فى شعر الزمخشرى يجد هذه المعانى والتشبيهات والاسماء جميعها تتردد بين الحين والاخر ، فلم يخرج فى معانى تشبيهات فى اكثر الاحوال عن هذه التشبيهات المألوفة للجميع ، فكل ما ذكرناه قد ذكره فى شعره وكل من يقول فى هذه المعانى لانستطيع ان نقول عنه انه مقلد او مجدد ، فهى معانى اصبحت مألوفة عند عامة الناس ، ولكن تظهر براعة الشاعر فى الاسلوب الذى يضعها فيه ، وهذه ميزة الشاعر عن غيره ، وبها يعد انه احاد او قصر .

كما وان من المعانى العامة فى الشعر العربى والتى تعتبر شركة بين الشعراء ، ليس لاحد فضل السبق فيها فكرة الحياة والموت فالزمخشرى مثلا يقول :

ولا بد للانسان من سكرة الـــردى ومن ساعة لاصحو فيها ولا سكـــرى
فذو اللب من لم يطعم النوم جفنه ولم يغتمض خوف التلقى بلابشرى
وايقن ان الموت فى كل ساعة طلائعه تسرى فقد اخذ الحذرا (١)

وقولــــه

وللردى مشرع ورّاده شـــــرع لافضل فيه على ذئب لرئبـــال (٢)

وقولـه :

قضاء ربك حد غير مسبـــوق باب يساق اليه كل مخلـــوق
سيان مرمرق المحـــــل وذا جاه بابصار كل الخلق مرمـــوق
ولاترد الردى بيض السيـوف ولا سمر الرماح ولا زرق المزاريـــق
ولاقلاع منيعـات محصنــــــة وذادة وربة بالمجانيـــــق (٣)

فهو يتحدث عن معنى معروف لدى الجميع وفكرة عامة يدركهـــا كل انسان فلا تستطيع ان تقول عنه مجدد ، او مقلد فى مثل هـــذا المعنى ، وقد قال فيه حاتم الطائى :

وما اهل طود مكفهر حصونـــه من الموت الا مثل من حل بالصحر
وما داع الا كآخـــر حاســرا وما فقير الا كآخر ذى وفـــر
تنوطلنا حب الحياة نفوسنـــا شقاء ويأتى الموت من حيث لاندرى (٤)

---

(١) الديوان ٤٠ / ٤ — ٦ .
(٢) الديوان ١٢٥ / ٥ .
(٣) الديوان ١٢٩ / ١ — ٤ .
(٤) ديوان حاتم — نشر شولتهس — ص ٢٨ .

وقال طرفة فى هذا المعـنى :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفـتى لكالطـول المرخى وثنياه باليـد (١)

وقال اوس بن حجر :

ولو كنت فى ديمـان تحرس بابه أراجيل احبوش واغضف آلف

اذن لاتتنى حيث كنت فيتـــى يخب بها هاد لاثرى قائف (٢)

ولكن هناك بعض الشعراء قد اهتدى الى معان جديدة لم يسـبق اليها ، وان من بين هذه المعانى مالم يستطع الشعراء مجاراته وسرقتـه فتركوه لصاحبه ، ولم ينازعوه فيه ، ومن ذلك وصف عنترة للذباب (٣) .

وهذا الكلام يقودنا الى الحديث عن قضية طالما ترددت علـــى ألسنة النقاد ومصنفاتهم الا وهى قضية (السرقات الشعرية) ويعنون بهـا ان شاعرا متأخرا سطا على شعر متقدم فأخذ معنى من معانيه وادعـــاه لنفسه ويكون هذا الاخذ اما باللفظ والمعنى ، او بالمعنى وحده .

وما دام المطلوب من الشاعر ان يثقف نفسه بالاطلاع على تـــراث سابقيه فلابد ان يختزن الكثير من معانى هذا التراث فى ذهنه ، اذا اضفنا الى هذا قضية توارد الخواطر ، وهى ان يرد على خاطـــر اللاحق من المعانى ما ورد على خاطر السابق ، دون ان يطلع اللاحـــق على شعر سابقه ، بالاضافة الى هذا وذاك المعانى المشتركة المعروفـــة لدى بنى البشر ، اذن لايستغرب والحالة هذه ان يأتى الشاعر بمعـــان هى نفسها ، قد اتى بها شاعر قبله ، وعلينا ان لا نعد كل معنى عنـــد

---

(١) ديوان طرفة — بيروت — ص ٣٤ .
(٢) ديوان اوس بن حجر . ص ١٣٥ .
(٣) انظر اسس النقد الادبى — احمد احمد بدوى ص ٢٦٥ .

متأخر له شبيه متقدم مسروقا ، الا اذا كان البيت والابيات قد اخذت بلفظها ومعناها ، وعندها نفسر ذلك بأن المتأخر قد سطا على شعر من تقدمه وأخذه منه ، كما فعل الفرزدق مع جميل بثينة فى قوله :

نسير امام الناس والناس خلفنا   فان نحن أومأنا الى الناس وقفوا (١)

فقد قال جميل البيت واستحسنه الفرزدق وهدده وأخذه منه وضمه الى شعره .

ولكن المهم فى الامر هو ان الذى يأتى بمعانى من سبقوه عليه ان يلبسها اثوابا جيدة ، او يكمل الناقص منها ، او يظهر الناقص فيهما او يصرفه عن وجه الى آخر ، حتى تظهر شخصيته فيه ، وحتى لايكون عالة على من تقدمه من الشعراء .

وشاعرنا كما عرفنا كان واسع الاطلاع فى الثقافة الاسلامية والثقافة العربية ، ولابد لهذه المعارف ان تؤثر فى معانيه ، فنجده يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، كما انه ضمن شعره الكثير من الامثال العربية ، واشار الى كثير من ايام العرب وحروبهم وقصصهم وأخبارهم .

وهذه امثلة من تضميناته واشاراته :

لقد كان اكثر اقتباسه وتضمينه من القرآن الكريم ، واعانه على ذلك ثقافة دينية وتذوق ادبى ، فهو قد يقتبس الاية مباشرة مثل قوله :

فملك يحكى فعل ما قال أأ   نا لمردودون فى الحافرة (٢)

---

(١) انظر الشعر والشعراء - ابن قتيبة ج ١ ص ٤٣٣ تحقيق احمد محمد شاكر .

(٢) الديوان : ٦/٢٦٤ .

فهو مقتبس من قوله تعالى : (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) (النازعات : ١٠) .

ومثل قولـه :

كم قلت قولا قاله ولهـــا يعقوب : يا أسفى على يوسف (١)

فهو مقتبس من قوله تعالى (وتولى عنهم وقال : يا أسفى على يوسف ،) (يوسف : ٨٤)

وقد يضمن شعره الآية او جزءها بتصرف ، لكن اثر القـــرآن واسلوبه مايزال باديا كقوله :

زين الائمة بعض الحزن والكمد فانما خلق الانسان فى كبد (٢)

مأخوذ من قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى كبد) (البلد : ٤) .

وقد يشير الى معنى آية قرآنية ، وقصة وردت فى كتاب الله مستوحيا ما فيها من معان مثل قوله :

حيانى حياها صداى الى التى يقول لها ذو العرش مسك ختامها (٣)

فهو يشير بذلك الى الخمرة الموجودة فى الجنة والتى يقول عنها اللـــه جل جلاله : (يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك ، وفى ذلـــك فليتنافس المتنافسون) (المطففين : ٢٥ ، ٢٦) .

ومثل قولـه :

وكل مرتضع للثدى مطـــرح وكل موضعة ترمى بموضعهـــا (٤)

---

(١) الديوان : ٢/٢١٩ .
(٢) الديوان : ١/١٣٣ .
(٣) الديوان : ١٦/١٩ .
(٤) الديوان : ٦/١٢٣ .

يشير الى هول يوم القيامة وكيف ان المرضعة وهى اشد الناس تمسكا بوليدها تلقى به ، وتذهل عنه ، وهو مأخوذ من قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (الحج : ١ ، ٢)

ومثل قوله :

يبني على امن وليس يبتنى من فوق جرف هائر شفيره (١)

يعنى انه يبنى على اساس متين من تقوى الله ، ليس كمن يبتعد عن تقوى الله فكأنه يبنى على حرف هائر فيقع به فى نار جهنم ، ويشير بذلك الى قوله تعالى :

(افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين) (التوبة : ١٠٩) .

وكما اقتبس وضمن شعره من القرآن الكريم فقد اقتبس وضمن شعره كذلك من الحديث الشريف ، من مثل قوله :

ما له يمطلنى وهو غنى واشد الظلم فى مطل الغنى (٢)

فهو مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام (مطل الغنى ظلم) (٣) .

ومثل قوله :

والله ان يقض بعض المسرات به قضاء يسرين لولا ذاك لم يعد (٤)

---

(١) الديوان : ٢٣٥/٢٥ .
(٢) الديوان : ٢٤٢/٦ .
(٣) صحيح مسلم ـ الامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى ، النيسابورى ـ عيسى البابى الحلبى وشركاه جـ ٣ ص ١١٩٧ .
(٤) الديوان : ١٣٣/١٦ .

فهو مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام : (وانه لن يغلب عسر يسرين) (١)
او من قوله تعالى : (فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا) (الآية
(الانشراح : ٥ ، ٦) .

ولقد اكثر الزمخشرى كذلك الاخذ عن الامثال العربية وصياغتها
فى شعره ، من مثل قوله :

لن يضروك بقول او بفعل هل يضر البدر كلب بعواء ؟ (٢)

فهو مأخوذ من قولهم : (لا يضير السحاب نباح الكلاب) . (٣)

ومثل قوله :

وجد القران قرانه فتوافقا طبقا الى شن بغير خلاف (٤)

فهو مأخوذ من قولهم : (وافق شن طبقه) . (٥)

ومثل قوله :

والمرء يؤتى من الشق الذى يحدث عنه مخيلة ذى حدس وتحقيق (٥)

مأخوذ من قولهم : (من مأمنه يؤتى الحذر) . (٦)

اما بالنسبة لاشارته الى القصص التاريخية ، فهى مثل قوله

الم تر الشهمة الزباء كيف اتى هلاكها من رجال فى الصناديق (٧)

يشير بذلك الى قصة الزباء مع قصير ، وكيف خدعها ، وادخل الرجال
فى صناديق تحملها الجمال على انها هدايا .

---

(١) الموطأ — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى — عيسى البابى الحلبى
ج ٢ ص ٤٤٢ . (٢) الديوان : ٢٣/٢٤١ .
(٣) مجمع الامثال — الميدانى — المطبعة البهية بمصر ج ١٤٨/٢ .
(٤) الديوان : ٣٥/٢٢٧ .
(٥) مجمع الامثال — الميدانى : ٢٨٤/٢ .
(٦) الديوان : ٧/١٢٩ .
(٧) مجمع الامثال — الميدانى : ٢٣٨/٢ .
(٨) الديوان : ٨/١٢٩ .

ومثل قولـه :

ومن صهر كسرى صد نعمان بآوه فخنقه فى خانقين الفوارس
وهان عليه يومه قبل ساعة يكابد فيها صهر من لايجانس (١)

يشير بذلك الى قصة النعمان بن المنذر مع كسرى انو شـروان عندما طلب منه ان يصاهره ، فأبى النعمان ذلك ، فقتله كسرى مقابـل كلامه الذى نقله الواشى الى كسرى .

ولم ينس السيرة وغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام فضمن كثـيرا منها فى شعره من مثل قوله :

ولاتنس يوم الفتح يوم تمطلـت نفوس قريش والعيون شواخـص
وقالوا : السيوف الخزرجية وقع وسدت على اهل البطاح المخالص
فوافاهم الحر الخفيف جناحـه فرق لهم لا الاشوس المتخـاوص (٢)

فهو يشير بذلك الى غزوة فتح مكة ، وخوف قريش من الرسول وجيشـه والى صفح الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم .

ومن غـزوة حنين يقـول :

وآثرهم بالفىء فىء هـوازن على زمر الانصار وهى الخوالـص (٣)

وقصة ذلك معروفة فى السيرة .

وقد اشار كذلك الى بعض الامور المهمة مثل قتل الامام على كـرم الله وجهه ، وابنه الحسين : فيقول :

سامنى قتل المرادى عليـا والكلابى الحسين بن علـى (٤)

---

(١) الديوان : ٣١/٢ ـ ٣٢ . (٢) الديوان : ٤١/٢ ـ ٤٣ .
(٣) الديوان : ٤٤/٢ . (٤) الديوان : ٢/٢٤٢ .

ولقد اطلع الزمخشرى كذلك على الشعر العربى من الجاهلية حتى عصره ، فنجده يذكر ما ذكروه من معان واسماء اماكن كما سيأتى فى حينه ، ويشير الى كثير من استعمالاتهم مثل قوله :

فقال ابن قيس فى القديم لمصعب شهاب من الله القران اتى به (١)

يشير بذلك الى بيت ابن قيس الرقيات فى مصعب بن الزبير ، والذى فضله عبد الملك بن مروان على الاوصاف التى اطلقها عليه الشعراء ، والبيت هو :

انما مصعب شهاب من اللـه تجلت من وجهه الظلماء

او مثل تضمينه قول العرجى : (اضاعونى واى فتى اضاعوا) فى قوله :

وكم كررت للعرجى قولا اضاعونى واى فتى اضاعوا (٢)

بل انه ليأخذ البيت بلحمه ودمه اى بلفظه ومعناه كما قال :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه لايذهب العرف بين الله والناس (٣)

ومعروف ان هذا البيت للحطيئة .

او يأخذ المعنى ويضعه فى صيغة جديدة مثل قوله :

حسبوه عبدهم وان الحر عبـ ـد الضيف الاساءة الترحال (٤)

فهو مأخوذ من قول حاتم الطائى :

وانى لعبد الضيف مادام نازلا وما لى شيمة غيرها تشبه العبدا

أو مثل قوله :

قاصر ساقاه ولكن متنه طويل فما فى القد طول ولاقصر (٥)

---

(١) الديوان : ١٥/٢٢ .
(٢) الديوان : ٤٩/١٣٨ .
(٣) الديوان : ٢٣/١٩٩ .
(٤) الديوان : ٢٧/١٧٩ .
(٥) الديوان : ١٢/٣٣ .

فهو من بيت كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبـــــرة فما يشتكى قصر منها ولا طول

او مثل قولـه :

تحكى مواعيده عرقوب مواعدهـــا حتى تمتع بعد المطل بالياس (١)

ولا يغيب عنا قول كعب بن زهير :

تحكى مواعيده عرقوب مواعدهـــا وما مواعيدها الا الاباطيل

وهذا قليل من كثير ، ولو أردنا ان نتتبع الزمخشرى فى ما آخـذه من القرآن او الحديث أو السيرة او الاشعار السابقة او الامثال ، لطـــال بنا المقام ، ، وحسبنا ماقدمنا من امثلة تدلل على ذلك .

اما بالنسبة للغموض والوضوح فى شعر الزمخشرى ، فأستطيع ان اقول ان شعره بشكل عام واضح المعانى بسيطها ، وعلى ذلك فهناك قصائـد له ومقطوعات غامضة المعانى لايستطيع الانسان فهمها بسهولة ، وان بعضها ليكد الانسان فيها ذهنه بعد ان يبذل جهده فى قواميس اللغــــــة ولايخرج بنتيجة ، بل ان هناك بعض القصائد تجتمع فيها الطبيعتـــــان السهولة والغموض فى آن واحد ، وبما أن الوضوح هو اغلب الديوان فعلينا ان نمثل الغموض فقط ، من مثل قوله :

اراكب لامع الامـــــد القصى بعين اقمر صخب المشـــى

يناوله كأن الجن لـــــزت بدفيه جناحى مضرجـــــى

اصيل المنتمى يدلى بعـــــم جديلى وخال شدقمـــــى

مروق كالندى يد المغالــــى حدته وهو نضو كالنضـــى

اذا تحريكة الساق امترتــــه تدفق مثل شؤبوب الحـــبى

---

(١) الديوان : ٤/١١٩ .

مبارى الريح روح من امتطـاءه ومزهقة لارواح المطـــــى (١)

او مثل قوله فى هذا البيت :

مافرق الاموال حاتم حشـــج ما فرق الالاف حاتم شحــج (٢)

وحتى بعد ان يستخرج الانسان المعانى من القاموس ، فلن يتمكن من معرفة معناه الا بعدركد الذهن حتى يقترب من المعنى وربمـــا وصل اليه او يقى المعنى غامضا مستغلقا .

واعتقد ان معظم الغموض الذى فى شعر شاعرنا جاءه من ناحيـة الالفاظ ، من حيث غرابتها وحوشيتها ، ومن ناحية القالب الذى وضعـت فيه ، اى الاسلوب الذى صيغت به لان الالفاظ ثياب المعانى ، ولمحاولـة شاعرنا الاتيان بكثير من المحسنات اللفظية والمعنوية فى شعره وهـــذا ماسنتحدث عنه فى باب الاسلوب .

ومن ميزات شعر الزمخشرى الوفاء بالمعنى وذلك عن طريق الاعتراض من مثل قولــه :

وان وجوه الترك ــ والله جارهاــ بدورالى اشانها تصرف البدر

فهو يدعو لها ، او من مثل قولــه :

لكن ابى ذاك جد ، لا انتعاش له ــ ولم تزل دول الدنيا تنكده

فان تشأ ــ ولك الدنيا مساعفــة نعشت جدى بانعام تجــدده

فجاء بقوله (ولك الدنيا مساعفة) ليبين له انه قادر على مساعدته ولاعذر له فى التجلى عنه .

---

(١) الديوان : ١/١٣٦ ــ ٦ .
(٢) الديوان : ١٦٤/٨

او مثل قوله :

وان اصطفاء المصنع الحر يدن اكل حصيف وهو انت اريب

فجاء بجملة وهو انت ليتمم بها المعنى ويخبره انه قصده بقوله حصيف واريب ، خوفا من ان يفهم السامع انه يقول حكمة عامة تنطبق عليه وعلى غيره .

اما من ناحية الصدق فى الشعر فقد اختلف النقاد حول هذا المقياس ، وبالرغم من اختلافهم الا انهم قرروا ان الصدق فى الشعر فضيلة لاتنكر ، وعلى هذا الاساس فضل عمر بن الخطاب زهيرا ، جاعلا من فضائله انه لايمدح الرجل الا بما فيه (١) .

ولكن شاعرنا قد تورط فى أول حياته فى مدح الوزراء والسلاطين طالبا منهم النوال ، وقد بالغ فى كثير من مديحه ذاك فى اوصاف هؤلاء الممدوحين ، كما رأينا عند حديثنا فى المديح ، ولكنه فى النصف الثانى من حياته يتمشى مع هذه القاعدة التى اقرها عمر بن الخطاب فى كثير من شعره فابتعد عن ابواب الوزراء والسلاطين وجاور فى مكة ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وشكر على بن وهاس على حفاوته به واخذ يبث كثيرا من آرائه الزهدية وتقشفه فى هذه الحياة الفانية ، متفرغا للعلم والعبادة ، فجاءت جميع معانيه فى هذه المجالات صادقة تنطبق على الواقع وقد تعرضنا لها فى موضوعات شعره .

وبما ان معانيه فى هذه المجالات صادقة ، فان الجمال المعنوى يطبع هذه المعانى ويكون السمة الاصيلة فيها ، وشاعرنا يمتد الجمال المعنوى الى معانيه من اخلاقه وتدينه ، فهو صاحب اخلاق حميدة ابعدته

---

(١) اسس النقد الادبى ـ احمد احمد بدوى ص ٤٢٩ .

عن كل زخارف الحياة وبهرجها ، يضاف الى ذلك انقطاعه للعبـــادة في مكة بجوار بيت الله الحرام ، فكل هذا اثر على نفسية شاعرنا فجاءت معانيه صادقة وذات رصيد عال من الجمال المعنوى .

اما الجمال المادى فقد جاء على شكل مقدمات غزلية ، وقد وصف حبيبته المتخيلة وصفا ماديا بحتا ، وقد بينا ذلك عند حديثنا عـــن الغزل فى شعره ، .

ويحسن بنا قبل ان نغادر هذا الموضوع الى غيره ان نعـــرض الى العواطف وانواعها فى شعر الزمخشرى .

اما من حيث العواطف فى شعره فقد تعددت ، ولكنها مـــع تعددها لم تكن كلها على مستوى واحد ، فبعضها جاء قويا عارما عميقـا مؤثرا ، وبعضها جاء فاترا لاحرارة فيه ، ويتوقف ذلك على الموقف الذى قال الزمخشرى فيه شعره ، لاننا نقصد بالعاطفة الشعور الذى يصاحب الانسان ازاء موقف من المواقف فينعكس على تصرفاته واقواله .

ومن العواطف التى غص بها ديوان الزمخشرى ، عاطفة الحـــزن ، وعاطفة الفخر ، فعاطفة الحزن تظهر قوية واضحة وخاصة فى شعره الذى يرثى فيه امه واباه واستاذه الضبى ، كما لاحظنا ذلك عند تحدثنـــا عن مراثيه .

واما عاطفة الفخر فهى من اهم عواطفه واوسعها انتشارا فى شعره وهى عاطفة حارة صادقة ، لان الشاعر يعتز فيها بعلمه واخلاقه وعصاميته ولقد كان الزمخشرى فى المستوى الذى يؤهله لمثل هذا الافتخار ، فهـــو يفخر بشئ موجود فيه ومتأصل ولايدعيه .

وهناك عاطفة ازدراء اللئام والجهلة والوصوليين والمتزلفين للوصول الى المناصب من غير مؤهلات تؤهلهم لذلك ، فهو ناقم عليهم وعلى الزمان الذى قدمهم واخر غيرهم ممن هم احق منهم ، ورأينا ذلك واضحا فى شكواه .

ولاننسى عاطفة الحنين الى مكة وكيف ظهرت حارة صادقة تكاد نفسه تتقطع حزنا والما لفراقه لها .

وكان الزمخشرى حين يعبر عن عاطفة صادقة جياشة يتحرر من المحسنات المقصودة والمقتناة ، لانها تندمج مع الفكرة ، او مع الشعور كقوله فى تصوير ضيقه بالاقامة فى خوارزم :

احب بلاد الله شرقا ومغربا الى التى فيها غذيت وليدا
ولكن تواسى بالكرامة غيرها وهذى ارى فيها الهوان عتيدا
وما منزل الارذال للحر منزلا وان كان عيش الحر فيه رغيدا
سأرحل عنها ثم لست براجع واضرب مرمى فى البلاد بعيدا
فلا كنت ان خيمت فيها ابن حرة ولاعشت بين الصالحين حميدا (١)

وقوله وهو قاصد مكة عازم على الاقامة بها حتى الممات :

قامت لتمنعنى المسير تماضر انى لها وغرار عزمى باتر
سيرى تماضر حيث شئت وحدثى انى الى بطحاء مكة سائر
حتى انيخ وبين اطمارى فتى للكعبة البيت الحرام مجاور
سأقيم ثم وثم تدفن اعظمى ولسوف يبعثنى هناك الحاشر (٢)

---

(١) الديوان : ١/٧٧ — ٥ .
(٢) الديوان : ١/١٦٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٣١ .

وقوله في مدح ابن وهاس :

فتى هو حال بالمعالي بأسرها وقد حليت منه المعالي بأوحدا
نجيب نمته من ذؤابة هاشم نقيات اعراق أطابته مولدا
ولو شاء لم يمتد محتد هاشم نصابا كفاء بالنبوة محتدا
وتقرأ من سيماه في قسماته شهادة حق انه صدق احمدا
هو الحرما اصدى الى بيض معشر فأبصره الا نقعت به الصدى
ولى منه نصح الجيب والعقدة التي ابت ان يرى الواثرون اوثق معقدا (١)

اما اذا حاول ان يكره نفسه على قول الشعر جاءت عاطفته فاترة لا حرارة فيها لذلك كان يغطي على نضوب عاطفته باللجوء الى المبالغة ، مثل

سماه كل الناس كعبة سؤدد اهل الحوائج منهم حجاجها
ولأنما السلطان سنجر كعبة للملك منتجب الملوك رتاجها
ركب السياسة وهي اصعب مركب فتطامنت لركوبه اثباجها
ألفته دونهم فما الجامها الا على يده ولا أزواجها (٢)

هذه المعاني التي أنتهينا من دراستها لتونا لن ندعها حتى نتعرف على الطريق التي سيقت بها ، وعلى القوالب التي صبت فيها وهذا ما سيكون موضوع حديثنا في بحث الاسلوب .

---

(١) الديوان : ١٢/٥ ــ ١٧ .
(٢) الديوان : ٢٠٩ .

المبحث الثالث

الاسلوب

- انواع الاسلوب .
- اسلوب الزمخشرى .
- بعض سمات اسلوب الزمخشرى .
- الخيال والصورة الشعرية .
  - التشبيه .
  - الاستعارة .
  - الكناية .
- المحسنات البديعية .

٭ ٭

٭

الاسلـــــوب

يعنى الاسلوب فى الدراسة الادبية الطريقة الخاصة التى يصـوغ فيها الكاتب او الشاعر افكاره ، ويبين بها عما يجول فى نفسه مـن العواطف والانفعالات ، لذلك جعل النقاد الاسلوب على اربعة انواع : الاسلوب الجزل ، والاسلوب السهل ، والاسلوب السوقى ، والاسلوب الحوشى (١)

وعلينا قبل ان نحكم على الاسلوب عند شاعرنا ان نعرف معانـــى هذه الاساليب الاربعة ، حتى نحكم عليه بالحكم الذى يستحقه .

اما الاسلوب الجزل ، فهو الذى تعرفه العامة ، اذا سمعتــه ولاتستعمله فى محاوراتها (٢) . معنى ذلك ان الفاظ الاسلوب الجـزل مختارة من بين ألفاظ الطبقة المثقفة ، لذلك فهو يحتوى فى الغالـب على الفاظ غريبة يحتاج عامة المثقفين الى الكشف عنها ، لفهم معناهـا الدقيق ، وان كان المعنى الاجمالى مفهوما لهم .

واما الاسلوب السهل ، فهو الذى يخلو او يكاد من الفاظ الطبقة المثقفة بشرط ان يرتفع عن الفاظ السوقة (٣) . اما اذا انحدر الاسلـوب السهل واستعمل الفاظ السوقة ، فهو الاسلوب السوقى (٤) واما الحوشى مـن الاساليب فهو ذلك الذى يمتلئ بالالفاظ الغريبة الحوشية ، فيختفى تحت ستار كثيف من الغموض ، ولايتضح الا بعد جهد ومشقة .

---

(١) اسس النقد الادبى ـ احمد احمد البدوى ص ٤٩٧ .
(٢) الصناعتين ـ العسكرى ـ ص ٦٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٨ .

ولكن علينا ان نحكم على النص في عصره ، لان الجزل في عصر ربما اعتبر حوشيا في عصر آخر ، نظرا لاختلاف معرفة الطبقة المثقفة بألفاظ اللغة ، باختلاف العصور ، فالجزل في العصر الجاهلي مثلا يظهر لنا اليوم وكأنه حوشي لبعد الزمن بيننا وبينه .

واسلوب الزمخشري في شعره بشكل عام رصين جزل ، ولا يعني هذا انه يخلو من التعقيد والغموض والحوشية ، بل فيه من ذلك شيء .

وان اول مايواجهنا في دراسة الاسلوب عند الزمخشري ألفاظه وتعابيره ، لانه من خلال الالفاظ والتعابير يحكم على الاسلوب بأنه سهل اوجزل او سوقي او حوشي ، ومن اولى صفات الالفاظ في شعر شاعرنا انها منتقاة مختارة ، لتدل على المعنى الذي يريده ، فحيثما اطلقت بصرك عبر ديوانه وجدت من ذلك الشيء الكثير ، لان الزمخشري كان يدير قصائده حول معان بأعينها ، من مثل حنينه الى مكة ، أوفخره بحلمه ، او مدائحه ، ومن هنا تكررت في شعره ألفاظ كثيرة ومعاني هي هي اما تكرار المعاني فقد ضربنا عليه امثلة سابقة ، وهذه امثلة من الفاظه وتعابيره الجزلة المنتقاة :

ألاما حملا عيني الى بطن مكة مغلغلة تأتي الشريف ابن وهاس (١)

فالجزالة تبدو في البيت في كلمة مغلغلة والتي تعني الرسالة التي تتغلغل في الاوساط حتى تصل الى محطها ، وقد وردت في شعره اكثر من مرة وكذا قوله :

ادب يخوض الناس في ضحضاحه بالجهد وهو يعوم في تياره (٢)

---

(١) الديوان : ١/٨٨ .
(٢) الديوان : ١٧/١٧٠ .

فالشاهد فى كلمة ضحضاحه ، والتى تعنى الماء الضحل القريب المقر ، وقد تكررت فى شعره وفى مثل قوله :

فى عقد دريتيه كنت واسطة وقد نظمتم لجيد الفخر تقصارا (١)

والشاهد فى كلمة تقصارا التى تعنى القلادة التى تحيط بالعنق ، ولجرسها القوى ، وقد وردت ايضا اكثر من مرة فى شعره .

وكذا قوله :

اليك سقت ركابى مثل عامل فى صيف يذيب دماغ الضب صيخده (٢)

فالجزالة فى كلمة صيخدة والتى تعنى حره الشديد .

ومن سمات شعر شاعرنا الاكثار من ذكر اسماء الاماكن ، وهذه بعض الامثلة عليها للدلالة لا الحصر .

كأنى لم انظر الى الحى صادعا عصى النوى بين اللوى فالدكادك (٣)

وقوله :

وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا العذيب وواكس (٤)

وقوله :

وقلت ألا اين الحطيم وزمزم وما لى محجورا عن الركن والحجر (٥)

وقوله :

ترى شمخ الاطواد من شم خندف ذواهن فى ضحضاح بحر تغرق (٦)

وقوله :

امن ذات عرق ومضة البرق تخفق كنهضة عرق فالفؤاد مشوق (٧)

---

(١) الديوان : ٧/١٢٨
(٢) الديوان : ٣٥/١١٤ .
(٣) الديوان : ٤/١ .
(٤) الديوان : ٧/٣ .
(٥) الديوان : ٨/٩ .
(٦) الديوان : ٢٠/٤ .
(٧) الديوان : ١/٤ .

والملاحظ ان الشاعر الجاهلى كان يذكر الامكنة فى شعره لان لها دلالة خاصة وارتباطا بذكرياته ، اما شاعرنا فكان يذكر هذه الاسماء على سبيل التقليد ، باستثناء الاماكن التى اقام بها فى مكة مثل ، الحطيم وزمزم ، والحجر ، فقد كان ذكره لهذه الاماكن منسجما مع نفسه لان له فيها ذكريات عزيزة على نفسه ، فيحن اليها ، ويحب ان يعود اليهـا .

ومن الخصائص البارزة فى شعره ، ان الصورة البيانية كثيرا ما اعتمدت على التشبيه ، وما يلحق به من استعارة وكناية ، فجاءت صورة تكرارا لما رسم سابقوه ، وجاء خياله من القريب الذى لايحلق فى الافاق البعيدة

لقد كثر التشبيه فى شعر الزمخشرى كثرة دعتنا الى ان نكتفى ببعض الشواهد منه ، لان معظم صوره قامت على التشبيه بمختلف انواعه فيقول :

وقلدنى اطواق شعر كأنها سموط بأيدى الكسرويات تنسق

وقوله :

يصونون عرض قبل اعراضهم كما يصان سواد العين بالجفن والهدب

وقوله :

واخضل خديها دموع تتابعت تتابع در خاذل سلكه المقدا

وقوله :

تألف برق فى فروع سحابه كمنصل غاز ينتضى من قرابه

وقوله :

يعاتبنى والليل رق نسيمه كأن نسيم الليل بعض عتابه

ومن الصور البيانية ذات العلاقة الوثيقة بالتشبيه الاستعارة فهى تشبيه حذف احد طرفيه ، وقد استعمل الزمخشرى الاستعارة بنوعيها المكنية والتصريحية ، وهذه شواهد على ذلك :

وباضت حوارا فتنة جاهلية

يمتنى بنت الدهر

تخطفت الايام

بعد الكتاب النور

بشرى الاصم

اما الكناية فقد وردت فى شعره كثيرا نجتزئ منها بعض الشواهد المتفرقة :

والعيون شواخص (١)	كناية عن الخوف .
والجو اغبر عابس (٢)	كناية عن القحط والجفاف ؛
ناصح الجيب (٣)	الاخلاص فى الود .

ولا كابن وهاس فتى ضم برده حسامة وضرغامة واخضر مزبدا (٤)

كناية عن الحزم والشجاعة والكرم .

وبهذا القدر نكتفى ، لنقول ان الصورة البيانية عنده صورة بسيطة ساذجة متهمة لامبتدعة ، قوامها التشبيه والاستعارة والكناية ، مع التقارب فى نسب استعمالها .

---

(١) الديوان : ٢/٤١ .
(٢) الديوان : ٣/٢٦ .
(٣) الديوان : ٣١١/١٥ .
(٤) الديوان : ٥/١١ .

ولكن ماذا عن المحسنات البديعية عند الزمخشرى ؟

لقد اغرق شاعرنا فى استعمال المحسنات البديعية لفظية ومعنوية فأينما صوبت بصرك تجد الكثير من هذه المحسنات ، فقد زخر الديـــوان بها، وان دل هذا على شئ فانما يدل على الصنعة فى الشعر ، وان شاعرنا كان يحسن شعره ولايقوله عن سجية ، ولن نطيل فى الوقوف عندها فهى كثيرة ونظرة سريعة على الديوان تثبت ماذهبنا اليه ، وسوف نكتفـى بضرب امثلة على الجناس والطباق ورد العجز على الصدر واللف والنشر :

فمن الجناس التام قولـه :

من القاصرات الطرق غير فوارك ولكن لحبات القلوب فـــوارك (١)

ففوارك الاولى ، المرأة التى تكره زوجها ، وفوارك الثانية من الفرك وهـو حك الشئ حتى ينكسر وقوله :

خليلى من عليا تهامة انجـدا اذا كان غورى الهوى ثم انجدا (٢)

انجدا الاولى بمعنى تقديم النجدة والمساعدة ، وانجدا الثانية نزل نجدا .

من الجناس المركب قوله :

الى الله اشكوك يا ساق حـــر قدحت بنوحك فى ساق حـــر (٣)

فساق حر الاولى بمعنى ذكر الحمام ، وساق حر الثانية ، اى ساق رجل حـــر .

---

(١) الديوان : ١٢/١ .
(٢) الديوان : ١/٥ .
(٣) الديوان : ١/ ٣١١ .

وقولــه :

اخالكما ان تسعدا ببكاكمـا أخالكما حيا تفوزا وتسعـدا (١)

فأخالكما الاولى بمعنى احسبكما ، والثانية مكونة من اخ ولكما ، اى ان هذا الشخص الذى يصفانه هو أخ لهما .

ومن الجناس الناقص :

ولا جفن الا وهو ملآن دافـق ولا قلب الا وهو حرآن خافـق (٢)

فالجناس بين دافق وخافق .

وقولــه :

على ايكتى نجد وورق حمامه وروضى الوادى وزرق جمامـه (٣)

والجناس بين حمامه وجمامه .

اما الطباق فمثل قولـه :

حياتى وموتى قرب سعدى وبعدها وعزى وذلى وصلها وانصرامها
سلام عليها ان امست واصبحـت وان كان لا يقرا على سلامها
رعى الله سرحا يرعى فيه سرحهـا وروض ارضا سام فيها سوامها (٤)

فالطباق بين حياتى وموتى ، وقرب وبعد ، وعز وذل ووصل وانصرام وامست واصبحت ، كما يظهر الجناس فى البيت الاخير بين رعى الله من رعايته وحفظه ، ورعى سرحها من الرعى وهو أكل العشب .

ومثل قولـه :

تصلى بنار الحرب كهلا ويافعـا فأضى كان الجمر فى كفه ثلـج (٥)

فالطباق بين الكهل واليافع ، وبين الجمر والثلج .

---

(١) الديوان : ٢/٥ .
(٢) الديوان : ٤٦/ ٥ .
(٣) الديوان : ١/١٢ .
(٤) الديوان : ٢/١٩ — ٤ .
(٥) الديوان : ٧/١٤ .

ومن ذلك أيضا قولـه :

زلال وصخر رقة ومتانـــة واحسن ماقيل المتين المرقــق (١)

فالطباق بين الزلال والصخر والرقة والمتانة .

ومثـل قولـه :

مايعرف الحساد ما الله صانع لقد نامت الحساد واستيقظ القدر (٢)

فالطباق بين نام واستيقظ .

ومن الطى والنشر قولـه :

فتاة كاعب فى مقلتيهـــا وخديها احمرار واحمــــرار (٣)

وكذلـــك :

حكت بالثغــر والخد الاقاحـــى فيــه والـــمـــوردا (٤)

ومن امثلة رد العجز على الصدر قوله :

وهواجرى اما وصلت اصائـل واصائلى اما هجرت هواجــر (٥)

وقولــــه :

صبرا جميلا عبيد الله عنه فلم تزل على حدثان الدهر صبارا (٦)

وقولـه ايضــا :

وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا المذهب واركس (٧)

وهذا قليل من كثير ، وعلى المستزيدين ينظر فى اى قصيدة من قصائد الديوان فسوف يرى من المحسنات اللفظية والمعنوية الشىء الكثير .

---

(١) الديوان : ١٤/٤ .
(٢) الديوان : ٣٤/٣٣ .
(٣) الديوان : ١/١٥٣ .
(٤) الديوان : ٧/١٥٥ .
(٥) الديوان : ١٧٢ /١١ .
(٦) الديوان : ١١/١٢٨ .
(٧) الديوان : ٧/٣ .

((الفصـــل الرابــع))

القيمة التاريخيــة والادبيــة للمخطوطـــة

القيمة التاريخية والادبية للمخطوطة

لقد عاش شاعرنا فى النصف الاخير من القرن الخامس والنصف الاول من القرن السادس ، وكانت هذه الفترة فترة عصيبة فى حياة الدولة الاسلامية ، فكان شرق العالم الاسلامى تتنازعه طموح واطماع السلاطين هناك ، وضعفت سلطة الخلافة حتى لم تبق لها هيبة على هذه الاجزاء حتى ولا على بغداد نفسها ، مقر الخلافة فى ذلك الوقت .

ولكن المخطوطة لم تصور لنا هذه النزعات او ضعف الخلافة الا من حيث اتجاه الشاعر فى مدحه الى السلاطين ووزرائهم ، ولم يتجه بمدحه الى الخلفاء ، ونحن نعرف ان الشاعر يتوجه دائما بمدحه الى من فى يده السلطة والجاه والمال ، حتى ينال من ذلك نصيبا ولم يرد فى ذلك الا بيت واحد يدعو فيه الزمخشرى الى حرب شاملة تعيد هيبة الاسلام ، والابتعاد عن هذه الحروب الصغيرة التى تثيرها الديالم والفرنج .

وفى الفترة الاخيرة من حياة الزمخشرى ، تدفقت الجيوش الصليبية على بلاد الشام وجعلت تعمل فيها خرابا وتدميرا ، وتصدى لها المخلصون من ابناء الامة الاسلامية ، وكنا نأمل من شاعرنا ، وهو الرجل المسلم الحريص على اسلامه ، ان يتصدى بشعره الى هؤلاء الغزاة بتحريض الناس على مقاومتهم ، ولكننا لم نجد شيئا من هذا ، واعتقد ان الزمخشرى قد توفى قبل ان يصبح خطر الصليبيين واضحا للناس فقد كانت البداية مناوشات وكان يتصدى لها اهل الشام ، فلم يكن يتوقع ان تبلغ هذه الحملات ما بلغته من احتلال للارض وتشريد لاهلها وتدمير لممتلكاتهم ، ولم نجد له شيئا فى هذا الا فى قصيدته التى

يمدح بها تاج الملك صاحب دمشق ، — اثناء وجوده في دمشق — وقد صد تاج الملك هجوم الصليبيين على دمشق ، سنة ٥٢٣ هـ ، فمن الناحية التاريخية تكون قيمة المخطوطة مقصورة على اسماء الاشخاص الذيــن ورد ذكرهم من سلاطين ووزراء ، واكثر من استفاد من هذه الناحية نظــام الملك وابناؤه والامير على بن عيسى ابن وهاس شريف مكة ، فقد كــان لهؤلاء نصيب الاسد في شعر الزمخشرى •

اما قيمتها من الناحية الادبية فنستطيع ان نجعلها في الامــور التاليــة :

١ — لقد كشفت عن مخزون كبير من شعر الزمخشرى • فقد كانت تــروى له ابيات قليلة من الشعر في مختلف المواضع •

٢ — لقد بينت لنا الاغراض الشعرية التي كانت مستعملة في ذلك العصر ومنها كثرة المديح وقلة الهجاء •

٣ — اظهرت تكسب الشعراء بالشعر في عصر الزمخشرى ، وانهم كانــوا يستخدمون الشعر كسلعة يتجرون بها مما يحط بالشعر ويقلــل من قيمته لانه لايصدر عن صدق فنى ، ويقلب الحقائق •

٤ — ابانت عن شغف شعراء العصر باستعمال البديع ، حتى لاتكــاد قصيدة او مقطوعة صغيرة منه •

٥ — كشفت عن الوان المعرفة التي كانت شائعة في ذلك الوقــت ، وان العالم المخلص كان يحاول ان يلم من كل علم بطرف ، فالدراســة كانت موسوعية وليست تخصيصية •

٦ — التزام بعض الشعراء في نظمهم بحور الشعر العربية التي اكتشفها الخليل بن احمد ، والالتزام كذلك بالقافية الواحدة ، وعدم اتبــاع

ماجد من اوزان ونظام قوافي ، في العصر العباسي ، فهم يحاولون الحفاظ على شكل القصيدة العربية . ومع ان الزمخشري يؤيد الخروج على الوزن والقافية ، الا انه التزم ذلك في كل شعره .

٧ ـ جلب نسخة الديوان من امريكيا ، كشفت عن اشعار كثيرة بالاضافة الى الاشعار الموجودة في النسخ الاخرى ، بالاضافة الى كشفها عن نوعية الخط في ذلك العصر ، والى كتابة الالف اللينية والهمزة .

٨ ـ اظهرت لنا بعض الجوانب من سيرة الزمخشري العلمية ، واجتماعه بالعلماء ومراسلتهم واجازتهم .

فنكون باظهار هذه المخطوطة الى حيز الوجود قد اضفنا شيئا الى تراثنا الادبي ، وأظهرنا عملا جليلا لعالم جليل يستحق كل تقديـر لجهوده التي بذلها في حياته لخدمة العلم .

الخاتمة

((الخاتمــــة))

بعد ان تعايشنا مع الزمخشرى كشاعر هذه الفترة الطويلة نريـــد ان نجمل الى القارئ الكريم الاشياء البارزة فى هذه الدراسة نلخصهـا فيما يلـــى :ـ

١ ـ لقد عاش الزمخشرى فى عصر كثرت فيه الفتن والحروب الداخلية ولكنه مع ذلك كان عصر عطاء بالنسبة الى العلم والمعرفة ، فقد فتـــح الحكام المدارس وشجعوا العلماء وأغدقوا عليهم الاموال ، فنشط المتعلمـون وشاعت فيما بينهم الرحلة فى طلب العلم ، فنجد الزمخشرى ينتقل مـــن بلد الى آخر فى سبيل نيل العلم ، وتحصيله ، وكما تلقى المعرفـــة عن الاساتذة فقد اخذها من بطون الكتب ايضا ، فتنوعت ثقافته وتميـزت عقليته وتعددت مؤلفاته وكثر تلاميذه والمعجبون به ، حتى شبه نفســـه بالكعبة ، والطلاب حوله بالطائفين ، وحتى وجدنا من مخلفاته حوالـــى ست وخمسين مؤلفا فى مختلف المعارف الموجودة فى عصره •

٢ ـ لقد اظهرت لنا دراسة الديوان بعض سمات الزمخشرى ، من مثل قطع رجله واثر ذلك على نفسه ، فحاول ان يعوض ذلك بالانصـراف الى طلب العلم حتى بلغ فيه مابلغ ، وكشفت لنا ان الزمخشرى عاش حياتـه على قسمين ، الاول منها ويمتد حتى سنة ٥١٢ هـ حين اصيب بالمرضـــة المنهكة ، وظن انها النهاية ، فعاهد الله على تغيير سلوك حياتـــه فعملا طبق كلامه بعد ان عوفى من مرضه ، فيترك مدح الامراء والــوزراء والسلاطين والتزلف اليهم ، ويتجه الى تحصيل العلم والتأليف فيه ، والمجاورة فى بيت الله للعبادة ، وهذا القسم الثانى من حياته •

وكشف لنا عن عزوبته وفلسفته لذلك ، فهو مرة يخاف عقوق الابناء ومرة ثانية يخاف ان يخرجوا غير صالحين ، وثالثة يخاف أن يفقدهم فيؤثر ذلك في نفسه . ولكنه مع هذه العزوبية ظل عفيفا طاهرا الذيل وظهرت لنا عزة نفسه ، وانه كان يقف من الممدوح الند للند ويهدد بالرحيل عن البلاد اذا لم تحقق مطالبه ، وسمة اخرى ظهرت من خلال ديوانه ، وهى حبه للعرب والعروبة ، وكيف تعصب لهم وللغة العربية وربط بينها وبين الاسلام .

٣ ـ لقد نظم الزمخشرى فى معظم الاغراض الشعرية الشائعة فى عصره ، واكثر هذه الاغراض شيوعا فى ديوانه المديح ، ونستطيع ان نقسم مديحه الى ثلاثة اقسام ، مديحه للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يساعده فى ذلك ثقافته الاسلامية الواسعة وقصائد المديح للشعراء الذين سبقوه . والقسم الثانى مديح التكسب الذى قاله فى بداية حياته وتملق به الكتاب والوزراء والسلاطين حتى انه شعر بذنبه من ذلك ، فهو يعاهد الله فى مرضه الا يعود اليه . والقسم الثالث وهو مديحه لابن وهاس على حفاوته به ومديح استاذه الضبى لفضله عليه ومدحه للاصدقاء وكان صادقا فى هذا القسم بعيدا عن التزلف لانه فى ذلك المديح يرجو ، وفى هذا يشكر وفرق بين الاثنين بيّن .

كما نظم فى الرثاء ، ونستطيع ايضا ان نقسم رثاءه الى ثلاثة اقسام ، رثاء صادق ، تظهر فيه عاطفة الحزن قوية صادقة ، وذلك رثاؤه لامه وابيه واستاذه الضبى ، والثانى رثاء تقليدى لاحرارة فيه ولاعاطفة وهو رثاؤه لعلية القوم ، واللون الثالث وهو رثاؤه للنساء وتظهر فيه الشماتة بدل الحزن ، ويظهر كرهه للنساء واضحا .

والغرض الثالث هو الحنين الى مكة ، وهو صادق العاطفة معبر عن نفسية الشاعر المشتاقة الى الديار المقدسة ، اما الغرض الرابع فهو الغزل ، وقد جاء على شكل مقدمات لقصائد المديح ، وكان غزله تقليديا بحتا لا حرارة فيه ، فهو يقلد من سبقوه فى معانيهم واسماء محبوباتهم وديارهن ، كما نظم فى الشكوى من الزمان والناس ومن معاندة الحظ له فهو يرى ان الزمان واهله قد ظلموه حقه وقدموا عليه من هل دونه يساعدهم فى ذلك حظه العاثر الذي لايقف الى جانبه ، وبما ان الزمخشرى كان عصاميا وليس عظاميا ، فقد انصب كل فخره على علمه واخلاقه ، ولم يتطرق الى الفخر بالآباء والاجداد . كما قال الكثير من الحكمة . ولكنها جاءت على شكل مواعظ ونصائح لانها لم تصود دخائل النفس واصطراع العواطف ومشكلات الافراد والجماعات والطب الناجع فى علاج المشكلات لذلك فهى لم ترق الى حكم المتنبى وابى العلاء ، كما لاحظنا قلة الهجاء فى شعره لعدم توفر الاسباب الموجبة او الدافعة لذلك .

٤ — اما خصائص شعره الفنية ، فقد لاحظنا انه قد نظم هذا الشعر على ثلاثة اشكال ، جاء الاول منها على نمط القصيدة العربية التقليدية من مقدمة طللية ثم مقدمة غزلية ، ثم الدخول الى الغرض ، مع السير فى ذلك على طريق الشعراء العباسيين وليس الجاهليين ، والنمط الثانى جاء بمقدمات غزلية وحكمية ومقدمة الشكوى ، كما انه استطاع ان يجيد فى مطالع قصائده وفى حسن التخلص من غرض الى غرض وفى حسن المقطع ، وقد نظم شعره على ثلاثة عشر بحرا ، وكان للطويل نصيب الاسد من بينها ، فقد نظم عليه مايقرب من ألفى بيت ، وقد بينا ان السبب فى ذلك يعود الى طبيعة البحر الطويل والى اتساعه لمعظم الاغراض . وقد استطاع ان يجنب شعره معظم عيوب القافية ، مع انه

نظم على معظم حروف الهجاء .

اما بالنسبة لمعانيه فقد جاءت مكررة وتقليدا لما سبقه ، ولان الزمخشرى استمد ثقافته العلمية من القرآن والسنة والثقافة العربية بما فيها من اشعار وامثال وقصص فقد جاء فى شعره الشئ الكثير من هذه .

ومع ان معظم شعره واضح ، الا ان هناك بعض الغموض فى قصائده ومقطوعاته ، وكانت عاطفته متنوعة ، فتظهر واضحة اذا اطلق نفسه على سجيتها ، اما اذا تكلف النظم فيظهر ضعفها وغموضها ، فيلجأ الى المبالغة لتغطية ذلك .

واما اسلوبه فكان رصينا جزلا لاتحس فيه بضعف او تهافت ، ويرجع ذلك الى كلماته وتعابيره فقد جاءت جزلة منتقاة لتعبر عن المعنى الذى يريده ، حتى انه لجأ الى الغريب فى الكثير من الفاظه ، فتظهر عندها الكلمة قلقة فى موضعها وتؤدى بالتالى الى غموض فى المعنى .

اما الصورة فقد اعتمدت على التشبيه والاستعارة والكناية ، وجاءت تكرارا لما رسم سابقوه ، لذلك كان خياله من القريب الذى لايحلق فى الافاق .

كما وان شاعرنا قد اسرف اسرافا كبيرا فى استعمال المحسنات البديعية وخاصة الجناس والطباق .

هذه اهم النتائج التى ظهرت خلال البحث ،

والله ولى التوفيق .

((المراجـــــــع))

١ ـ احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم :

للمقدسى ـ مطبعة بريل / مدينة ليدن سنة ١٩٠٩ .

٢ ـ ارشاد الاريب لمعرفة الاديب : (معجم الادباء)

الحموى ـ ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

مطبعة هندية بالموسى بمصر سنة ١٩٢٥ م . دار المأمون

الاخيرة .

٣ ـ ازهار الرياض فى اخبار عياض :

المقرى : شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ)

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦١ هـ .

٤ ـ اساس البلاغة :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٣ م .

٥ ـ اسس النقد الادبى عند العرب :

احمد احمد بدوى مكتبة نهضة مصر بالفجالة الطبعة

الثالثة سنة ١٩٦٤ .

٦ ـ انباه الرواه على انباه النحاه :

القفطى : الوزير جمال الدين ابوالحسن على بن يوسف

دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ .

٧ ـ الانساب :

السمعانى : ابو سعيد عبد الكريم بن ابى بكر .

مطبعة دار المعارف العثمانية حيدرآباد سنة ١٣٨٦ هـ .

٨ — البداية والنهايـة :

لابن كثير : ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن عمر ، (ت ٧٧٤هـ)

مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٩ هـ ،

٩ — بغية الوعـاه فى طبقات اللغويين والنحاه :

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر (ت ٩١١ هـ)

تحقيق محمد ابى الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابى

الحلبى طبعة اولى سنة ١٣٨٤ هـ ،

١٠ — البيان والتبيين :

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)

تحقيق عبد السلام هارون ، ط الثانية القاهرة ١٩٣٢ م

١١ — تاريخ الادب العربى :

بروكلمان : كارل بروكلمان ، ترجمة رمضان عبد التواب ،

دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ م ،

١٢ — تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى :

السباعى السباعى بيومى

مطبعة العلوم سنة ١٩٣٥ م ،

١٣ — تاريخ آداب اللغة العربية :

جورجى زيدان ، مطبعة الهلال ،

١٤ — تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى :

الدكتور حسن ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م ،

١٥ ـ حكيم المعرة :

دكتور عمر فروخ • دار الكشاف والطباعة والتوزيع •

١٦ ـ خزانة الادب وغاية الارب :

ابن حجة الحموى : تقى الدين ابوبكر على (ت٨٣٧هـ)

طبع المطبعة الخيرية بالقاهرة ط اولى سنة ١٣٠٤ هـ •

١٧ ـ الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى :

دكتور صالح فاضل السامرائى • دار النذير سنة ١٩٧٠م

١٨ ـ ديوان أبى نواس :

تحقيق احمد عبد المجيدالغزالى • طبع بيروت •

١٩ ـ ديوان الاخطل :

الطبعة الثانية ـ دار المشرق •

٢٠ ـ ديوان حاتم :

نشر هولتهس •

٢١ ـ ديوان طرفه بن العبد :

بيروت •

٢٢ ـ رجعة الى أبى العلاء :

عباس العقاد • دار الكتاب العربى بيروت لبنان •

٢٣ ـ الزمخشرى :

الدكتورا حمد الحوفى ـ دار الفكر العربى •

٢٤ ـ سلاجقة ايران والعراق :

الدكتور عبد النعيم حسنين مكتبة النهضة المصرية •

٢٥ - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي :
النسوي : محمد بن احمد . تحقيق حافظ حمدى
مطبعة دار الفكر العربي سنة ١٩٥٣ م .
٢٦ - شذرات الذهب فى اخبار من ذهب :
ابن العماد الحنبلي : ابوالفلاح عبد الحي بن العماد
(ت ١٠٨٩ هـ) . المكتب التجاري بيروت - مصورة
عن طبعة القدسي القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .
٢٧ - الشعر والشعراء :
ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)
تحقيق احمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م
٢٨ - صحيح مسلم :
النيسابوري : الامام ابوحسين مسلم بن الحجاج القشيري
عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٢٩ - الصناعتين :
العسكري : ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل .
تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم
طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧١ م .
٣٠ - العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده :
ابن رشيق : ابو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار الجيل
بيروت طبعة الرابعة - ١٩٧٢ م .

٣١ ـ الفوائد البهية فى تراجم الحنفية :

عبد الحى اللكنوى ـ مكتبة ندوة المعارف الهند ســـنة ١٩٦٧ م .

٣٢ ـ القسطاس المستقيم :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسينى .

٣٣ ـ القوافـــــى :

التنوخى : القاضى ابو يعلى عبد الباقى عبد اللــــه مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م .

٣٤ ـ الكامل فى التاريخ :

ابن الاثير : على بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر ١٩٦٦ م .

٣٥ ـ الكشاف :

الزمخشرى : محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

المطبعة التجارية الكبرى بمصر طبعة اولى سنة ١٣٥٤ هـ .

٣٦ ـ لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ :

الحافظ : تقى الدين المكى . عنى بنشرها القدســـى دمشق .

٣٧ ـ لسان الميزان :

ابن حجر العسقلانى . حيدرآباد طبعة أولى ١٣٣١ هـ

٣٨ ـ المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر :

ابن الاثير : ضياء الدين نصرالله بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ)

مطبعة البابى الحلبى القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

٣٩ ـ مجلة المجمع العربي العراقي : العدد ٢٣ سنة ١٩٧٣ م .

٤٠ ـ مجمع الامثال :

الميداني : ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المطبعة البهية بمصر .

٤١ ـ مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط . طبعة دار المعارف ـ ١٣١٥ هـ م

٤٢ ـ المحاجــاة :

الزمخشري : محمود بن عمر . (ت ٥٣٨ هـ)

تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسيني ـ .

٤٣ ـ المختصر في اخبار البشر :

ابو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين : (ت ٧٣٢ هـ)

القسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ .

٤٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان :

اليافعي ـ : ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان

دار المعارف حيدر آباد ط اولى .

٤٥ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي :

المستشرق زامباور ـ جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥١ م .

٤٦ ـ معجم البلدان :

الحموي : شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) . مطبعة دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٦ هـ .

٤٧ — مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم :
طاش كوبرى زاده : المولى احمد بن مصطفى (ت ٩٦٢هـ)
دار الكتب الحديثة .
السنة

٤٨ — مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الاول :
الدكتور حسين عطوان — دار المعارف بمصر . السنة

٤٩ — مهذب رحلة ابن بطوطة :
احمد العوامرى بك ، ومحمد احمد جاد المولى بك — ؟
المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٩٣٤ م .

٥٠ — الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء :
المرزبانى : ابو عبيد الله .
المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٣ هـ .

٥١ — الموطـــــأ :
الامام مالك : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى — طبعـــــة
عيسى البابى الحلبى . السنة

٥٢ — نزهة الالباء فى طبقات الادباء :
الانبارى : ابو البركات كمال الدنيا عبد الرحمن بن محمد
تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى — مكتبة الاندلس العربى
الطبعة الثانية ١٩٧٠ م .

٥٣ — وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان :
ابن خلكان : احمد بن محمد (توفى ٦٨٠ هـ) .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٩ م .

٥٤ – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر :

الثعالبي : أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل

(ت ٤٢٩ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت

طبعة ثانية سنة ١٩٧٣ م .

* * *

الفهرس

((فهـــــرس الموضوعـــــات))